الإرشادات الإسلامية

في

الخطب المنبرية

الجزء الثاني

الشيخ: أحمد محمد سعد

﴿أحمد أبو عيد﴾

إمام وخطيب بالأوقاف المصرية

حقوق الطبع والنشر محفوظة لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب الأرض ورب السماء، خلق آدم وعلمه الأسماء، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة دار البقاء، وحذره من الشيطان ألد الأعداء، ثم أنفذ فيه ما سبق به القضاء، فأهبطه إلى دار الابتلاء، وجعل الدنيا لذريته دار عمل لا دار جزاء، وتجلت رحمته بهم فتوالت الرسل والأنبياء، وما منهم أحد إلا جاء معه بفرقان وضياء، ثم ختمت الرسالات بالشريعة الغراء، ونزل القرآن لما في الصدور شفاء، فأضاءت به قلوب العارفين والأتقياء، وترطبت بآياته ألسنة الذاكرين والأولياء، ونهل من فيض نوره العلماء والحكماء، نحمده تبارك وتعالى على النعماء والسراء، ونستعينه على البأساء والضراء، ونعوذ بنور وجهه الكريم من جَهد البلاء، ودرك الشقاء، وعضال الداء، وشماتة الأعداء، ونسأله عيش السعداء، وموت الشهداء، والفوز في القضاء، وأن يسلك بنا طريق الأولياء الأصفياء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ليس له أنداد ولا أشباه ولا شركاء، خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء، خلق الخلق فمنهم السعداء ومنهم الأشقياء، قادر مقتدر فكل الممكنات في قدرته سواء، سميع بصير يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء، ويسمع دبيبها على الصخرة الصماء، أجرى الأمور بحكمته وقسم الأرزاق وفق مشيئته بغير عناء، لا يشغله شأن عن شأن، فكل شيء خُلق بقدَر، وكل أمر جرى بقضاء.

وأشهد أن سيدنا محمدًا خاتم الرسل والأنبياء، وإمام المجاهدين والأتقياء، والشهيد يوم القيامة على الشهداء، المعصوم ﷺ فما أخطأ قطُّ وما أساء، دعا أصحابه إلى الهدى فلبَّوُا النداء، فإذا ذاته رحمة لهم ونور، وإذا سلوكه إشراق وضياء ، صلى الله عليه قديمًا، وكذا الملائكة في السماء، وصلى هو في المسجد الأقصى بالرسل والأنبياء، سبح الحصى في كفه بخير الأسماء، وحين ظمئ أصحابه نبع من بين أصابعه الماء.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحابته الأجلاء وعلى السائرين على دربه والداعين بدعوته إلى يوم اللقاء، ما تعاقب الصبح والمساء، وما دام في الكون ظلمة وضياء .

وبعد

فهذا كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية (الجزء الثاني) وهو كتاب يحتوي علي خمسٍ وعشرين خطبة ، وقد أعانني الله تعالى فقسمت كل خطبة منه إلى عناصر ، وكل عنصر إلى عدة نقاط محدودة حتى يسهل فهم الموضوع واستيعابه ، وقد راعيت في كل موضوع أن يشتمل على أدلة من كتاب الله تعالى ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ، فلم أدرج فيه إلا الأحاديث الصحيحة أو الحسنة الثابتة عن النبي

ﷺ فحسب ، واشتملت الخطب كذلك على بعضٍ من النماذج والعبر وبعضٍ من الشعر الحسن ، وأعانني الله فعملت جاهدًا على أن يكون الموضوع وافيًا بما يكفي للترغيب في الأمر والترهيب من ضده ، وحاولت جاهدًا بفضل الله تعالى أن يكون الأسلوب سهلاً وميسرًا ومشتملاً على الفوائد المطلوبة منه ليسهل فهمه وتبليغه والعمل به .

والله تعالى أسأل أن يجعله علمًا يُنتفع به كما قال النبي ﷺ فيما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (١).

والله تعالى اسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعًا وأن يغفر لوالدىَّ ولمن يقرأون الكتاب وينشرونه ويبلغون ما فيه لغيرهم عملاً بقول النبي ﷺ فيما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" (٢).

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده فهو القائل " وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " سورة هود.

وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في النار، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى عفو ربه
أحمد محمد سعد محمود
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية
ت- ٠١٠٩٨٠٩٥٨٥٤

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم

مفاتيح السعادة

الحمد لله الذي نصب الجبال فأرساها، وأرسل الرياح فأجراها، ورفع السماء فأعلاها وبسط الأرض فدحاها، الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيبته خائفون، والجبابرة لعظمته خاضعون، لَهُ ما فِي السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ كُلٌّ لَّه قَانِتُونَ

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ** أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ** يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ (كُنْ) ** امْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةَ ** فَبِالافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةَ ** فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ** إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ ** الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
ثم الصلاة على النبي وآله ** خير الأنام ومن به يستشفع

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله

ذاك الشفيع مقامه المحمودُ ** ولوائه بيد العلا معقود
فإذا توافدت للحساب وفود ** قالوا تقدم بالأنام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما ** فيقوم بالباب العلي ويسجد
ويقول يا مولاي آن الموعد ** فيجاب قل يسمع إليك محمد
ونريك منا نضرة ونعيما ** صلوا عليه وسلموا تسليما

العناصر

أولا: تعريف السعادة

ثانياً: طريق السعادة

ثالثاً: وسائل تحقيق السعادة

الموضوع

أولا: تعريف السعادة

السعادة في اللغة: مشتقة من فعل "سعد" أي فرح واستبشر، والسعادة هي اليمن وهي نقيض النحس والشقاوة

اصطلاحًا: شعور نفسي يصحبه رضا يجده المرء عند توفيقه بين مصالحه الدنيوية والأخروية وفق ضوابط شريعة الإسلام

وقيل إن السعادة شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير والبال نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر والباطن المدفوع بقوة الإيمان.

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله-:((اعلم أن السعادة الحقيقية هي الأخروية وما عداها سميت سعادة إما مجازاً أو غلطاً كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة، وإما صدقاً ولكن الاسم على الأخروية أصدق

ثانياً: طريق السعادة

لكل مطلوب مفتاحا يفتح به: يقول ابن القيم: قد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال مفتاح الصلاة الطهارة، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الفلاح والصلاح الرفقة الصالحة، ومفتاح الاستقامة محاسبة النفس وتقويمها، ومفتاح سلامة القلب التخلص من آفاته، و مفتاح الطمأنينة والسكينة ذكر الله ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه ، ومفتاح الدخول على الله الإخلاص في الحب والبغض والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل وهذا باب عظيم من انفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والأعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل أثم ، وجعل الغنى مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله ، وجعل الأعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله ومن وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون "[1]

سعادة الروح وسعادة الجسد: من المعلوم أن الإنسان مكون من روح وجسد، ولكلٍّ غذاؤه، وبعض الطرق والفلسفات الضحلة اهتمت بالروح وأنكرت مطالب الجسد؛ فكانت الانتكاسة، والمادية الحديثة على العكس طمست الروح، وأعطت الجسد كل ما يشتهي؛ فحولت قطاعًا كبيرًا من الإنسانية إلى حيوانية اللذات والشهوات! أو إلى آلات عقيمة، أما طريق الإسلام فقد غذَّى الروح بأنوار السماء، وحافظ على الجسد، وأشبع حاجاته وشهواته بالحلال الطيب فقال تعالى"{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص: ٧٧]

وقد قرر النبي ﷺ ما قاله سلمان الفارسي رضي الله عنه" إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه" [2]

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

(٢) صحيح البخاري

الإنسان إما شقي وإما سعيد: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالذي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا " (١)

إن الناس في البحث عن السعادة ثلاثة أصناف: صنف بحث عن السعادة في الدنيا من أجل سعادة الآخرة فأسعد نفسه وأسعد الآخرين وهم الأنبياء والأولياء والعلماء والدعاة إلى الله والصالحون.

صنف بحث عن السعادة من أجل الدنيا فحصرها في جانب معين من جوانب الحياة فانقلبت سعادته شقاوة فخسر الدنيا والآخرة، كالنمرود وفرعون وهامان والوليد بن المغيرة وغيرهم.

صنف حصر السعادة في جانب معين من جوانب الحياة وعلى كل حال فمن أراد السعادة الحقيقة في الدنيا فليطلبها من ينابيع الشرع الإسلامي كما طلبها الرعيل الأول من الصحابة والتابعين الذين وجدوها في الإيمان بالله والتقوى وإتباع منهج الإسلام كما جاء عن النبي ﷺ.

الدنيا دار ابتلاء: قال تعالى" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"

ليست السعادة بكثرة الأموال: كثير من الناس يظن أن السعادة في كثرة الأموال وهذا غير صحيح هذا باطل فكثرة الأموال لم تنفع قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض لما بغى وطغى في أمواله وكفر بنعمة الله عليه.

ولم يذكر القرآن فيم كان البغي، ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال كحق الفقراء في أموال الأغنياء، وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب.

قال تعالى " فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)" القصص

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ" (٢).

والمال نفسه ليس سببا للشقاوة بل سوء التصرف فيه، فالمال نعمة عظيمة ولكن يجب أن نحسن توظيفه فيما ينفعنا عند لقاء الله تعالى.

ليست السعادة بالملك والمنصب: بعض الناس يظن أن السعادة في الملك والرفعة والوظيفة والمنصب وهذا لا أصل له فما نفع الملك والمنصب والرفعة عند الناس ما نفعت فرعون الذي طغى وبغى في ملكه وتكبر وتجبر حتى وصل به الأمر إلى أن ادعى الربوبية ، قال تعالى: "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى" (عبس /٧٩).

---

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه

ليست السعادة بأنواع المأكل والمشرب: بعضهم يظن أن السعادة في تنويع المآكل والمشارب والشهوات وهذا غير صحيح فالله قال عن الكفار: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ" (محمد/١٢).

ثالثاً: وسائل تحقيق السعادة

كل الناس رجالاً ونساء. كباراً وصغار. يبحثون عن السعادة. والكل يتمنّاها. .

فيا تُرى من الذي وجدها؟ هل وجدها صاحب المحلات والعقارات؟ أم هل وجدها ذلك الذي يُتابع القنوات؟ هل وجدها ذلك الشاب الذي يُعاكس الفتيات؟ هل وجدها ذلك الذي يسهر على المُحرَّمات؟ هل وجدتها تلك المرأة التي

كشفت وجهها أو عينها، ولَبِست تلك العباءة الضيقة والمطرزة؟ إنّني أتساءل من الذي ذاق طعم السعادة؟ من هو السعيد؟ وأين أجد السعادة؟ إنَّ السعادة كنزٌ عظيم. وغايةٌ منشودة. ومطلبٌ نفيس. .

الإيمان والعمل الصالح: قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" سورة النحل (٩٧)

وقال تعالى " فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى " سورة طه (١٢٣)

فالحياة الطيبة تكون لأهل الإيمان والعمل الصالح وأما غيرهم حتى وإن تمتعوا بالملذات المحسوسة فإنهم في ضيق ونكد، لأن مدار السعادة على القلب وراحته.

بل إن المؤمن الذي يرجو ما عند الله حتى وإن ضيق عليه في الدنيا وامتحن فيها فإنه بإيمانه وعمله الصالح يشعر بسعادة غامرة، ولهذا يذكر ابن القيم رحمه الله أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، وقال لي مرة ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري إني رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلتُ ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله عذاب، يقول ابن القيم: (وعلم الله ما رأيتُ أحداً أطيب عيشاً منه مع ما كان فيه من ضيق العيش فهو من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً وأفواههم قلباً وأسرهم نفساً تلوح نضرة النعيم على وجهه) الوابل الصيب -ابن قيم الجوزية.

وإذا كان عمل الصالحات من وسائل سعادتك في الدنيا والآخرة، فإن الشهوات ومتابعة القنوات والسهر على المُحرمات طريقك إلى الشقاء في الدنيا والآخرة.

وإنَّ إعراضك عن الله يجلب لك القلق والهمَّ والحزن، ألم تسمع قول الله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} سورة طه (١٢٤)

إنَّ الذنوب لها لذةٌ في لحظتها ونشوةٌ في ساعتها، ولكن بعد ذلك عذاب القلب، وسموم الروح.

رأيتُ الذنوب تُميتُ القلوب وقد يُورِثُ الذُلُّ إدمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب وخيرٌ لنفسكَ عِصيانُها

الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن: فإن ذلك من أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينة القلب، وزوال همه وغمه قال تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " سورة الرعد (٢٨)

والقرآن كتاب الحياة، وباب السعادة، كلما نظرت فيه كلما أشرق في قلبك نور الإيمان، قال تعالى: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " سورة التغابن (٨)

إنّه القرآن يا أمة الإسلام، فلماذا هجرناه وأعرضنا عنه ونسيناه، ولماذا ألهتنا الدنيا عن قراءته وتدبره، قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} التغابن.

إنَّ القرآن علاج الهموم، ومُزيل الغموم، ومُذْهِب الحسرات، وكاشفُ للبلديات، فيا من أحاطت به هموم الدنيا، وأزعجته المصائب، أُوصِيك بأن تجلس مع القرآن في كل يوم ولمدة ساعة تقرأ فيه، وتتأمل معانيه، وتعرض نفسك عليه، فوالله سوف تشعر بالسعادة وتذوق طعم الحياة.

العطاء بحب وسخاء : هذا أمر مجرَّب ومشاهَد، فإننا نجد الذي يحسن إلى الآخرين من أسعد الناس، ومن أكثرهم قبولا في الأرض، قال تعالى {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (آل عمران: ٩٢)

والعطاء له أشكال كثيرة؛ فقد جعل الله العطاء بالمال جزءًا من أركان الإسلام؛ ففرض وأوجب الزكاة على الغني للفقير، وقرر الله أن هذا العطاء ينبغي أن يكون بطيب نفس وإخلاص لله بأفضل ما يحب الإنسان، وبلا مَنّ على الناس، وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} [البقرة: ٢٦٤] ، بل وسَّع العطاء ليتجاوز المال إلى كل عطاء سواءً كان مالًا أو طعامًا أو جهدًا وعملًا، قال تعالى {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} (الإنسان)

بل وحتى لو كانت مجرد ابتسامة، فعن أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ تبسمك في وجه أخيك صدقة" (١)

عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).

ولا شك أن هذا العطاء هو الذي يوجب سعادة الدنيا، أما العطاء لمكسب دنيوي أو بمَنٍّ وأذى لا يجلب شيئًا من السعادة حتى ولو ظهر غير ذلك.

اليقين والثقة بالله عز وجل: إن الإيمان يحقق للمؤمن اليقين والثقة الكاملة بالله تعالى؛ مما يكسبه ثقة في نفسه؛ فلا يخشى شيئًا في هذه الحياة، فهو يعلم وقتها أن الأمر كله لله عز وجل، قال تعالى {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام: ١٧.

كما يوقن أن رزقه بيد الله وحده، قال تعالى {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} العنكبوت.

وأنه ما من دابة في الأرض إلا وتكفل الله برزقها، وقال تعالى {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مستقرها وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (هود: ٦)

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢) متفق عليه

، حتى ولو لم تكن تستطيع أن تأتي برزقها، قال تعالى {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: ٦٠]

الإحسان إلى الخلق بالقول والعمل وأنواع المعروف : فإن الله يدفع به الهموم والغموم عن العبد، ويعاملك الله وفق معاملتك لعباده

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة فالله لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه".

وقال تعالى: "لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا "(النساء/ ١١٤).

الدعاء: لا تُنال السعادة إلا بتوفيق الله جل جلاله، فأول ما ينبغي على من أراد أن يُسعده الله في الدنيا والآخرة أن يُكثر من الدعاء وأن يسأل الله عز وجل أن يُحييه حياة السعداء وان يُميته ميتة الشهداء وأن يرزقه مرافقة الأنبياء، فإن الله كريم ولا تستكثر علي الله أن يسعدك في أهلك ومالك وولدك فإن الله مُقلب القلوب والأحوال.

وكم من شقي قلّبه الله سعيداً في طرفة عين فالله على كل شيء قدير.

وكان النبي ﷺ يقول فيما روي عن أنس قال كان النبي ﷺ يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال "(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-يَقُولُ "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دنياي الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ" (٢).

اقصـــد إلهـا كريمـا في عطـايـاه ** ما خاب عبدٌ بوقتِ الضـــيق ناداه
قل اســـتعنت بربٍ لا شـــريك لـه ** ربُّ العبـاد لطيف في خفـايـاه
مَن غير ربك عند العُسـر تقصـده ** فالعســـر يســـرٌ بلطف الله تلقاه
إني التجـأت بـبـاب الله من وجع ** يا ســعد من بثّ للرحمن شـكواه
هـذي المنـاجـاة للرحمن أرفعهـا ** ومن ســـواك يجيب العبد رَّبـاه
بـك اســـتعـذت إلهي في بـدايتهـا ** ثم الصـــلاة على المأمول رؤياهُ

حمد الله وشكره والرضا بما قدر الله وقسم: عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَلَكَ امْرَأَةٌ تأوي إِلَيْهَا قَالَ نَعَمْ. قَالَ أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَنْتَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ قَالَ فَإِنَّ لي خَادِمًا قَالَ فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ (٣)

الأخلاق الحسنة: عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"(٤)

والله إنَّ المُتَّصفين بالصفات الحسنة والأخلاق الحميدة ليجدون من الراحة والسعادة ما لا يخطر بالبال، إنّهم أقوام أحبهم الله وأحبهم الناس، فكيف لا يجدون السعادة؟

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) السلسلة الصحيحة

إذا أراد الله أن يسعدك طابت شمائلك وطابت أخلاقك وخلالك فأحبك الناس من قولك وأحبك الناس بفعلك.
مَنْ رزقه الله حُسن الخُلق عاش سعيداً ومات حميداً ورضي الناس عنه وشهدوا له بكل خير ولربما بقي حياً بعد موته بجميل خُلقه.
الأخلاق الطيبة والآداب الطيبة ومُعاشرة الناس وتوطئة الكنف من أعظم أسباب السعادة فأول ما ينبغي على الإنسان إذا أراد أن يكون سعيداً مع المُسلمين أن يكون نقي القلب والسيرة.
فلا سعادة إلا إذا استل العبد من قلبه الشحناء والبغضاء والحسد واحتقار الناس وآفات القلوب وأسلم لله قلبه واستحي من الله أن ينظر الله إلى قلبه وفيه غلٌّ علي مُسلم واستحي أن ينظر إلى قلبه وفيه الحسد أو البغضاء أو الشحناء.
إنّهم يسيرون على منهج الرسول ـ ﷺ ـ الذي مدحه الله بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} سورة القلم
فكيف تكون منزلتهم في أعلى الجنة يوم القيامة ولا يكونون سعداء في الدنيا وهم متخلقون بأخلاق قوتهم ونبيهم المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.
سعادة التائب بمغفرة الذنوب: إنَّ للتوبة حلاوة ولذة وسعادة لا يشعر بها إلاَّ من ذأفها. واسألوا التائبين.
فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له "(١).
ألم يفوزوا بمحبة الله لهم، قال عزَّ وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} سورة البقرة (٢٢٢).
أليس هذا شرفٌ لهم؟ فإنَّ الله يفرحُ بتوبة التائبين.
فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ" (٢).
أليس لهذا الفرح الرَّباني ثمرة في قلوب التائبين والتائبات.
إنَّ التائب قد ترك كل شيء لا يُرضي الله. إنّه يُريدُ بذلك ما عند الله. وسوف يُعوضه الله خيراً وهو النعيم والسعادة في الدنيا والآخرة.
بر الوالدين ورضاهما: ومن أرضى والديه ﷺ وكم من ابنٍ بارٍّ فُتحت أبواب السماء لدعوات مُستجابة من والديه وكم من ابن بارٍّ فتح الله أبواب الخير في وجهه لما أرضى الله في والديه.
وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود -قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-أي الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ "الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا". قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قُلْتُ ثُمَّ أي قَالَ "ثُمَّ الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ" قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لزادني (٣).
الأولاد لأنهم هم عماد الظهور : الولد الصالح إن نسيت الله ذكَّرك، وإن ذكرت الله أعانك وإن كُنت على طاعة ثبَّتك، الولد الصالح بَهجة الدنيا وسرورها، وأُمنية الأخيار والصالحين فهم دعوة من دعوات عباد الرحمن قال تعالى (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " سورة الفرقان.
ودعاء دعا به نبي الله زكريا قال تعالى (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) سورة الأنبياء.

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح مسلم (٣) متفق عليه

ولن يكونوا سببا في السعادة إلا إذا نشئوا في بيئة دينية نشئوا علىّ طاعة الله ورسوله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (١) فهنا يكون الولد مصدر سعادة لأبوية في الدنيا والآخرة.

أما إذا تربى علىّ الفساد والإفساد والإجرام فإنهم يجلبوا لآبائهم التعاسة والشقاء، قال تعالى (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) سورة الكهف.

أربع من السعادة وأربع من الشقاء: عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق) (٢)

وعَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ "(٣)

والمراد أن هذا من سعادة الدنيا، لا سعادة الدين، والسعادة مطلقة ومقيدة، فالسعادة المطلقة هي السعادة في الدارين، الدنيا والآخرة، والسعادة المقيدة تكون حسب ما قيدت به، فمن رزق الصلاح في الأشياء المذكورة طاب

عيشه، وسعد ببقائه، لأن هذه الأمور مما يريح الأبدان والقلوب، ويجعل الحياة مريحة أكثر.

والمراد بالشقاوة هنا: التعب، كما في قوله تعالى: (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) طه.

أي: فتتعب، ومن ابتلي بالمرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء تعب في أكثر أوقاته، فإن ضيق الدار يضيق الصدر، ويجلب الهم، ويشغل البال.

الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر: من أراد أن يعيش سعيداً مع الناس، حرص علي أمرهم بالخير ودلالتهم علي الخير فإذا فعل ذلك طَيَّب الله ذكره

وطيب الله مجالسه وقذف في قلوب الناس حبه وحب الجلوس معه ولو كانوا من جيرانك الأقربين إذا زرتهم وتفقدت أحوالهم فإن رأيت تقصيراً كمّلته وإن رأيت عيباً دللتهم عليه ونبَّهتهم عليه وأرشدتهم إليه وأخذت بمجامع قلوبهم إلي الله وذكّرتهم بالله واحتسبت الأجر عند الله.

قراءة سير الأنبياء والصالحين: من العلماء العاملين والأئمة المهديين ومن صاروا على نهجهم من الأخيار والصالحين فإن ذكر الصالحين والنظر إلى أحوالهم وما كانوا عليهم من الاستقامة والثبات مما يقوي القلوب علي طاعة الله ويُثبتها على مرضات الله

طلب العلم: ومن أسباب السعادة التي يسَّر الله عز وجل سبيلها علي العبد طلب العلم وغشيان حلق الذكر، قد قال ﷺ في الحديث الصحيح عن مجالس الذكر :(هم القوم لا يشقي بهم جليس) (٤)

فمن أمارات السعادة ومن أسبابها ودلائلها: أن يوفق الله العبد لحُب مجالس العلماء وغشيان حلق الذكر والصالحين.

أن ينظر الإنسان إلى من هو أسفل منه : ولا ينظر إلى من هو أعلى منه في الرزق والصحة وغيرها وقد ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ) (٥) ، فبهذه النظرة يرى أنه يفوق كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله.

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم

قال ابن القيم في بدائع الفوائد "رأت فأرة جملا فأعجبها فجرت خطامه فتبعها فلما وصلت إلى باب بيتها وقف فنادى بلسان الحال إما أن تتخذي دارا تليق بمحبوبك أو محبوبا يليق بدارك وهكذا أنت إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك وإما أن تتخذ معبودا يليق بصلاتك تعاهد قلبك فإن رأيت الهوى قد أمال أحد الحملين فاجعل في الجانب الآخر ذكر الجنة والنار ليعتدل الحمل فإن غلبك الهوى فاستعنت بصاحب القلب يعينك على الحمل فإن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تجده عند المنكسرة قلوبهم مع الضعف أكثر فتضاعف ما أمكنك".

من هو السعيد؟ : أيها الأحبة في الله: السعيد هو الذي امتلأ قلبه بالله ، هو الذي أمس وأصبح ليس في قلبه غير الله جل جلاله هو الذي أسعده الله في نفسه فاطمأن قلبه بذكر الله ولهج لسانه بالثناء علي الله ، هو الذي أقرَّ الله عينه بالطاعات وسرَّه بالباقيات الصالحات ، هو الذي أسعده الله في أهله وماله وولده فرأي قرة العين ، هو الذي حمد الله سُبحانه وتعالي علي القليل والكثير، هو الذي أسعده الله بين الناس فعاش طيب الذكر حسن السمعة ،لا يُذكر إلا بالخير، ولا يُعرف عنه إلا الخير، هو الذي إذا وقف علي آخر أعتاب هذه الدُنيا وقف بقلب ثابت ولسان ذاكر قد رضي عن الله فأرضاه الله ، هو الذي إذا دنت ساعته وحانت قيامته تنزلت عليه ملائكة ربهِ تُبشرهِ بالروح والريحان والرحمة والغفران وأن الله راضٍ عنه غير غضبان ، هو الذي خُتِم له بخاتمة السُعداء فكان آخر ما نطق بهِ من الدُنيا لا إله إلا الله، هو الذي أسعده الله في قبرهِ وأقر عينهِ في لحدهِ حتى إذا أُدخل في ذلك القبر، وأُنزل في ذلك اللحد، وثَّبت الله له الجنان وسدَّد له اللسان فقال: ربي الله وديني الإسلام ونبي مُحمد ﷺ فنادي مُنادٍ في السماء أن صدق عبدي ففرش له من الجنان، وفتح له منها يأتيه من الروح والريحان فقال السعيد: يا ربَّ أقم الساعة يا ربَّ أقم الساعة شوقاً إلي رحمة الله، وحنيناً إلي عظيم ما ينتظره من فضل الله.

السعيد هو الذي إذا بُعث من قبرهِ وخرج من حشره ونشره، خرج مع السُعداء الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة، هذا يومكم الذي كُنتم توعدون، هو الذي إذا دنت الشمس من الخلائق واشتد لهيبها وعظم حرها فإذا بهِ في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

السعيد هو الذي إذا وقف بين يدي ربهِ وقف موقف الكريم فأعلي الله شأنه وأنطق بالخير لسانهِ ونادي مُنادي الله

عليه بالبشري بالجنة، السعيد هو الذي ينتهي مآله ويكون قراره إلى الجنة دار السُعداء، ومنزل الأتقياء.

السعادة الحقيقة التي يتمناها كل عبد صالح: هي التي إذا فتح الله أبوابها لم يستطع أحد أن يغلقها عليك، إذا أراد الله أن يسعد العبد كان أول ما يرزقه الإيمان بالله جل وجلاله، مَنْ عرف الله بأسمائه الحُسني وصفاته العلي ورزقه الله سلامة الإيمان، واستقامة الجنان وفوضَّ الأمور كلها للواحد الرحمن، واعتقد من قرارة قلبه أن لا ملجأ ولا مُنجي ولا مفر من الله إلا لله.

أيها الأحبة في الله: إذا أراد الله أن يسعد العبد رزقه انشراح الصدر بذكره، وطمأنينة القلب بالإنابة إليه وشكره، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات من السعداء، إذا أراد الله أن يسعد العبد رزقه قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً، فأصبح لسانه لا يفتر عن ذكر الله، جل جلاله وأصبحت ساعاته وحركاته وسكناته كلها لله، سُبحانه وتعالي ينتقل من طاعة إلى طاعة ومن بر إلى بر ومن خير إلي خير لا يسأم ولا يمل وقلبه مُعلق بالله سُبحانه وتعالي

ـتذكر قبل فوات الأوان: يا من يظن أن السعادة في معصية الله هل أنت سعيد؟

يا عاق والديك ، يا هاجر القران ، يا تارك الصلاة ، يا ظالم الناس وآكل حقوقهم ، يا ناسي القبر، لو كلَّم الأموات الأحياء لقالوا: ما أكثر ما عندكم من الغفلة ، وما عندنا في قبورنا أكثر من الحسرة ، ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا فلْنَتَّخِذ حذرنا ، وتلك الأيام نداولها بين الناس، إن الفلك دوار والحياة لا تتوقف ، والحوادث لا تكف عن الجريان ، والناس يتبادلون الكراسي الزائلة ، وضعفاء الأمس اقويا اليوم والأغنياء أصبحوا فقراء ، والفقراء تحولوا إلى أغنياء ، ولا حزن يستثمر ولا فرح يدوم ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) سورة "ق" (٣٧).

حقا أول ما نأخذهُ من الدنيا شهقةَ هواء، وأول ما نتركهُ من الدنيا زفرةَ هواء، هذا هو العدل نعيدُ ما أخذناه بسخاء

يا جاحد النعم: الوقت الذي تتضجر فيه من أولادك غيرك يتمنى أظفارهم ، الوقت الذي تختنق فيه من شغلك غيرك حفيت أقدامه على عمل ، الوقت الذي تندم فيه انك تزوجت غيرك يحلم أن يتزوج ، الوقت الذي تتمنى أن يكون لديك سيارة غيرك قعيد على كرسي متحرك ، الوقت الذي تقوم فيه من النوم مكتئبا مكشرا غيرك يقوم يغسل كليته ، الوقت الذي تغضب فيه أباك وأمك غيرك يتمنى يوم من أيامهم ليقبل أقدامهم ، واقعك الذي تعيشه أحلام بالنسبة لغيرك ـ تنام بدون حبوب مهدئه ـ ولا إبر معلقه ـ ولا أجهزة تراقب نبضات قلبك فقل الحمد لله سبحانه حجب عنك ما تريد ليمنحك ما تحتاج..

والسعيد باختصار هو: الذي حقق العبودية لربه تبارك وتعالى فلو أبحرت في كل بحار العالم وعلى كل ذرة تراب بهذا الكون لتبحث عن السعادة فلن تجدها إلا إذا منحك الله تعالى إياها، فأصلح علاقتك مع ربك يصلح حالك فيسعد قلبك... فمن أراد السعادة فليلتمسها في المسجد في المصحف في السنة، في الذكر في التلاوة، في الهداية في الاستقامة في الالتزام، في إتباع محمد، عليه الصلاة والسلام.

إن خريطة الوصول إليها في كتاب كريم محكم الآيات هو القرآن العظيم، وفي ثنايا السنة تجد إشارات تسرع بك أيها الساعي إلى السعادة.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الإسراء والمعراج دروس وعبر

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار مكور الليل على النهار تذكرة لأولي القلوب والأبصار أيقظ من خلقه من اصطفاهم فزهدهم في هذه الدار وشغلهم بمراقبته وإدامة الافتقار وملازمة الاتعاظ والادكار ووفقهم للدؤب في طاعته والتأهب لدار القرار والحذر مما يسخطه ويوجب دار البوار والمحافظة على ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

إلهي لا تعذبني فإني ** مقر بالذي قد كان مني
ومالي حيلة إلا رجائي ** وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا ** وأنت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في ندمي عليها ** عضضت أناملي وقرعت سني
يظن الناس بي خيراً وإني ** لشر الناس إن لم تعف عني

واشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين والهادي إلي صراط مستقيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين.

العناصر

أولاً: تعريف الإسراء والمعراج
ثانياً: حال النبي ﷺ قبل الإسراء والمعراج
ثالثاً: قصة الإسراء والمعراج
رابعاً: إخباره ﷺ بالمعجزة للمشركين
خامساً: الدروس المستفادة منها

الموضوع

أولاً: تعريف الإسراء والمعراج:

الإسراء لغة : من السَّرى، وهو السير ليلاً، وقال السخاوي في تفسيره: إنما قال: ليلاً. والإسراء لا يكون إلاَّ بالليل؛ لأن المدَّة التي أُسْـرِيَ به فيها لا تُقْطَع في أقل من أربعين يومًا، فقُطعت به في ليلٍ واحد، فكان المعنى: سبحان الذي أسرى بعبده في ليلٍ واحد من كذا وكذا، وهو موضع التعجب، وإنما عدل عن ليلة إلى ليل؛ لأنهم إذا قالوا: سرى ليلة. كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى، فقيل: ليلاً. أي في ليل"(١)

وقيل: الإسراء رحلة أرضية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس.

أما المعراج: فهو رحلة سماوية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى ثم اللقاء بالله سبحانه وتعالى.

(١) تاج العروس

وقيل: الإسراء هي تلك الرحلة الأرضية وذلك الانتقال العجيب، بالقياس إلى مألوف البشر، الذي تمَّ بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والوصول إليه في سرعة تتجاوز الخيال، يقول تعالى في سورة الإسراء: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "سورة الإسراء

وأما المعراج: فهو الرحلة السماوية والارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام، يقول تعالى في سورة النجم: " وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى "النجم

ثانياً: حال النبي ﷺ قبل الإسراء والمعراج:

دعا رسول الله ﷺ الى الله في مكة فترة طويلة، ولما لم يجد قبولا كبيرا للدعوة أحب أن يفتح بابا جديدا للدعوة في مكان آخر، فذهب إلى الطائف ومشى على قدمه مسافة طويلة جداً، ولما وصل اليها وبدأ يدعوهم الى الله إذا بهم يغروا به سفائهم وغلمانهم وصبيانهم فآذوه والقوه بالحجارة حتى أدموا قدميه ﷺ وألجئوه إلى خارج الطائف، وعاد مهموما حزينا.

ومع ذلك لما جاءه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال قائلا له:

كما جاء عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) [1]

((الأَخْشَبَان)): الجَبَلان المُحيطان بمكَّة. وَالأخشبُ: هُوَ الجبل الغليظ.

فيعود رسول الله ﷺ إلى مكة ويملأ الأسى قلبه ويملأ الحزن فؤآده، فزوجة حبيبة إلى قلبه قد فارقته، وعم كان يجود عنه قد فارقه، أصحابه في مكة والحبشة لا يستطيع حمايتهم، بل هو نفسه مطارد وقد فقد الأمل في أن يجد للدعوة ارضا خصبة في الطائف للدعوة إلى الله.

أما لهذه الاحزان من نهاية، أما لهذا الليل الذي طال ظلامه من صبح صادق وفجر مشرق.

نعم لقد كان هناك حدث عظيم وتسلية مذهلة مسحت أحزان النبي ﷺ وآلامه، لقد طوى الله له المسافات حتى رأى في جزء من هذه الليلة الجميلة الجليلة ما خلق الله في السماوات من الكواكب والنجوم والجنة والنار .....

كانت هذه المعجزة مكافئة ربانية من الله لنبيه ﷺ على ما لاقاه من آلام وأحزان طوال فترة الدعوة، وكأن الله تعالى يقول لحبيبه المصطفى: إن كان اهل مكة وأهل الطائف قد طردوك فإن رب السماوات والارض يدعوك، قم ايها المصطفى لترحل من عالم الأرض إلى عالم السماء، رفعه الله تعالى إليه ووضع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما لاقاه من حزن وألم.

---

(١) صحيح البخاري

يـا صـــاحـب الـهـم إن الـهـم مـنـفـرج ** أبشر بخير فـــإن الفـــارج الله
اليأس يقطـــع أحيانا بصاحبـــه ** لا تيأســـن فـــإن الكافـــي الله
الله يحـــدث بعد العسر ميســـرة ** لا تجزعـــن فـــإن القاســـم الله
إذا بليـــت فثق بالله وارضَ بـــه ** إن الـذي يـكشـف الـبـلـوى هـو الله
والله مالَكَ غير الله مـــن أحـــد ** فحسبـــك الله فـي كـــلٍ لك الله

ثالثاً: قصة الإسراء والمعراج

قال تعالى " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"
وقال تعالى "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) سورة النجم
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ - عليه السلام - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ -ﷺ- اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِى وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَىِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ.قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ -ﷺ-. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ -ﷺ-إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِىَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ -عليه السلام -قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ.قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ -ﷺ-فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام. قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى -ﷺ-فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ -ﷺ-. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ -ﷺ-مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِى إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ -قَالَ -فَلَمَّا

غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى -ﷺ-فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ -فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى -عليه السلام- حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً -قَالَ -فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى -ﷺ- فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ" (١)

ومعني " وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ": أي هل اذن له بالصعود الى السماء، وليس كما يتوهم بانه بعث اليه بالرسالة.
وقال السيوطي أيضًا: "الحكمة في كون آدم في الأُولى أنه أوَّل الأنبياء وأوَّل الآباء، وهو أصلٌ فكان أوَّلاً في الآباء، ولأجل تأنيس النبوَّة بالأُبُوَّة، وعيسى في الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدًا من محمد ، ويليه يوسف؛ لأنَّ أُمَّة محمد يدخلون الجنَّة على صورته، وإدريس قيل: لأنه أوَّل مَنْ قاتل للدِّينِ فلعلَّ المناسبة فيها الإذن للنبي بالمقاتلة ورفعه بالمعراج؛ لقوله تعالى: "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" "مريم: ٥٧"، والرابعة من السبع وَسَط معتدل، وهارون لقربه من أخيه موسى، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله، وإبراهيم لأنه الأب الأخير، فناسب أن يتجدَّد للنبي بلُقْيَاه أُنْس لتوجُّهه بعده إلى عالم آخر، وأيضًا فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة الحبيب أرفع؛ فلذلك ارتفع عنه إلى قاب قوسين أو أدنى".
وقال أيضًا: اقتصر الأنبياء على وصفه بالصالح، وتواردوا عليها؛ لأن الصلاح تشمل خلال الخير؛ ولذا كرَّرها كلٌّ منهم عند كل صفة.
وقد ذكر القرطبي كذلك أن الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي في أمر الصلاة، قيل: لأنه أوَّل من تلقَّاه عند الهبوط؛ ولأنَّ أُمَّته أكثر من أُمَّةِ غيره؛ ولأنَّ كِتَابَه أكبر الكتب المنزَّلة قبل القرآن تشريفًا وأحكامًا، أو لكون أُمَّة موسى قد كُلِّفت من الصلوات بما لم تُكَلَّف به غيرُها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أُمَّة محمد، ويُؤَيِّد ذلك ما ذُكِر في الرواية السابقة بقوله: "أنا أعلم بالناس منك".
ولعلَّ الحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء والمعراج أنه لمَّا عُرج به في تلك الليلة تعبَّد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله له ولأُمَّته تلك العبادات كلها؛ يصليها العبد في ركعة واحدة، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، وفي اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء إلى عظيم بيانها؛ ولذلك اختصَّ فرضها بكونه بغير واسطة بل بمراجعات تعدَّدت.
ونضيف إلى ذلك أن الله تعالى أراد أن يُعِدَّ رسوله لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلاميَّة، هذه المرحلة تُشبه المرحلة التي رأى فيها موسى آيات الله تعالى، وهي مرحلة مجابهة فرعون؛ فقد قال الله تعالى عن موسى: "لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" "طه: ٢٢٣". فموسى الذي سيقابل فرعون الطاغية قد هُيِّئَ بهذه الرؤية لاحتقار كلّ القوى الأرضيَّة ما دامت معه قوَّة الله تعالى، والرسول كان مأمورًا بالصبر طيلة الفترة المكية، ثم إنه بعد الهجرة أمر بالمجابهة، وكان الإسراء والمعراج قبل الهجرة بقليل -بعام واحد على أصحِّ الأقوال-فكانت رؤية آيات الله الكبرى تمهيدًا لهذه

(١) صحيح مسلم

المرحلة التي سيقف فيها رسول الله بالقلة من أصحابه في وجه الدنيا كلها، فقال تعالى في أوائل سورة النجم عن المعراج: "لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" "النجم: ١٨"

رابعاً: إخباره ﷺ بالمعجزة للمشركين:

قال ابن كثير: أن أبا جهل لعنه الله رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم فقال له: هل من خبر؟ فقال نعم فقال: وما هو؟ فقال : إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم قال : أ رأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتني به ؟ قال : نعم فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك و أراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك و يبلغهم فقال أبو جهل : هيا معشر قريش و قد اجتمعوا من أنديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتني به فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى و أنه جاء بيت المقدس هذه الليلة و صلى فيه فمن بين مصفق و بين مصفر تكذيبا له و استبعادا لخبره و طار الخبر بمكة و جاء الناس إلى أبي بكر ﷺ فأخبروه أن محمدا ﷺ يقول كذا وكذا فقال : إنكم تكذبون عليه فقالوا : و الله إنه ليقوله فقال : إن كان قاله فلقد صدق .

ثم جاء إلى رسول الله ﷺ و حوله مشركوا قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعمله عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون و يعلموا صدقه فيما اخبرهم به و في الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قال فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشيء فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم فقالوا : أما الصفة فقد أصاب و ذكر ابن إسحاق فأخبرنا عن عير لنا قادم من الشام ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بخبر القافلة التي يتقدمها جمل أورق ، كما أخبرهم أنها ستصل يوم كذا مع طلوع الشمس ، وعندما خرجوا ينتظرون وصول القافلة مع طلوع الشمس قالوا عندما رأوها : إن هذا سحر مبين .

فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة فآمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه كما قال الله تعالى " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس " أي اختبارا لهم وامتحانا"[1]

خامساً: الدروس المستفادة منها

ذكر الله على كل حال: تبدأ سورة الإسراء بكلمة " سبحان " فيها التنزيه والتعظيم والإجلال لصاحب هذه المعجزة من ألفها إلى يائها، فكانت المعجزة كلها بقدر الله وبقدرة الله عز وجل، ولكن الأمةَ تتعلم درس التسبيح والتعظيم والتمجيد لله عز وجل ومفاد ذلك: أن تعيش الأمة مسبحة لله، أن تعيش الأمة ذاكرة لله، أن تعيش الأمة موصولة بذكرها وتسبيحها لله عز وجل، ولما لا تعيش الأمة مسبحة لربها والكون كله مسبح لله يقول تعالى: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" (الإسراء: من الآية ٤٤).

شرف العبودية "أسرى بعبده": يقول المولى سبحانه "سبحان الذي أسرى بعبده" ولماذا لم يقل برسوله أو نبيه أو حبيبه أو خليله ، فلله عز وجل في كونه عبيد وعباد ، فكلنا عبيد الله الطائع فينا والعاصي والمؤمن فينا والكافر ، ولكن عباد الله هم الذين أخلصوا له فاتحد اختيارهم مع منهج الله سبحانه وتعالى ، ما قال لهم افعلوه فعلوه وما نهاهم عنه انتهوا؛ ولذلك عندما يتحدث القرآن عن المخلصين بين خلق الله لا يسميهم عبيد ولكن يسميهم عبادًا يقول تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ

---

(١)السيرة النبوية لابن كثير

عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣)" (الفرقان) .

والحق قد استخدم كلمة عبده ليلفتنا إلى حقيقتين هامتين؛ الأولى أن الإسراء بالروح والجسد ولم يكن منامًا، والثانية والأهم أن الله جل جلاله يريد أن يثبت لنا أن العبوديةَ له هي أسمى المراتب التي يصل إليها الإنسان، فالعبودية لله عزة ما بعدها عزة، وعطاء ما بعده عطاء في سورة الكهف يقول الحق: " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)".

إن العبودية لله شرف، والعبودية للبشرية نقيصة وذلة؛ لأن السيدَ يريد أن يأخذ خير عبده وأن يجرده من كل حقوقه وماله، ولكن لله سبحانه وتعالى يعطي بغير حساب فكفى بالمرء عزًا أن يكون عبدًا وكفى به فخرًا أن يكون الله له ربًا، ولقد خُيِّر رسول الله-"-بين أن يكون نبيًا ملكًا أو عبدًا رسولاً فاختار أن يكون عبدًا رسولاً. وبهذه العبودية وصل رسول الله-"-إلى مكانٍ لم يصل إليه ملكٌ مقربٌ ولا نبي مرسل، بل كان رسول الله يجتهد أن يصل إلى هذه العبودية الحقة بقيامِ الليل حتى تورمت أقدامه فلما أشفقت عليه زوجه عائشة-رضي الله عنها-وقالت: يا رسول الله هون على نفسك فأنت الذي غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال المعصوم-" -: " يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا"، بل طلبَ من أمته ذلك؛ فقال-"-: "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله".

وليعلم كل مسلم أن التمكين والنصر والتأييد والأمن لا يكون إلا لعباد الله عز وجل المخلصين قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا" (النور: من الآية ٥٥).

الاطلاع على قدرة الله تعالى: إن القدرة الإلهية التي خلقت هذا الكون الكبير، لن تعجز عن حمل بشر إلى عالم السماء، وإعادته إلى الأرض، في رحلة ربانية معجزة لا يدري كيفيتها بشر؛ فالإسراء: آية من آيات الله تعالى التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، وهو انتقال عجيب بالقياس إلى مألوف البشر؛ ولهذا فقد أثار كفار قريش حوله جدلاً طويلاً، وتساؤلات كثيرة. ولا يخفى على كل ذي بصيرة أن الله تعالى واضع نظام هذا الكون وقوانينه، وأن من وضع قوانين التنفس والجاذبية والحركة والانتقال والسرعة وغير ذلك، قادر على استبدالها بغيرها عندما يريد ذلك.

فلو فرضنا مثلا أن رجلا يريد أن ينتقل من مصر إلى القاهرة، فمن المؤكد أنه سيحتاج إلى وسيلة مواصلات، فلو ركب دراجة مثلا لقطع المسافة في زمن كبير، ولو ركب سيارة فيقطع المسافة في وقت أقل، ولو ركب طيارة لقل الوقت أكثر، وهكذا فالقدرة تتناسب تناسبا عكسيا مع الزمن، بمعنى أنه إذا زادت القدرة قل الزمن

والعكس، فما بالك إذا كان الذي يتحكم في القدرة والزمن هو الله وهو القادر على كل شئ.

الاطلاع على بدائع صنع الله: عندما يطلع الإنسان على عظمة الله سبحانه، ويدرك بديع صنعه، وعظيم قدرته، يثق بنفسه ودينه ويطمئن إلى أنه بإيمانه يكون قد لجأ إلى ركن وثيق لا يختار له إلا الأصلح، ولا يريد له إلا الخير، قادر على كل شيء، ومحيط بكل الموجودات.

مكانة المسجد الأقصى في الإسلام: للمسجد الأقصى قدسية كبيرة عند المسلمين ارتبطت بعقيدتهم منذ بداية الدعوة. فهو يعتبر قبلة الأنبياء جميعاً قبل النبي محمد ﷺ وهو القبلة الأولى التي صلى إليها النبي ﷺ قبل أن يتم تغير القبلة إلى مكة. وقد توثقت علاقة الإسلام بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج

حيث أسرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وفيه صلى النبي إماما بالأنبياء ومنه عرج النبي ﷺ إلى السماء. وهناك في السماء العليا فرضت عليه الصلاة.

ويعتبر المسجد الأقصى هو المسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال، فقد ذكر النبي ﷺ إن المساجد الثلاثة الوحيدة التي تشد إليها الرحال هي المسجد الحرام، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ص قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى" (١)

قال أمير الشعراء احمد شوقي:

أســـــرى بك الله ليلا إذ ملائكة ** والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت بهم التفوا بسـيدهم ** كـالشـــهب بـالبدر أو كـالجند بـالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر ** ومن يفز بحـــــبـــــيـــــب الله يأتم
حتى بلغت سماء لا يطـــار لها ** على جناح ولا يســـــــعى على قدم
وقـــيل كل نبـــي عند رتبـــته؟ ** ويا محمد هـــــــذا العرش فاستلم

الرسول ﷺ إماماً للأنبياء والمرسلين: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- "لَقَدْ رَأَيْتُنِى فِى الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِى عَنْ مَسْرَاىَ فَسَأَلَتْنِى عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا. فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِى أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْـأَلُونِى عَنْ شَـىْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ وَقَدْ رَأَيْتُنِى فِى جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّى فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عليه السلام - قَائِمٌ يُصَلِّى أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِىُّ وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ - عليه السلام - قَائِمٌ يُصَلِّى أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِى نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِى بِالسَّلاَمِ" (٢)

جعد: منقبض الشعر غير منبسطه، الضرب: الخفيف اللحم الممشوق المستدق، الكربة: الغم والهم

وفي هذا دلالات منها أن الإســـلام هو كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، ودليل على عالمية الإســـلام، وعموم رسـالة محمد، وأنه حامل لواء الهداية للخلق جميعًا، تحمَّلها سيدنا رسـول الله بأمانة وقوة، وقام بحقها على خير وجه، ثم ورَّثها لأمته من بعده، وبذلك أصـبحت خير أمة أخرجت للناس، ومسـئولة عن إقامة حُجَّة الله على خلقه جميعًا، كما قال تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" "البقرة: ١٤٣".

أصـــل الـدين واحـد هو التوحيـد: إن أنبيـاء الله ورســـلـه بعثهم الله إلى خلقه ليعرفوهم بـالله، وكيف يعبدونه؛ ليُعلموهم أن الله وحده هو المستحق للعبادة، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ" "الأنبياء: ٢٥". وهذا يعني أن رسالة الأنبياء واحدة، وأنهم جميعًا إخوة، وقد أكَّد رسول الله هذه الحقيقة في مناسبات عدة، منها: قوله عن نبي الله يونس "أخي كان نبيًّا، وأنا نبي"(٣)

وعن أبي هريرة قال: قال رســـول الله: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَـــى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ" (٤).

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم (٣) تفسير القرطبي (٤) صحيح البخاري

والعَلات بفتح المهملة: الضرائر. وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عَلَّ منها. والعلل: الشُّرب بعد الشرب. وأولاد العلات: الإخوة من الأب ١٣". أي أن شرائعهم متعددة، وأصل الدين واحد هو التوحيد. وجاءت ليلة الإسراء والمعراج تؤكد المعنى السابق، فوجدنا أن العبارة التي رددها الأنبياء عليهم السلام ترحيبًا بسيدنا محمد حين استقبلوه في السماوات العُلا هي: "مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ"(١)

الإسلام دين الفطرة: وقد ظهر ذلك في اختيار النبي - ﷺ - اللبن على الخمر، وبشارة جبريل - عليه السلام - للنبي ـــ ﷺ ـــ بقوله: هُدِيت إلى الفطرة، ففي ذلك دلالة على أن الإسلام هو الدين الذي يلبي نوازع الفطرة في توازن بين الروح والجسد، والمصالح والمفاسد، والدنيا والآخرة، فلو أن الفطرة كانت جسما ذا طول وأبعاد، لكان الدين الإسلامي الثوب المفصل على قدره، وهذا من أهم أسرار سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه، رغم ما يوضع أمامه من عوائق وعقبات. قال تعالى:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " (الروم)

فضل ومكانة سيدنا محمد ﷺ: حيث صعد به رب العزة والجلالة إلى مكان عظيم لم يبلغه أحد من البشر قبله، حيث عرج به إلى السماوات السبع، وتخطاهن حتى وصل إلى سدرة المنتهى، وكلَّمه رب العزة والجلالة.

انتقال النبى ﷺ من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين: وعلم اليقين: بمعنى انه إذا قلنا ان النبي ﷺ أخبرنا أن الجنة فيها ما لا عين رَأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن نصدقه ولكننا لم نرى شيئاً.

وعندما نرى ما أخبرنا به رسول الله ﷺ فهذا عين اليقين أي رأيت ذلك المخبر عنه بعينك

وذلك كما قال الله تعالى "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) " سورة التكاثر

أهمية الصلاة ومنزلتها في الإسلام: وذلك أن الصلاة هي الفريضة الوحيدة التي فرضت ليلة الإسراء والمعراج في السماء السابعة وبدون واسطة ، قال رسول الله ﷺ : " ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ، قلت: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي ـــ وَاللَّهِ ـــ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ! قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى، وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي (٢)

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري

الاستفادة من الخبرات السابقة: ويتضح لنا ذلك من خلال استجابة سيدنا رسول الله لنبي الله موسى بالمراجعة في أمر الصلوات: "، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ ".

شجاعة النبي ـ ﷺ ـ في الجهر بالحق ويظهر ذلك في مواجهته ـ ﷺ ـ للمشركين بأمر تنكره عقولهم، فلم يمنعه من الجهر به، الخوف من مواجهتهم واستهزائهم، فضرب بذلك ـــ ﷺ ـــ لأمته أروع الأمثلة في وقوف الحق أمام الباطل وأهله، وإن كان هذا الحق غريبا عليهم.

الصداقة الحقيقية مبادئ ومواقف: فحينما عاد النبي ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج وقص على قريش ما حدث، انطلق نفرٌ منهم إلى أبي بكر ﷺ يسألونه عن موقفه من الخبر، فقال لهم: " لئن كان قال ذلك لقد صدق"

معجزة من معجزات النبي ـ ﷺ ـ حارت فيها بعض العقول: فزعمت أنها كانت بالروح فقط، أو كانت مناما، لكن الذي عليه جمهور المسلمين من السلف والخلف أنها كانت بالجسد والروح، قال الإمام ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري: إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة، في اليقظة بجسده وروحه ـــ ﷺ ـ وإلى هذا ذهب جمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله، حتى يحتاج إلى تأويل. وكذلك قال النووي ـــ رحمه الله ـــ في شرحه لصحيح مسلم: ومن الأدلة كذلك على أن الإسراء والمعراج بالجسد والروح استعظام كفار قريش لذلك، فلو كانت المسألة مناما لما استنكرته قريش، ولما كان فيه شيء من الإعجاز.

أيها المسلمون

إن رحلة الإسراء والمعراج لم تكن مجرد رحلة تسرية وتسلية لقلب النبي ﷺ فحسب، بل كانت رحلة تربية وتهذيب لنا، فلعلنا ننتفع بهذه الدروس، ونحيي بها ما اندرس في النفوس.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

فضل الصلاة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أراد فقدر، وملك فقهر، وخلق فأمر وعبد فأثاب، وشكر، وعصي فعذب وغفر، جعل مصير الذين كفرو إلى سقر، والذين اقو ربهم إلي جنات ونهر، ليجز الذين كفرو بما عملوا، والذين امنوا بالحسنى

وأشهد إلا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير

يا رب

رضاك خير إلي من الدنيا وما فيها ** يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملى ** خير إلى من الدنيا وما فيها
فليس للنفس آمال تحققها ** سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وكشف الظلمة وأحاط به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا ** فصلوا عليه بكرة وأصيلا
ملئت نبوته الوجود فأظهرا ** بحسامه الدين الحديد فأسفرا
من لم يصلي عليه كان بخيلا ** فصلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

العناصر

أولا: الأمر بأدائها في القرآن الكريم
ثانيا: الترغيب في أدائها في السنة النبوية
ثالثا: وصية الله لرسله بالصلاة
رابعا: فضل صلاة الجماعة
خامسا: حال السلف مع صلاة الجماعة
سادسا: فوائد صلاة الجماعة
سابعا: الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها

الموضوع

أولا: الأمر بأدائها في القرآن الكريم: ▪

قال تعالي:"اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت ٤٥)

"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (البقرة ٤٣)

"وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (البقرة ٤٥)

"وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (البقرة ٨٣)

"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (البقرة ١١٠)

"وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (البقرة ١٢٥)

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (البقرة ١٥٣)

"حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ (البقرة ٢٣٨)
"فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ (النساء ١٠٣)
"يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ (النساء ١٦٢)
"لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي (المائدة ١٢)
"الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (المائدة ٥٥)
"وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (الأنعام ٧٢)
"واللذين َهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (الأنعام ٩٢)
"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام ١٦٢)
"وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ (الأعراف ١٧٠)
"وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (يونس ٨٧)
"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ (هود ١١٤)
"قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ (إبراهيم ٣١)
"رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي (إبراهيم ٤٠)
"أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ (الإسراء ٧٨)
"وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا (طه ١٣٢)
"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ (الأنبياء ٧٣)
"الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ (الحج ٤١)
"فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ (الحج ٧٨)
"الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (المؤمنون ٢)
"وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (المؤمنون ٩)
"رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ (37النور)
"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (النور ٥٦)
"مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الروم ٣١)
"ا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ (لقمان ١٧)
"وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (الأحزاب ٣٣)
"فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (المجادلة ١٣)
"فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (الكوثر ٢)

ثانيا: الترغيب في أدائها في السنة النبوية

نور للعبد يوم القيامة: عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها " [1]

(1) صحيح مسلم

أفضل الأعمال بعد الشهادتين: أفضل الأعمال بعد الشهادتين؛ لحديث عبد الله بن مسعود -ﷺ- قال: سألت رسول الله -ﷺ-: أي العمل أفضل؟ قال :"الصلاة لوقتها" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "برّ الوالدين" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" (١)

تغسل الخطايا: لحديث جابر -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات"(٢)

تكفّر السيئات: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ "الصَّلاَةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ". (٣)

نور لصاحبها في الدنيا والآخرة: عن بريدة -ﷺ- عن النبي -ﷺ- أنه قال: "بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"(٤)

يرفع الله بها الدرجات، ويحط الخطايا: عن أَبِى طَلْحَةَ الْيَعْمَرِىُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْتُ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِى اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ قُلْتُ بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ. فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً". قَالَ مَعْدَانُ ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِى مِثْلَ مَا قَالَ لِى ثَوْبَانُ"(٥)

دخول الجنة برفقة النبي -ﷺ-: عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِىُّ قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِى "سَلْ". فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ. قَالَ "أَوَغَيْرَ ذَلِكَ". قُلْتُ هُوَ ذَاكَ. قَالَ "فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" (٦)

المشي إليها تكتب به الحسنات وترفع الدرجات وتحط الخطايا: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- "مَنْ تَطَهَّرَ فِى بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِىَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" (٧)

تُعدُّ الضيافة في الجنة بها كلما غدا إليها المسلم أو راح: لحديث أبي هريرة -ﷺ- عن النبي -ﷺ-: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نُزُلاً كُلَّما غدا أو راح "(٨)، والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه

يغفر الله بها الذنوب فيما بينها وبين الصلاة التي تليها: لحديث عثمان ﷺ- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها" (٩)

تكفر ما قبلها من الذنوب: لحديث عثمان -ﷺ- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوؤها، وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأتِ كبيرة، وذلك الدهر كلّه"(١٠)

تُصلّي الملائكة على صاحبها ما دام في مُصلاّه، وهو في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه: عن أبي هريرة -ﷺ- قال: قال رسول الله-ﷺ- -: "صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح مسلم
(٥) مشكاة المصابيح
(٦) صحيح مسلم
(٧) صحيح مسلم
(٨) متفق عليه
(٩) صحيح مسلم
(١٠) صحيح مسلم

سوقه بضعًا وعشرين درجةً. وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخطُ خطْوَة إلا رُفِعَ له بها درجةً، وحُطَّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة تحبسه، والملائكة يُصلُّون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللَّهم ارحمه، اللَّهم اغفر له، اللَّهم تب عليه، ما لم يؤذِ فيه، ما لم يحدث فيه"(١)

انتظارها رباط في سبيل الله: لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ -قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات))؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"(٢)

أجر من خرج إليها كأجر الحاج المحرم: عن أبي أمامة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ -قال: "من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين" (٣)

من سُبِق بها وهو من أهلها فله مثل أجر من حضرها: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ -: "من توضأ فأحسن الوضوء، ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله – عز وجل -مثل أجر من صلاها وحضرها، لا ينقص ذلك من أجرهم شيئًا" (٤)

إذا تطهر وخرج إليها فهو في صلاة حتى يرجع: ويكتب له ذهابه ورجوعه؛ لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ -: "إذا توضأ أحدكم في بيته، ثم أتى المسجد، كان في صلاة حتى يرجع، فلا يقل: هكذا" وشبك بين أصابعه" (٥)

إنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة: عن أبى هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال) :إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضة قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك"(٦)

ثالثا: وصية الله لرسله بالصلاة

وصى الله سيدنا عيسى عليه السلام بالصلاة وهو في المهد فقال تعالى: " أوصاني بالصلاة".

لما نهى سيدنا شعيب قومه عن الشرك والفساد الاقتصادي: " قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ. .....إنها الصلاة

يترك سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه في صحراء قاحلة ثم يقول " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" إبراهيم ..... انها الصلاة

يأتي سيدا موسى عليه السلام لموعد لا تتخيل القلوب عظمته ثم يتلقى أعظم أمرين: قال تعالى "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي " طه ..... انها الصلاة

" وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" يونس..... انها الصلاة

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح سنن أبي داود
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صحيح الجامع

سيدنا سليمان يضرب أعناق الخيل لأنها شغلته عن الصلاة : قال تعالى" وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ "ص" ٠٠٠٠انها الصلاة

بشـــرى الولد لزكريا عليه السلام بعد أ بلغ من الكبر عتيا: قال تعالى" فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَـــلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" آل عمران ..... انها الصلاة.

شغل الكفار رسول الله ﷺ عن الصلاة فدعا عليهم دعاءً مرعبا: فعَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- "مَلأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا كَمَا حَبَسُونَا وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ" [١] .....إنها الصلاة.

ما قرنت عبادات في القرآن بعبادات متنوعة كالصلاة فقد قرنت بالزكاة والصبر والنسك والجهاد وغير ذلك .....انها الصلاة

رابعا: فضل صلاة الجماعة

أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً "[٢]

البراءة من النار والنفاق: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رســـول الله ﷺ: من صـــلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق"[٣]

الموت علي الإسلام ودليل علي كمال إسلام العبد: عن ابن مسعود ﷺ قال من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضـــللتم وما من رجل يتطهر فيحســـن الطهور ثم يعمد إلى مســـجد من هذه المســـاجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حســـنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها ســـيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصـــف"، وفي رواية لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصـــلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض إن كان الرجل ليمشـــي بين رجلين حتى يأتي الصلاة وقال إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه"[٤]

أمر بالمحافظة على أداء الصلاة في وقتها: قال الله تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) وقال تعالى: (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ)

أنّ أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر في جماعة: عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : "إنّ أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصّلاة فتقام، ثمّ آمر رجلا فيصلّي بالنّاس، ثمّ أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصّلاة فأحرّق عليهم بيوتهم بالنّار" [٥]

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح مسلم
(٥) متفق عليه

تعدل قيام الليل: عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله "[١]

الترغيب بحضور الجماعة ولو حبوا: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا " [٢]

خامسا: حال السلف مع صلاة الجماعة

أ-قال سعيد بن المسيب: ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد

ب-قال ابن عباس ﷺ: من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا لم يرد به خير

ج-قال أبو هريرة ﷺ: لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب

د-روي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له: إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق

ذ-روي أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

ر-قال ابن عمر ﷺ: خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر ﷺ والحائط البستان فيه النخل

ز-وقال محمد بن واسع: ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة أخا إنه إن تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفواً من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها

س-قال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشر آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا

ش-كان بعض السلف يقول: ما فاتت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه

ص-كان الربيع بن خيثم قد سقط شقه في الفالج فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك أنت معذور فيقول: هو كما تقولون ولكن أسمع المؤذن يقول: حي على الصلاة حي على الفلاح فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل

سادسا: فوائد صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة فيها فوائد كثيرة، ومصالح عظيمة، ومنافع متعددة شرعت من أجلها، وهذا يدل على أن الحكمة تقتضي أن صلاة الجماعة فرض عين، ومن هذه الفوائد والحكم التي شرعت من أجلها ما يأتي:

شرع الله -عز وجل-لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، ومنها ما هو في الأسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة متكرراً وهو صلاة العيدين لجماعة كل بلد، ومنها ما هو عامٌّ في السنة وهو الوقوف بعرفة؛ لأجل التواصل وهو الإحسان، والعطف، والرعاية؛ ولأجل نظافة القلوب، والدعوة إلى الله -عز وجل-بالقول والعمل.

---

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه

التعبد لله تعالى بهذا الاجتماع؛ طلباً للثواب وخوفاً من عقاب الله ورغبة فيما عنده.
التواد والتحاب لأجل معرفة أحوال بعضهم لبعض، فيقومون بعيادة المرضى، وتشييع الموتى، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين؛ ولأن ملاقاة الناس بعضهم لبعض توجب المحبة، والألفة.
التعارف لأن الناس إذا صلى بعضهم مع بعض حصل التعارف، وقد يحصل من التعارف معرفة بعض الأقرباء فتحصل صلته بقدر قرابته، وقد يعرف الغريب عن بلده فيقوم الناس بحقه.
إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام؛ لأن الناس لو صلوا كلهم في بيوتهم ما عرف أن هنالك صلاة.
إظهار عز المسلمين، وذلك إذا دخلوا المساجد ثم خرجوا جميعاً، وهذا فيه إغاظة لأهل النفاق والكافرين، وفيه البعد عن التشبه بهم والبعد عن سبيلهم.
تعليم الجاهل؛ لأن كثيراً من الناس يستفيد مما شرع في الصلاة بواسطة صلاة الجماعة، ويسمع القراءة في الجهرية فيستفيد ويتعلم، ويسمع أذكار أدبار الصلوات فيحفظها، ويقتدي بالإمام ومن بجانبه وأمامه فيتعلم أحكام صلاته، ويتعلم الجاهل من العالم.
تشجيع المتخلف عن الجماعة، والقيام بإرشاده وتوجيهه، والتواصي بالحق والصبر عليه.
تعويد الأمة الإسلامية على الاجتماع وعدم التفرق؛ فإن الأمة مجتمعة على طاعة ولي الأمر، وهذه الصلاة في الجماعة ولاية صغرى؛ لأنهم يقتدون بإمام واحد يتابعونه تماماً، فهي تشكل النظرة العامة للإسلام.
تعويد الإنسان ضبط النفس لأنه إذا اعتاد على متابعة الإمام متابعة دقيقة، لا يكبر قبله، ولا يتقدم ولا يتأخر كثيراً، ولا يوافق بل يتابعه تعود على ضبط النفس.
استشعار المسلم وقوفه في صف الجهاد كما قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ" "سورة الصف، الآية: ٤". فهؤلاء الذين صاروا صفّاً في الجهاد لا شك أنهم إذا تعودوا ذلك في الصلوات الخمس سوف يكون ذلك وسيلة إلى ائتمامهم بقائدهم في صف الجهاد، فلا يتقدمون ولا يتأخرون عن أوامره.
شعور المسلمين بالمساواة، وتحطيم الفوارق الاجتماعية؛ لأنهم يجتمعون في المسجد: أغنى الناس بجنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا، فيشعر الناس بأنهم سواء، فتحصل بذلك الألفة؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بمساواة الصفوف حتى قال: "ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم".
تفقد أحوال الفقراء، والمرضى، والمتهاونين بالصلاة؛ فإن الناس إذا رأوا الإنسان يلبس ثياباً بالية وتبدو عليه علامات الجوع رحموه، وأحسنوا إليه، وإذا تخلف بعضهم عن الجماعة عرفوا أنه كان مريضاً، أو عاصياً فينصحوه فيحصل التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
استشعار آخر هذه الأمة بما كان عليه أولها؛ لأن الصحابة كانوا يقتدون بالرسول ﷺ فيستشعر الإمام أنه في مقام الرسول ﷺ ويستشعر المأموم أنه في مقام الصحابة -رضي الله عنهم-وهذا يعطي الأمة الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه.
اجتماع المسلمين في المسجد راغبين فيما عند الله من أسباب نزول البركات.
يزيد نشاط المسلم فيزيد عمله عندما يشاهد أهل النشاط في العبادة، وهذا فيه فائدة عظيمة.
تضاعف الحسنات ويعظم الثواب.

الدعوة إلى الله -عز وجل-بالقول والعمل، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة اجتماع المسلمين في أوقات معينة يربيهم على المحافظة على الأوقات

سابعا: الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها

العذاب في الآخرة: قال الله تعالى: " فخلف من بعدهم خلف ضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً "مريم

وقال تعالي: ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين،" المدثر

وقال تعالي "فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (الماعون)

وحديثُ رؤيا النبيﷺ الطويلُ، وجاء فيه: ((أتاني الليلةَ آتيانِ، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقتُ معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى، ثم قالا له: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة) (١)

الخروج من الإسلام: عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة "(٢)

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " (٣).

وعن ابن عباس ﷺ قال من سمع حي على الفلاح فلم يجب فقد ترك سنة محمد رسول الله ﷺ" (٤)

لا يوجد عذر لترك الصلاة: عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال "من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر " (٥)

استحواذ الشيطان عليهم: عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية " (٦)

وعَنْ أَبِى الأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ -ﷺ- سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّى هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِى بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِى الصَّفِّ"(٧)

رغبة النبي ﷺ في حرق بيوت المتخلفين عن الصلاة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا لي حزما من حطب ثم آتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم " فقيل ليزيد هو ابن الأصم -الجمعة عنى أو غيرها قال صمت أذناي إن لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله ﷺ ما ذكر جمعة ولا غيرها " (٨)

إحباط العمل: عن بريدة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله " (٩)

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صحيح الترغيب والترهيب
(٧) صحيح مسلم
(٨) صحيح مسلم
(٩) صحيح البخاري

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله " [١]

ضياع عري الإسلام: عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة " [٢]

عدم قبول الصلاة: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تقبل له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع" [٣]

وعن أبي عبد الله الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال رسول الله ﷺ: لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا تغنيان عنه شيئا" [٤]

وعن أبي هريرة ﷺ: "أن النبيَّ ﷺ دخل المسجد، فدخل رجلٌ فصلَّى، ثم جاء فسلم على الرسول ﷺ، فرد النبي ﷺ فقال :"ارجع فصل، فإنك لم تصلِّ" .فصلَّى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال :"ارجع فصل، فإنك لم تصل" "ثلاثًا"، فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره، فعلمني، قال :"إذا قمتَ إلى الصلاة فكبِّر واقرأ ما تيسَّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئنَ راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدلَ قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئنَ ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئنَ جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئنَ ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها [٥]

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله: "إن الرجل ليسجد السجدة يظن أنه تقرَّب بها إلى الله سبحانه وتعالى، ووالله لو وُزِّع ذنب هذه السجدة على أهل بلدته لهلكوا"، سُئِلَ كيف ذلك؟ فقال :"يسجد برأسه بين يدي مولاه، وهو منشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا .فأي سجدة هذه؟".

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "فالإقبال على الصلاة والخشوع فيها من أهم المهمات وهو روحها، فينبغي العناية بالخشوع والطمأنينة في الصلاة، في سجوده، في ركوعه، وبين السجدتين، بعد الركوع يعتدل، يخشع ويطمئن ولا يعجل، سواء كان رجل أو امرأة جميعًا، وأكثر ما يكون في النساء .وإذا أخل بالخشوع على وجهٍ يكون معه النقر في الصلاة وعدم الطمأنينة تَبطل الصلاة، ويُكره له العبث بثيابه أو لحيته أو غير ذلك، وإذا كثر وتوالى حرم وأبطل الصلاة. فإذا اعتقد المُصلِّي أن عبثه كثير وقد توالى فعليه أن يُعيد الصلاة إن كانت فريضة".

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح البخاري

فضائل شهر شعبان

الحمد لله رب المشارق والمغارب، خلق الإنسان من طين لازب، ثم جعله نطفة بين الصلب والترائب، خلق منه زوجه وجعل منهما الأبناء والأقارب، تلطف به، فنوع له المطاعم والمشارب، وحمله في البَرِّ على الدواب، وفي البحر على القوارب، نحمَده تبارك وتعالى حمد الطامع في المزيد والطالب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من شر العواقب، وندعوه دعاء المستغفر الوجل التائب، أن يحفظنا من كل شر حاضر أو غائب.

وأشهد أن لا إله إلا الله القوي الغالب، شهادة متيقن بأن الوحدانية لله أمر لازم لازب،

أرأيت الأرض في دورانها كيف تمسكت بكل ثابت وسائب، أرأيت الشموس في أفلاكها كيف تعلقت بنجم ثاقب، أرأيت الرياح كيف سخِّرت فمنها الكريم ومنها المعاقِب، أرأيت الأرزاق كيف دبرت وهل في الطيور زارع أو كاسب، أرأيت الأنعام كيف ذُلِّلت وجادت بألبانها لكل حالب، أرأيت النحل كيف رشف رحيق الزهور فأخرج الشفاء مشارب، أرأيت النمل كيف خزن طعامه وهل للنمل كاتب أو حاسب،

أرأيت الفرخ كيف نقر بيضه وخرج في الوقت المناسب، أرأيت العنكبوت كيف نسجت وفي الخيوط مصائد ومصائب، أرأيت الوليد كيف التقم ثدي الأم دون علم سابق أو تجارِب، أرأيت الإنسان إذا ضحك، أرأيت كيف تثاءب، أرأيت نفسك نائمًا وقد ذهبت بك الأحلام مذاهب، إذا رأيت ذلك كله فاخشع فلا نجاة لهارب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسول الملك الواهب، ما من عاقل إلا علم أن الإيمان به حق وواجب.

سل السنوات السبع هل وطئها قبله راجل أو راكب، سل أبوابها كيف تفتحت ومن استقبله على كل جانب، سل الملائكة أين اصطفَّت لتحيتِه كما تصطف الكتائب، سل الروح الأمين لماذا توقف عند الحجاب ومن الحاجب، سل العشاق عن حبهم والناس فيما يعشقون مذاهب، سل سدرة المنتهى عن كأس المحبة مَن الساقي ومن الشارب، يا رب، صلِّ على الحبيب المصطفى أهل الفضائل والمواهب، وعلى الصحب والآلة ومن تبع عددَ ما في الكون من عجائب وغرائب.

العناصـــــــر

أولاً: فضل شهر شعبان

ثانياً: الواجب علي المسلم فيه

ثالثا: هل أنت من أهل الغفلة؟

الموضـــــــوع

أولا: فضل الصيام في شهر شعبان

أكثر الشهور صياما بعد رمضان: فعن عائشة رضي الله عنها: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ" (١)

وعن أبي سلمة، أن عائشة رضي الله عنها، حدثته قالت: "لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله "(٢)

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح البخاري

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: " كان رسول الله ص يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان "(١)

وعن أبي سلمة، قال: سألت عائشة رضي الله عنها، عن صيام رسول الله ﷺ، فقالت: " كان يصوم حتى نقول: قد صام ويفطر حتى نقول: قد أفطر، ولم أره صائما من شهر قط، أكثر من صيامه من شعبان كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا "(٢)

قال ابن حجر رحمه الله: ولا تعارض بين هذا وبين ما تقدم من الأحاديث في النهى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، وكذا ما جاء من النهى عن صوم نصف شعبان الثاني، فإن الجمع بينهما ظاهر بان يحمل النهى على من لم يدخل تلك الأيام في صيام اعتادها، وفي الحديث دليل على فضل الصوم في شعبان(٣)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان"(٤)

ترفع الاعمال فيه الي الله ويغفل الناس فيه عن الطاعة: عن أسامة بن زيد: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ "ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ"(٥)

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وفى هذا الحديث فوائد: أحدهما: أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولاً عنه.

وفي قوله: (يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه، إما مطلقا أو لخصوصية فيه لا يتفطن لها أكثر الناس فيشتغلون بالمشهور عنه، ويفوتون تحصيل فضيلة ما ليس بمشهور عندهم وفيه: دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوب لله عز وجل، كما كان طائفة من السلف.

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (قيل في صوم شعبان أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي رمضان وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن. قال سلمة بن كهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القرّاء. وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرّغ لقراءة القرآن) (٦)

قال العلماء: ورفع الأعمال على ثلاث درجات: أ-رفع يومي ويكون ذلك فى صلاة الصبح وصلاة العصر: فعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون"(٧)

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) فتح الباري (٤/٢١٥)
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح ابن ماجة
(٦)لطائف المعارف
(٧) متفق عليه

وعَنْ أَبِي مُوسَى t قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ" (١)

ب-رفع أسبوعي ويكون فى يوم الخميس: عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم"(٢)

ج-رفع سنوي ويكون ذلك فى شهر شعبان: عن أسامة بن زيد: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قال "ذلك شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ"(٣)

مغفرة الذنوب: قال رسول الله ﷺ إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن " (٤)، (المشرك: كل من أشرك مع الله شيئا في ذاته تعالى أو في صفاته أو في عبادته، والمشاحن: قال ابن الأثير: هو المعادي والشحناء: العداوة والتشاحن تفاعل منه

وقال الأوزاعي: أراد بالمشاحن ها هنا صاحب البدعة المفارق لجماعة الأمة)

وعن مكحول عن أبي ثعلبة ﷺ أن النبي ﷺ قال يطلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه (٥)

وعن أبي موسى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا مشرك أو مشاحن"(٦)

تحويل القبلة: وهو حدَثٌ عَظيم في تاريخ الأمَّة الإسلاميَّة؛ حيث كان تحويل القِبلة في البَدْء من الكعبة إلى بيت المقدس لحكمةٍ تربوية؛ وهي العمل على تقويةِ إيمان المؤمنين وتنقية النُّفوس من شوائب الجاهلية:(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)"البقرة: ١٤٣".

وبعد أن استتبَّ الأمرُ لدولةِ الإسلام في المدينة صدر الأمرُ الإلهي الكريمُ بالاتِّجاه إلى المسجد الحرام؛ ليس تقليلاً مِن شَأن المسجد الأقصى ولا تنزيلاً من شأنه، لكنْ ربطًا لقلوب المسلمين بحقيقةٍ أخرى هي حقيقةُ الإسلام؛ حيث رفَع سيِّدنا إبراهيم وسيدُنا إسماعيل قواعدَ هذا البيت العتيق ليكون خالصًا لله، وليكون قبلةً للإسلام والمسلمين، وليؤكِّد أنَّ دين الأنبياء جميعًا هو الإسلام:(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)"الحج: ٧٨".

وقد كرَّم الله نبيَّه ﷺ في هذه اللَّيلة بأن طيَّب خاطرَه بتحويل القِبلة والاستجابة لهوى رسولِ الله ﷺ، قال تعالى:(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ترداها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)"البقرة: ١٤٤".

فشهر شَعبان شهرٌ عظيم، عظَّمه رسولُ الله ﷺ، فحريٌّ بِنا أن نعظِّمه، وأن نكثر مِن العبادة والاستغفار فيه تمامًا كما جاء وصحَّ عن النبيِّ ﷺ في ذلك.

شعبان أقبلَ بالمحبة والصفا ** ليذيب أحزان التشاحن والجفا
شعبان أستاذ يعلمنا الإخا ** ويقول للمتباغضين ألا كفى
شعبان مطهرةُ الذنوبِ ومطلع ** لنسيمِ شهر بالصيام تشرّفا

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح ابن ماجة
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صححه الألباني في ظلال الجنة

زمن لترويض النفوس لكي ترى ** رمضـانَ بسـتانَ اللذاذة والصـفا
يهديكمُ حلل الصـيام وكل ما ** يجلو القلوب على طريق المصطفى
طوبى لعبـد جـدّ في خيراتـه ** وقضـى مـآرب روحـه وتزلفـا

ثانيا: الواجب علي المسلم فيه

التوبة والرجوع إلى الله: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال فيما يحكي عن ربه عز وجل: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ :اللهمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ" (١) أي: ما دمت تذنب وتستغفر فإني أغفر لك.

فعاهد ربك من الآن على التوبة والأوبة ،وعاهد ربك على ترك الحرام وعاهد ربك على ترك الذنوب والمعاصي ،وعاهد ربك على ترك الربا ،وعاهد ربك على ترك أكل أموال اليتامى ،وعاهد ربك على ترك العقوق ،وعاهد ربك على ترك الإساءة إلى الجيران والأصحاب وعاهد ربك من الآن على المحافظة على الأوامر على الابتعاد عن النواهي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ،وعاهد ربك على الوقوف عند الحدود وأنت في غاية الحب لله والرضا عن الله ،وعاهد ربك الآن على إخراج حقه جل جلاله في المال اخرج زكاة مالك اخرج الصدقة ،استعد من الآن وخصص للحج إن لم تكن قد حججت الفريضة وقد وسع الله عليك ومنَ عليك بالاستطاعة.

عاهد ربك من الآن وأنت الآن تجلس بين يديه أو وأنت تستمع إلي في أي مكان في الأرض وعاهد ربك على أن تصدق في طلب ذلك من الله جل جلاله، فمن صدق اللهَ صدقه الله

والله لو صدقت الله في أن تقوم الليل لأقامك بين يديه بالليل، ووالله لو صدقت الله في أن تغض بصرك عن الحرام لأعانك على غضِ بصرك عن الحرام، ووالله لو صدقت الله في كفِ لسانك عن الغيبة والنميمة والكذب وترك أكل الربا وترك أكل أموال اليتامى إلى غير ذلك والله لأعانك عل ذلك، فاستعن بالله واصدق.

عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة والعمل الصالح: قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد:

الفائدة الأولى: أنه يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل. لا سيما الصيام فإنه سر بين العبد وربه. ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياء.

وقد صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد، كان يخرج من بيته إلى سوقه ومعه رغيفان فيتصدق بهما ويصوم، فيظن أهله أنه أكلهما ويظن أهل السوق أنه أكل في بيته.

وكانوا يستحبون لمن صام أن يظهر ما يخفي به صيامه فعن ابن مسعود: أنه قال: إذا أصبحتم صياما فأصبحوا مدهنين، وقال قتادة: يستحب للصائم أن يدهن حتى تذهب عنه غبرة الصيام.

وقال أبو التياح: أدركت أبي ومشيخة الحي إذا صام أحدهم ادهن ولبس صالح ثيابه.

الفائدة الثانية: أنه أشقّ على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهد من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة

(١) صحيح مسلم

المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس، فيشقّ على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها، ولهذا المعنى قال النبي ﷺ :(للعامل منهم أجر خمسين منكم، إنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون).

الفائدة الثالثة: أن المفرد بالطاعة من أهل المعاصي والغفلة قد يدفع البلاء عن الناس كلهم، فكأنه يحميهم ويدافع عنهم.

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: واعلم أن الأوقات التي يغفل الناس عنها معظمة القدر لاشتغال الناس بالعادات والشهوات، فإذا ثابر عليها طالب الفضل دل على حرصه على الخير. ولهذا فضل شهود الفجر في جماعة لغفلة كثير من الناس عن ذلك الوقت، وفضل ما بين العشاءين وفضل قيام نصف الليل ووقت السحر وَأَمَّا حَالُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي شَعْبَانَ فَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا دَخَلَ شَهْرُ شَعْبَانَ، أَقْبَلُوا عَلَى مَصَاحِفِهِمْ فَقَرَأُوهَا، وَأَخْرَجُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِيُعِينُوا غَيْرَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ فِي رَمَضَانَ. وَتَرَكُوا الْكَثِيرَ مِنْ مَشَاغِلِ الدُّنْيَا، وَأَخَذُوا يَسْتَعِدُّونَ فِيهِ لِاسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ وَالذِّكْرِ وَالْقِيَامِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْ شَهْرِ شَعْبَانَ إِنَّهُ شَهْرُ الْقُرَّاءِ.

كثرة الصيام: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً "(١)

وعن أبي أُمامة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله مرني بعمل ينفعني الله به قال: "عليك بالصوم فإنه لا عدل له "وفي رواية قال ﷺ: " عليك بالصيام فإنه لا مثل له"(٢)

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة (٣)

قال الإمام المناوي: " أي من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان " (٤)

صيام النصف الثاني منه إذا وافق عادة لصائمه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا انتصف شعبان فلا تصوموا "(٥) أما ان كانت هذه عادته فلا بأس في صومه بإذن الله

المسارعة الي الله والتزود من العمل الصالح: قال تعالى (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران ١٣٣

وقال تعالى (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) البقرة ١٩٧

البعد عن الشحناء: عن ابي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا " (٦)

ثالثا: هل أنت من أهل الغفلة؟

(١) متفق عليه
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح ابن ماجة
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) مشكاة المصابيح
(٦) صحيح مسلم

الغفلةَ ذلك الدَّاء الكبير، والخطر الأكبر : فكم أهلكت من خلائق؟! وكم أفسدت من قلوب، وصدت عن حقائق؟!

وصف الله تعالى بها أعداءه الكافرين، والعصاة الظالمين، وأهل ناره الخاسرين فقال الله تعالى: (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) "الأنبياء: ٩٧"

وقال تعالى:(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) "الأعراف: ١٧٩"، الغفلة: سلطان إبليس على القلوب، وفرحته التي يجدها منَ الخلق.

لقد عمَّت الغفلة، حتى أصبح أكثرهم يعيش عيش الأنعام : يعيشون لشهواتهم وملذاتهم؛ قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) "محمد: ١٢"، قليلٌ أولئك الذين عرفوا الغاية التي خُلقوا من أجلها، فسعوا إلى تحقيقها، فسلموا من شرور الغفلة، فيا مَن أردتَ السعادة في الدنيا والآخرة، هذه وقفة أخرى من دروس المحاسبة، كان رسول الله ﷺ يصوم في شعبان؛ لغفلة الناس عن فضله، فأين أنت؟ هل أنت من أهل الغفلة؟

لقد استفحل داء الغفلة، وكثُر أصحابه في كل مجمع، وفي كل مكان، فترى الأكثرين سكارى، لا يدرون إلى أين يسيرون، حيارى، تائهين! فترى هذا مشغولاً بتجارته، وتكثير أمواله من حلال أو حرام، وهذا مشغول بزراعته في ليله ونهاره، وهذا مشغول بحساب رصيده الفاني، فهو في ليله ونهاره يحسب في أمواله، وإذا نام، كانت أحلامه مواصلة لذلك الحساب!!

وآخرُ عكف على الشهوات، فهو مشغول بتلبية شهواته البهيميَّة، وآخر غارق في أنواع من المعاصي، يفتتح يومه بمعصية، ويختمه بمعصية، وآخر لا يدري: لِمَ خُلِق؟ ولا ماذا يجب عليه؟! حتى قال بعضهم:

جِئْتُ لا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ ولكنّي أَتَيْتُ* وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقًا فَمَشَيْتُ**

وَسَأَبْقَى مَاشِيًا إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي؟**

لَسْتُ أَدْرِي!

وآخرُ يقول: لا أُسَلِّم بالمكتوب، ولا أرضى أبات مغلوب، وغير ذلك كثير، خَلْقٌ سَيْطَرَتْ عليهم الغفلة، وكَسَتْهم من ثيابها ألوانًا

قال نصر بن محمد السمرقندي: ويقال: "الناس يصبحون على ثلاثة أصناف:

صنفٍ في طلب المال، وصنفٍ في طلب الإثم، وصنف في الطريق، فأما من أصبح في طلب المال، فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى وإن أَكْثَرَ المالَ، ومن أصبح في طلب الإثم، لحقه الهوان والإثم، ومن أصبح في طلب الطريق، أتاه الله -تعالى- الرزق والطريق".

فانظر أخي المسلم من أي الأصناف أنت؟ وإيَّاك أن تتَّكل على عمل صالح قليل عملتَه، فتظن نفسك أنَّكَ بعيد عن أهل الغفلة؛ بل الواجب عليك أن تتهم نفسك دائمًا، وتنظر إليها بعين التقصير؛ فإن ذلك من علامات النجاة، فهاهم الصالحون يحاسبون أنفسهم، ويتهمونها بالغفلة.

كان عون بن عبد الله رحمه الله يقول: "وَيْحِي! كيف أغفل عن نفسي، وملك الموت ليس بغافل عني؟! وَيْحِي! كيف أَتَّكِلُ على طول الأمل، والأجل يطلبني؟!"

وكان محمد بن النضر الحارثي رحمه الله يقول: "تذَكَّرْ أنَّكَ لن يُغْفَلَ عنك، فبادِرْ إلى العمل الصالح، قبل أن يُحَال بينك وبينه".

فيا أيها الغافل، ويا أيها اللاهي الساهي، تذكر أنَّكَ لن يُغْفَلَ عنك، فبادر إلى العمل الصالح، قبل أن يُحَال بينك وبينه.

جَهُولٌ لَيْسَ تَنْهَاهُ النَّواهِي*** وَلاَ تَلْقَاهُ إلاَّ وَهْوَ سَاهِي
يَسِيرُ بِيَوْمِهِ لَعِبًا وَلَهْوًا **** وَلاَ يَدْرِي وَفِي غَدِهِ الدَّوَاهِي

قال سلمان الفارسي ﷺ: "ثلاث أعْجَبَتني حتى أَضْحَكَتْني: مُؤَمِّل الدنيا والموت يطلبه، وغافل يَغْفَل ليس يُغْفَل عنه، وضاحك مَلْءَ فِيهِ ولا يدري: أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ؟!"

أخي المسلمَ: أسوأ ما في الغفلة أنها تُبْعِدُ صاحبَها عن الله تعالى فالغافلون بعيدونَ عن الله.

أخي المسلمَ: الغفلة طريق ذو شرور، إذا سَلَكَه سالكٌ حتى نهايته، أوصله إلى النار

علاماتِ الغفلة: أ-حب الدنيا: ذلك الدَّاء الخطير، الذي أهلك الكثيرينَ، وما زال يهلك الكثيرين، ممن انشغلوا بالدنيا.

ب-طول الأمل: طول الأمل، شَغَل الكثيرينَ عن تذكُّر الموت والقبر والحساب، فترى صاحب الأمل يُمَنِّي نفسه بالأماني العريضة، كأنَّه سيُخَلَّد في الدُّنيا.

قال الحسن البصري رحمه الله: "ما أطال عبدٌ الأملَ إلاَّ أساءَ العمل"

وقال بعض الحكماء: "الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين".

طول الأمل أكبر داعٍ إلى الغفلة؛ إذ يَتَوَلَّد عنه الكسل عنِ الطاعات، والوقوع في المعاصي، وتسويف التَّوبة، والانشغال بالدُّنيا، وقسوة القلب.

ج-المعاصي: المعاصي تَصُدُّ عنِ الطاعات، وخاصة إذا كثرت مع الإصرار وعدم الاستغفار؛ فإنَّ ذلكَ من أسباب الغفلة.

قال ابن القيم: "فمِمَّا ينبغي أن يُعْلَمَ: أنَّ الذُّنوب والمعاصي تضرُّ ولا بدَّ، وإن ضَرَرها في القلب كَضَرَر السموم في الأبدان، على اختلافِ درجاتها في الضَّرر، وهل في الدُّنيا والآخرة شر وداء إلاَّ سببُه الذنوبُ والمعاصي؟!"

أخي المسلمَ: تلك هي أهم العلامات في طريق الغفلة، وتحت تلك العلامات تندرج أشياء كثيرة، فضعْ نفسَك في ميزان المُحَاسَبة، فتأمَّل في حالكَ: هل أنت منَ الواقعينَ في شيء من تلك العلامات؟

فاعمل -أيها العاقل- قبل نزول الآجال، وانقطاع الآمال.

إنّا لَنَفْرَحُ بِالأيَّامِ نَقْطَعُهَا ** وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ المَوْتِ مُجْتَهِدًا ** فَإِنّمَا الرِّبحُ وَالخُسْرَانُ فِي العَمَلِ

فيا ملتمسًا لسبيل فلاحه، حاسب نفسك اليوم، وعالج أدواءها، قبل أن تهلكَ

علاج الغفلة: أ-الإكثار منَ الطاعات: لأنَّ الطَّاعة تُقَرِّب منَ الله تعالى كما أنَّ المعصية تُبْعِد عنِ الله تعالى فكُلما كَثُرتِ الطَّاعات، ازْدَاد العبد قربًا منَ الله تعالى لذلكَ؛ قالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ)) (١)

(١) صحيح مسلم

ب-الإكثار من ذكر الله تعالى: ذكر الله تعالى حياةٌ للقلوب، وغيثٌ للنفوس، فكثرةُ ذِكْرِك لله تعالى جلاءٌ لقلبكَ مِن أدرانِ الغفلة؛ قال أبو محمد بن علي الزاهد: "خرجنا في جنازة بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ، فقعد ناحيةً وهي تدفن، فجئت فقعدتُ قريبًا منه، فَتَكَلَّمَ، فقال: مَن خاف الوعيدَ، قَصُرَ عليه البعيد، ومَن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آتٍ قريبٌ!".

ج-تَذَكُّر القبر: القبر مَنْزِلة الوَحشة، وبيت الوحدة، أهواله فظيعة، ولحظاتُه شديدة، ماذا أعددت له؟ تَذَكَّر تلك الحفرة، والتي لا ينجيكَ مِن أهوالها إلاَّ العمل الصالح.

هذا الربيع بن خثيم رحمه الله حفر في داره قبرًا، فكان إذا وجد في قلبه قساوة، دخل فيه، فاضطجع فيه، ومكث ساعة، ثم قال:(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) "المؤمنون ١٠٠". ثم يقول: يا ربيع قد أُرْجِعْتَ، فاعمل الآن قبل أن لا تَرْجِعَ.

د- تذكر فضل العبادة وقت الغفلة: فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : " ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ ، الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ ، قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكْفِيهِ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي كَيْفَ صَبَّرَ لِي نَفْسَهُ ، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَذَرُ شَهْوَتَهُ ، فَيَذْكُرُنِي وَيُنَاجِينِي وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ ، وَالَّذِي يَكُونُ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ ، فَسَهَرُوا وَنَصَبُوا ثُمَّ هَجَعُوا ، فَقَامَ فِي السَّحَرِ فِي سَرَّاءٍ أَوْ ضَرَّاءٍ " (١)

فإن مما يضاعف ثوابه في شدة الحر من الطاعات: الصيام لما فيه من ظمأ الهواجر، ولهذا كان معاذ بن جبل عند احتضاره يتأسف على ما يفوته من ظمأ الهواجر وكذلك غيره من السلف، ولما أصيب ابن عمر ﷺ قال : ما تركت خلفي شيئاً من الدنيا آسى عليه غير ظمأ الهواجر وغير مشي إلى الصلاة ، وقد ورد أن الصديق ﷺ كان يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء ، وقد وصى الفاروق ﷺ عند موته ابنه عبد الله فقال له: عليك بالصيام في شدة الحر في الصيف، وكانت عائشة رضي الله عنها تصوم في الحر الشديد، وكان مجمع التيمي – رحمه الله – يصوم في الصيف حتى يسقط، وكانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حراً فتصومه فيقال لها في ذلك ، فتقول: إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد، وفيه إشارة إلى أنها لا تؤثر إلا العمل الذي لا يقدر عليه إلا قليل من الناس لشدته عليهم، وهذا من علو الهمة، وقد كان أبو الدرداء ﷺيقول: صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، وآثار الصحابة والتابعين في ذلك كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

إن أيام عمرنا تتصرم، وساعات حياتنا تنقضي. فقدم لنفسك صالحاً قبل حلول ساعة الأجل، وهذا الغنيمة بين يديك، ولئن كان النهار طويلاً والحر شاقاً في هذه الفترة فأنت ترجو الراحة الأبدية في جنات الخلود

ذ-المؤمن لا يغفل عن طاعة الله: إذا غفل الناس عن شعبان، لم يكن للمؤمنين أن يغفلوا عنه، فإن المؤمنين مُقْبِلون دوماً على ربهم، لا يغفلون عن ذكره، ولا ينقطعون عن عبادته، فلذلك هم دائماً وقوف ببابه، يلذون بجنابه، عزهم في الانكسار والتذلل له، لذَّتُهم في مناجاته، حياتهم في طاعته وعبادته، ويزدادون طاعة وعبادة في مواسم الطاعات، ويتعرضون للنفحات لعل الله أن يرزقهم الجنات، وينجيهم من اللفحات.

ويزدادون طاعة وعبادة كذلك في وقت الهرج، وحين يغفل الناس ينبغي للمؤمنين أن يكونوا في شأن غير شأن الناس، الذين هم أهل الغفلة، كما قال الحسن البصري ـــ رحمه الله ـــ: "المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزِّها، له شأن وللناس شأن"، فعلى المؤمنين في وقت الغفلة

(١) السلسلة الصحيحة

أن يزدادوا قرباً وطاعة لله تعالى، وهذا ما كان يَحثُّ عليه النبي – ﷺ -. واعلموا أن العمل وقت الغفلة محبوبٌ لله تعالى، لذا حثَّ عليه – ﷺ-، فاستحب النبي – ﷺ – القيام وسط الليل وقت غفلة الناس، فقد أخرج الترمذي أن النبي – ﷺ – قال لبعض أصحابه: "إن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"(١)

فهذا الوقت هو وقت نوم الناس وغفلتهم، فإذا قام المؤمن لرب العالمين ليفوز بجنة النعيم، فلا يستوي هو ومن آثر الوسادة على العبادة، وكما قيل: "من أراد الراحة، تَرَكَ الراحة "، فهؤلاء هم السابقون الذين قال الرسول ﷺ فيهم: "سبق المفردون". ثم عرفهم بقوله: "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات (٢)

قال المناوي رحمه الله: "المفردون: أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله تعالى."(٣) فهؤلاء لما ذكروا الله وقد غفل غيرهم كان السبق لهم.

وقال تعالى (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) النور ٣٧/٣٨

مضَى رَجَبٌ وَمَا أَحْسَنْتَ فِيهِ ** وَهَذَا شَهْرُ شَعْبَانَ الْمُبَارَكْ
فَيَا مَنْ ضَيَّعَ الأَوْقَاتَ جَهْلاً ** بِحُرْمَتِهَا أَفِقْ واحْذَرْ بَوَارَكْ
فَسَوْفَ تُفَارِقُ اللَّذَاتِ قَهْرًا ** وَيُخْلِي الْمَوْتُ قَهْرًا مِنْكَ دَارَكْ
تَدَارَكْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا ** بِتَوْبَةِ مُخْلِصٍ وَاجْعَلْ مَدَارَكْ

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) مشكاة المصابيح (٢) صحيح مسلم (٣)فيض القدير

تحويل القبلة

الحمد لله رب العالمين، لا يسأم من كثرة السؤال والطلب، سبحانه إذا سئل أعطى وأجاب، وإذا لم يُسأَل غضب، يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ورغب، من رضي بالقليل أعطاه الكثير. ومن سخط فالحرمان قد وجب، رزق الأمان لمن لقضائه استكان. ومن لم يستكن انزعج واضطرب، من ركن إلى غيره ذلَّ وهان. ومن اعتز به ظهر وغلب، من تبع هواه فَرَأْي شيطان ارتآه. ومن تبع هدى الله فإلى الحق وثب، نحمَده تبارك وتعالى على كل ما منح أو سلب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من العناء والنصَب، ونسأله الخلود في دار السلام حيث لا لغو ولا صخب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وإليه المنقلب، هو المالك. وهو الملك. يحكم ما يريد فلا تعقيب ولا عجب، قبض قبضتين. فقبضة الجنة لرحمته. وقبضة النار للغضب، احتجب عن الخلق بنوره. وخفي عليهم بشدة ظهوره. أفلح من التزم الأدب، نخاف الله ونخشاه. ونرجوه ونطلب رضاه. والعفو منه مرتقب، نحب الصلاح ونتمناه. ونكره الفساد ونتحاشاه. فهل ذاك يكفي لبلوغ الأرب، تساؤل في نفوسنا تساءلناه. وبأمل في قلوبنا رجوناه. تبارك الذي إذا شاء وهب.

وأشهد أن سيدنا محمد خاتم المرسلين وإمام الغر المحجلين. وخاتم الأنبياء والمرسلين. وجهك بدر وصوتك طرب، سيد كل قبيلة وفريق. بالمؤمنين رحيم وشفيق، سيدي وحبيبي. قدوتي وشفيعي. الشوق مشتعل والدمع للخدِّ خضب.فهل تنعم برؤية وجهك عيناي؟ وتهنأ بلثم قدميك شفتاي؟ فالعمر ولى والزمان قد اغترب، فيا رب يا أكرم مسؤول. ويا خير مُرتجى ومأمول. صلِّ على سيد الأعاجم والعرب، على الصحب ومن تبع وكل من إليه انتسب، ما لاح في الأفق نجم أو غرب، أو ظهر في السماء هلال أو احتجب، وكلما انحنى لك في الصلاة ظهر أو انتصب.

العناصر

العنصر الاول: قصة تحويل القبلة

العنصر الثاني: حال المؤمنين منها

العنصر الثالث: حال المنافقين والمشركين منها

العنصر الرابع: كيف فند الله آرائهم وبم رد عليهم

العنصر الخامس: الدروس المستفادة منها

الموضوع

العنصر الأول: قصة تحويل القبلة

الأمر بتحويل القبلة: قال تعالي "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ترداها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "البقرة.

وقال الله تعالى:" وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ. كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ " (البقرة آية: ١٤١٥٢).

تنفيذ المصلون لأمر الله: عن عبد الله بن دينار قال سمعت بن عمر ﷺ يقول بينا الناس في الصبح بقباء إذ جاءهم رجل فقال أنزل الليلة قرآن فأمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا كهيئتهم فتوجهوا إلى الكعبة وكان وجه الناس إلى الشام"[١]

انكار اليهود: عن البراء بن عازب ـ ﷺ ـ قال :أن النبي ـ ﷺ ـ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال أخواله ـ من الأنصار وأنه ـ ﷺ ـ صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع رسول الله ـ ﷺ ـ قِبل مكة، فداروا كما هم قِبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك)[٢]

العنصر الثاني: حال المؤمنين منها

السمع والطاعة: قال تعالى" إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " النور
وقال تعالى" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا " الأحزاب

تنفيذ الأمر على الفور: عن البراء بن عازب قال صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التي في البقرة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فنزلت بعدما صلى النبي ﷺ فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت"[٣]

العنصر الثالث: حال المنافقين والمشركين منها

التشكيك والظن في الثوابت: لقد أظهر هؤلاء قلقهم من مصير من مات من المسلمين قبل تحويل القبلة، هل تُقبل صلاتهم أم لا؟ كما تساءلوا عن جزاء صلاتهم السابقة نحو بيت المقدس، وكأنهم ظنوا أن الصلاة إلى القبلة السابقة كانت اجتهادًا من رسول الله بغير وحي من الله؛ لذا لن يُثابوا عليه بل قد يعاقبون. وهذه الفئة تظهر دائمًا في المجتمع المسلم وقت المحن، إذ تزيغ الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر؛ فيبدأ هؤلاء في التشكُّك والظن في الثوابت.

قال اليهود: ما لمحمد يعيب ديننا ويتبع قبلتنا ثم قالوا انتظروا قليلا فكما اتبع قبلتنا سيتبع ديننا.

قال المشركون: ما لمحمد يزعم انه على ملة ابراهيم ثم يترك قبلته، وقالوا لو كانت الاولي صحيحة فلماذا تحول عنها وان كانت باطله فلماذا صلي على الباطل وترك الحق وما مصير من صلي الي القبلة الاولي ومات.

قال تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا" النساء

---

(١) صحيح البخاري (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

هؤلاء هم السفهاء: قال تعالى: " سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (البقرة ١٤٢).

علم أهل الكتاب بالحق: قال تعالى(وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)البقرة

عدم اتباع الحق مهما حدث: قال تعالى(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)البقرة

عدم الرضا عن المسلم حتى يكفر بالله: قال تعالى "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ "(البقرة ١٢٠).

العنصر الرابع: كيف فند الله آرائهم وبم رد عليهم

علم الله بكل شيء: الله يعلم ما هو كائن وما سيكون، وما هو كائن لو كان كيف كان يكون ولتمام علمه اقتضت حكمته ان لا يحاسب الخلق على مقتضي علمه فيه ولكن ليحاسبهم على ما يصدر منهم من اقوال وافعال ثم ليظهر الصادقين من الكاذبين.

حكم الله عليهم بالسفه: فقال تعالي "سيقول السفهاء " والسفيه هو ناقص العقل والعلم او من لا عقل له اصلا

كرر الامر بالتوجه للقبلة ثلاث مرات : أ-قال تعالى "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ " البقرة

ب-قال تعالى "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)"

ج-قال تعالى "ومن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " البقرة

أمر المسلمين كذلك بالتوجه للمسجد الحرام مع انه كان يمكن ان يكتفي بأمر النبي ﷺ فقط، فهو امر له وللمسلمين ولكن امر معه المسلمين للتأكيد ولان ذلك اول نسخ في القران.

أن المشرق والمغرب هو ملك لله ومن حق المالك ان يتصرف في ملكه كيف شاء : فقال تعالي: "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " البقرة

وقال تعالى "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" آل عمران

أن الناس لا يملكون نفعا ولا ضرا وليس بيدهم شئ فلا تخشوهم: فقال تعالي"وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"البقرة

بيان ان اهل الكتاب لن يتبعوا القبلة مهما حدث: فقال تعالي : " وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" البقرة

العنصر الخامس: الدروس المستفادة منها

الطاعة الدائمة للمؤمنين والتكذيب الدائم من المشركين والمنافقين واليهود وغيرهم

دلالة على نبوة النبي ﷺ: أخبر الله تعالى بما سيقوله اليهود عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ من إثارة الشكوك والتساؤلات قبل وقوع الأمر، ولهذا دلالته، فهو يدل على نبوة محمد ﷺ؛ إذ هو أمر غيبي، فأخبر به قبل وقوعه، ثم وقع، فدل ذلك على أن محمدًا ﷺ رسول يخبره الوحي بما سبق، وهو يدل أيضًا على علاج المشكلات قبل وقوعها؛ حتى يستعد المسلمون ويهيؤوا أنفسهم لهذه المشاكل للتغلب عليها والرد عليها، ودفعها، فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق وأشد، والجواب العتيد لشغب الخصم الألد.

بيان مكانة النبي ﷺ ومنزلته عند ربه سبحانه وتعالى: قال تعالى :"قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ "البقرة فقد كان ﷺ يقلب وجهه في السماء، يحب أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة، حتى صرفه الله إليه.

تعريف الأمة بأعدائها: قال تعالي" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52)النساء.

وقد أمرنا الله تعالي بعدم الأمن لهم وعدم الولاء لهم فقال تعالي "وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" آل عمران.

وقال تعالى "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" الحج

وقال تعالي عنهم "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ" البقرة

أن الأمة هي خير الأمم وأنها امة وسط: قال تعالي " كنتم خير امة اخرجت للناس"، وقال تعالي "وكذلك جعلناكم امة وسطا" البقرة

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فتسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقول من شهودك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم

فتشـهدون ثم قرأ رسـول الله ﷺ وكذلك جعلناكم أمة وسـطا قال عدلا لتكونوا شـهداء على الناس ويكون الرسول عليكم "[١]

والوسطية تعني الأفضلية والخيرية والرفعة؛ فالأمة وسط في كل شيء، في العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات، وهذا واضح جدًّا لكل مَن درس تعاليم الدين الإسلامي بالتفصيل.

فالله عز وجل اختار لهذه الأمة الخير في كل شيء والأفضل في كلّ حكم وأمر ومن ذلك القبلة فاختار لهم قبلة إبراهيم عليه السلام.

وعن عائشـة أن النبي ﷺ إن رسـول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال" إنهم لم يحسـدونا على شـيء كما حسـدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضـلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضـلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين " [٢]

تحديد وظيفة الأمة المحمدية وأنها خير الامم: قال تعالى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" آل عمران

وقال تعالي "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "البقرة

أ-في الدنيا: عن أنس – رضي الله عنه– قال: مرَّ بجنازة، فأُثني عليها خيرًا، فقال نبيُّ الله – ﷺ -: (وجبَتْ، وجَبتْ، وجَبتْ)، ومرَّ بجنازة، فأُثْنِي عليها شرًّا، فقال نبيُّ الله – ﷺ -: (وجَبَت، وجَبَت، وجَبَت)، فقال عمر: فداك أبي وأمِّي، مرَّ بجنـازة، فـأُثني عليـها خيرًا، فقلتَ: (وجبَتْ، وجَبتْ، وجَبتْ)، ومرَّ بجنـازة، فـأُثنِيَ عليـها شـرًّا، فقلتَ: ((وجَبَت، وجَبَت، وجَبَت))؟ فقال رسـولُ الله – ﷺ -: (مَن أثنيتُم عليه خيرًا وجَبَتْ له الجنة، ومَن أثنيتم عليه شرًّا وجَبَتْ له النار؛ أنتم شهداءُ الله في الأرْض) [٣]

ب-في الآخرة: عن ابي سـعيد رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ (يجيء النبيُّ يومَ القيامة ومعه الرجل، والنبيُّ ومعه الرجلان، والنبيُّ ومعه الثلاثة، وأكثر مِن ذلك، فيُقال لـه: هل بلغتَ قومك؟ فيقول :نعم، فيُدْعَى قومُه، فيقال لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال له :مَن يشهد لك؟ فيقول: محمَّد وأمَّته، فيُدْعى محمَّد وأمَّتـه، فيقـال لـهم :هل بلَّغ هذا قومَـه؟ فيقولون: نعم، فيقـال: ومـا عِلمُكم بـذلك؟ فيقولون :جـاءنـا نبيُّنـا فأخبَرَنا أنَّ الرسل قد بلَّغوا فصدقْناه، فذلك قوله:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[٤] .

تحديد مصدر التلقي للأمة المسلمة: قال تعالي "وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ" النمل

قال تعالي:(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَـرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِـيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِـيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى)"طه: ١٢٣ – ١٢٦".

وقال تعالى:(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ)"الحشر: ٧".

وقال تعالى:(وَالسَّـابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَـارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَـانٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)"التوبة: ١٠٠".

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه– قال :"أحسَنُ الحديث كتاب الله، وأحسن الهَدْي هدي محمَّد – ﷺ – وشر الأمور مُحْدثاتها، وإنَّ ما توعدون لآتٍ وما أنتم بِمُعجزين" [٥]

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح ابن ماجة
(٥) صحيح البخاري

وعن المقدام بن معد يكرب، رفعَه: (ألاَ هل عسى رجل يَبْلُغه الحديث عنِّي، وهو متَّكئٌ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله؛ فما وجدنا فيه حلالاً استحلَلْناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإن ما حرَّم رسول الله كما حرَّم الله) (١)

التسليم المطلق والانقياد الكامل لله تعالى، ولرسوله ﷺ: فالمسلم عبد لله تعالى، يسلم بأحكامه وينقاد لأوامره بكل حب ورضا، ويستجيب لذلك، ويسارع للامتثال بكل ما أوتي من قوة وجهد، فأصل الإسلام التسليم، وخلاصة الإيمان الانقياد، وأساس المحبة الطاعة، لذا كان عنوان صدق المسلم وقوة إيمانه هو فعل ما أمر الله والاستجابة لحكمه، والامتثال لأمره في جميع الأحوال لا يوقفه عن الامتثال والطاعة معرفة الحكمة واقتناعه بها، لأنه يعلم علم اليقين، أنه ما أمره الله تعالى بأمر ولا نهاه عن شيء، إلا كان في مصلحته سواء علم ذلك أو لم يعلمه.

قال تعالى "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم".

فهذه الطاعة، وذلك التسليم، الذي أقسم الله تعالى بنفسه على نفي الإيمان عمن لا يملكه

في قوله تعالى :فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيما ("النساء: ٦٥".

والصحابة الكرام ـ ﷺ ـ في أمر تحويل القبلة، أمرهم رسول الله ـ ﷺ ـ بالتوجه في صلاتهم ناحية المسجد الأقصى فتوجهوا وانقادوا، ولبثوا على ذلك مدة سنة وبضعة شهور، فلما أُمِروا بالتوجه ناحية المسجد الحرام سارعوا وامتثلوا، بل إن بعضهم لما علم بتحويل القبلة وهم في صلاتهم، تحولوا وتوجهوا إلى القبلة الجديدة.

فكان تحويل القبلة اختبارا وتربية للصحابة على السمع والطاعة، والتسليم لله ورسوله.

فالله سبحانه لا يأمر العباد إلا بما فيه مصلحة لهم ولا ينهاهم إلا عما فيه مضرة عليهم وتشريعاته سبحانه جميعها لحكمةٍ يعلمها سبحانه ـوإن لم نعلمها ـكما قال تعالى: "ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم "الممتحنة ١٠

وله سبحانه أن يكلف عباده بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، وما على المؤمن إلا الاستجابة والانقياد لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ .

امتحان المؤمن الصادق واختباره: فالمؤمن الصادق يقبل حكم الله جل وعلا، بخلاف غيره، وقد نبّه الله على ذلك بقوله :"وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله"

لقد بين سبحانه أن هذا التحويل كان بلاء، واختبارا ليتميز عند الناس المؤمنون المخلصون من الشاكين المرتابين، والله تعالى يبتلي من شاء من عباده بما يشاء من الأحوال، فأما من كان من أهل الإيمان فسيقول سمعنا وأطعنا، وأما أهل الزيغ فسيقولون سمعنا وعصينا.

فتحويل القبلة أظهر الإيمان في نفوس المؤمنين، والنفاق والشرك في نفوس أهله.فالمؤمنون قالوا: سمعنا وأطعنا؛ كل من عند ربنا، أما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء، ولو كان نبيا لاستمر على قبلته، وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتجه في صلاته، إن كانت الأولى حقا فقد تركها، وإن كانت الثانية حقا فقد كان على الباطل كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا

(١) صحيح ابن ماجة

كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم: ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نعرةٍ، وكل عصبيةٍ لغير منهج الله تعالى، فقد انتزعهم من الاتجاه إلى البيت الحرام، وشاء لهم الاتجاه إلى المسجد الأقصى لفترةٍ ليست بالقصيرة، وما ذاك إلا ليخلِّص نفوسهم من رواسب الجاهلية.

ثم لمَّا خلصت النفوس وجَّهها الله تعالى إلى قبلةٍ خاصةٍ تخالف قبلة أهل الديانات السماوية الأخرى.

وقد وصف الله تعالى هذه القدرة على تخليص النفوس بأنها "كبيرة") :وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ("البقرة: ١٤٣"

أي :وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس، إلا على الذين هدى الله قلوبهم، وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فمع الهدى لا مشقة ولا عسر في أن تخلع النفس عنها أي رداءٍ سوى الإسلام، وأن تنفض عنها رواسب الجاهلية، وأن تتجرد لله تعالى تسمع منه وتطيع، وحيثما وجهها الله تعالى تتجه.

أهمية الوحدة في الإسلام: المسلمون في الشرق والغرب يتجهون في الصلوات الخمس اليومية، وفي فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، رغم اختلاف الألسنة والجنسيات والألوان، يجمعهم الدين الإسلامي الحنيف، وهذا ليعلم المسلم أنه لبنة في بناء كبير واحد مرصوص، وفي الحديث :"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا"(١)

فالمسلمون يتعلمون من وحدة القبلة، وحدة الأمة في الهدف والغاية، وأن الوحدة والاتحاد ضرورة في كل شئون حياتهم الدينية والدنيوية.

دليل على جواز القطع بخبر الواحد: وذلك أن استقبال بيت المقدس كان مقطوعا به من الشريعة عندهم، ثم إن أهل قباء لما أتاهم الآتي وأخبرهم أن القبلة قد حولت إلى المسجد الحرام قبلوا قوله واستداروا نحو الكعبة

وقبول خبر الواحد مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحادا للآفاق، ليعلموا الناس دينهم فيبلغوهم سنة رسولهم ﷺ من الأوامر والنواهي.

دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به: وإن تقدم نزوله وإبلاغه ؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء.

أنّ الله سبحانه وتعالى لا ينسخ حكماً إلا إلى ما هو أفضل منه أو مثله: كما قال تبارك وتعالى :"ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" سورة البقرة ١٠٦.

كما أن ارتباط مناسك الحج بالبيت الحرام وبالكعبة المشرفة فناسبه أن يكون التوجه بالصلاة إلى البيت الذي تكون فيه وحوله المناسك.

حرص المؤمن على أخيه وحب الخير له: وذلك من خلال تساءل المؤمنون عن مصير عبادة إخوانهم الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس فأخبر الله ـ عز وجل ـ أن صلاتهم مقبولة.

فعن ابن عباس ـ ﷺ ـ قال:"لما وجّه النبي -ﷺ -إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم

يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ "يعني صلاتكم"(٢)

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح سنن الترمذي

مخالفة أهل الكتاب: فقد كان رسول الله - ﷺ - يريد أن يتوجه في صلاته إلى الكعبة، وكان حريصا على أن يكون متميزاً عن أهل الديانات السابقة، الذين حرفوا وبدلوا وغيروا ، ولهذا كان ينهى عن تقليدهم والتشبه بهم، بل يأمر بمخالفتهم، ويحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه من الزلل والانحراف، ومن ثم كان من مقتضى هذا الحرص أن يخالفهم في قبلتهم، ويتوجه في صلاته بشكل دائم إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ، وهو أول بيت وضع للناس، وهذا كان ما يتمناه رسول الله ﷺ ، فجاء تحويل القبلة يؤسِّس لمبدأ التمايز أي :تمايز الأمَّة المسلِمة عن غيرها في كلِّ شيء: في الرِّسالة، والتشريع والمنهج، والأخلاق والسلوك، وقبلَ كلِّ ذلك التمايز في الاعتقاد.

مكانة النبي ﷺ ومنزلته عند ربه سبحانه وتعالى: قال تعالى :"قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" "البقرة: ١٤٤".

فقد كان ﷺ يقلب وجهه في السماء، يحب أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة، حتى صرفه الله إليه.

عدم التعجل في استجابة الدعاء فقد دعا النبي ﷺ ربه تعالى كثيرا لتحويلها واستجابها الله تعالي بعد مرور مدة كبيرة، ومع ذلك لم ييأس النبي ﷺ من كثرة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى حتى استجاب الله له ، وإن أى دعاء يناجي به المسلم ربه لن يضيع هباءا منثورا بل له بدعائه احدى ثلاث امور كما قال النبي ﷺ فيما رواه ابو سعيد الخدري ﷺأن النبي ﷺ قال ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر"[١]

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح الترغيب والترهيب

صفات المؤمنين في القرآن

الحمد لله رب العالمين، يسمع دعاء الخلائق ويجيب، يؤنس الوحيد، ويَهدي الشريد، ويُذهب الوحشة عن الغريب، يغفر لمن استغفره، ويرحَم مَن استرحمه، ويصلح المعيب، يستر العصاة، ويمهل البغاة، ومن تاب منهم قبل وأثيب، يكلف بالقليل، ويجزي بالجزيل، ويعفو عن الذي بالعجز أصيب، من أطاعه تولاه، ومن غفل عنه لا ينساه، وله من الرزق نصيب، يرزق بلا أسباب، ويدخل الجنة بغير حساب، فلا فضح ولا تنقيب، نحمده تبارك وتعالى ونسأله التنظيم لأحوالنا والترتيب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من الفساد والإفساد والتخريب، ونرجوه الأمن والأمان والرضا والرضوان في يوم يسقط الجنين فيه والصغير فيه يشيب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهيمن والرقيب، من تبع شرعه والاه، ومن تقرب إليه فاز بالتقريب، من أوى إليه آواه، ومن استحيا منه فليس عليه تثريب،

من توكل عليه كفاه، ومن التجأ إليه فالفرج قريب، من اعتصم به فهو مولاه، ومن ارتجاه مخلصًا لا يخيب، من ذكره خاشعًا اجتباه، ومن تاب إليه فهو منيب، من شكر عطاءه نماه، ومن تواضع له نجا من التعذيب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المقرب والحبيب، خلقه نعمة، ومبعثه رحمة، وشمس سنته لا تغيب، نظره لحظ، وكلامه وعظ، واللفظ منه لا يريب، نوره يخطَف الأبصار، ومسجده علم ومزار، وأنفاسه مسك وطيب، من سلم عليه رد ﷺ، ومن صلى عليه فهو من الجنة قريب، من رآه في المنام فقد رآه، ومن بايعه فقد بايع الله، ومن دعا عند قبره أجيب، من نال شفاعته اجتاز، ومن شرب من حوضه فاز، فلا عتاب ولا تأنيب، هو تاج أولي العزائم، وقدوة لكل صائم وقائم، وبإتباعه تحلو الحياة وتطيب.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه عدد ما وسعه علم الحساب من تربيع وتكعيب، وكلما أثنى عليه شاعر أو أديب، وطالما عرف حقه عالم أو نجيب، وعلى الصحب والآل وكل من انتسب إليه من بعيد أو قريب.

العناصر

أولا: تعريف الإيمان
ثانياً: هل الإيمان يزيد وينقص وما سبب ذلك؟
ثالثا: الأسس التي يقوم عليها الإيمان
رابعاً: صفات المؤمنين
خامساً: جزاء المؤمنين

الموضوع

أولا: تعريف الإيمان؟

الإيمان لغةً: هو التصديق والاطمئنان

اصطلاحا: فهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

فهذه الأمور الستة هي التي عليها مدار النفس وتفكيرها، في حاضرها ومستقبل أمرها، في شئون الحياة الدنيا، وما يصلح الأموال فيها، وفي المستقبل المنتظر حدوثه في هذه الحياة الدنيا، أو ما يحصل بعد الموت وعند البعث والنشور.

وقيل بأنه هو "الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح". فهو يتضمن الأمور الثلاثة :إقرار بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح.

ثانياً: هل الإيمان يزيد وينقص وما سبب ذلك؟

الإيمان يزيد وينقص، وذلك لأن الإقرار بالقلب يتفاضل فليس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمعاينة، وليس الإقرار بخبر الرجل كالإقرار بخبر الرجلين وهكذا، ولهذا قال إبراهيم، عليه الصلاة والسلام :"رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" .فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب وطمأنينته وسكونه، والإنسان يجد ذلك من نفسه فعندما يحضر مجلسَ ذكرٍ فيه موعظة، وذكرٍ للجنة والنار يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس يخف هذا اليقين في قلبه .

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول فإن من ذَكَرَ الله عشر مرات ليس كمن ذَكَرَ الله مئة مرة، فالثاني أزيد بكثير .

وكذلك أيضاً من أتى بالعبادة على وجه كامل يكون إيمانه أزيد ممن أتى بها على وجه ناقص .

وكذلك العمل فإن الإنسان إذا عمل عملاً بجوارحه أكثر من الآخر صار الأكثر أزيد إيماناً من الناقص وقد جاء ذلك في القرآن والسنة -أعني إثبات الزيادة والنقصان-قال تعالى :"وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً"، وقال تعالى :"وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول: أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهو كافرون"، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ، قال :"ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن" [1] فالإيمان إذاً يزيد وينقص .

ولكن ما سبب زيادة الإيمان؟

للزيادة أسباب وهي :

معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته: فإن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله وبأسمائه وصفاته ازداد إيماناً بلا شك، ولهذا تجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته ما لا يعلمه غيرهم تجدهم أقوى إيماناً من الآخرين من هذا الوجه

تدبر القرآن على وجه العموم.

٣- معرفة النبي ﷺ وما هو عليه من الأخلاق العالية والأوصاف الكاملة.

النظر في آيات الله الكونية والشرعية فإن الإنسان كلما نظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ازداد إيماناً قال تعالى :"وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون" .والآيات الدالة على هذا كثيرة أعني الآيات الدالة على أن الإنسان بتدبره وتأمله في هذا الكون يزداد إيمانه.

الإكثار من ذكر الله في كل وقت.

التعلق بمناخات زيادة الإيمان وفي مقدمتها المساجد، ومجالسة الصالحين.

كثرة الطاعات: فإن الإنسان كلما كثرت طاعاته ازداد بذلك إيماناً سواء كانت هذه الطاعات قوليه، أم فعليه: فالذكر يزيد الإيمان كمية وكيفية، والصلاة والصوم، والحج تزيد الإيمان أيضاً كمية وكيفية.

أما أسباب النقصان فهي على العكس من ذلك :

---

[1] صحيح البخاري

الجهل بأسماء الله وصفاته يوجب نقص الإيمان لأن الإنسان إذا نقصت معرفته بأسماء الله وصفاته نقص إيمانه .

الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية فإن هذا يسبب نقص الإيمان، أو على الأقل ركوده وعدم نموه

فعل المعصية: فإن للمعصية آثاراً عظيمة على القلب وعلى الإيمان، فعن أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ" (١)

ترك الطاعة: فإن ترك الطاعة سبب لنقص الإيمان، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتَرَكَها بلا عذرٍ فهو نقص يلام عليه ويعاقب، وإن كانت الطاعة غير واجبةٍ أو واجبةً لكن تركها بعذر فإنه نقص لا يلام عليه.

ثالثاً: الأسس التي يقوم عليها الإيمان

طهارة القلب من كل ما يعبد من دون الله: قال تعالى: " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (البقرة، آية: ٢٥٦)

وقال تعالى: " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ " (الزمر ١٧). وفي ذلك إشارة إلى أن التطهير مقدم على التزكية وأن تخليص القلب من أدرانه ونجاسته المتمثلة بالمعتقدات الباطلة وما يترتب عليها من محبة الطواغيت أو التعلق بهم واجب لحلول الإيمان بالقلب.

الإيمان بالغيب: قال تعالى: " الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " (البقرة، آية: ١- ٣)

والغيب هو كل ما غاب عنك وفي قوله: " الذين يؤمنون بالغيب " أي: آمنوا بالله وملائكته ورسله، واليوم الآخر، وجنته، وناره ولقائه، وأمنوا بالحياة بعد الموت، وقد جمع الرسول ﷺ أصول الأمور الغيبية بتعريفه للإيمان في حديث جبريل عليه السلام ـــ حيث قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٢).

امتثال الأوامر واجتناب النواهي: قال تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" ففي هذه الآية بيان للحكمة التي خلق الله من أجلها الناس وهي أن يكلفهم بعبادته، بالامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " (البقرة، آية: ٢٠٨) والسلم: هو الإسلام والمراد بكافة :أي جميع شرائع الإسلام، ففي الآية يدعو الله المؤمنين إلى الأخذ بجميع شرائع الإسلام، وإقامة جميع أحكامه، وحدوده، دون تضييع بعضه والعمل ببعضه.

الإخلاص لله في العبادة: قال تعالى: " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا " (الإنسان، آية: ٩).

وقال تعالى: " هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (غافر، آية: ٦٥).

وقال تعالى: " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " (الزمر، آية3 :) .فالإخلاص شرط في صحة العبادة وأساس مهم من أسس الإيمان بدونه لا يدخل العبد في ولاية الله، ولا يقبل منه عمل ولا يتحصل على ثمرات الإيمان وكراماته التي وعد بها عباده المؤمنين.

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم

صدق المتابعة للنبي ﷺ : قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (الأحزاب، آية: ٢١) ، هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله.

وقال تعالى " :فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (الكهف، آية: ١١٠). وهذان ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون صواباً خالصاً فالصواب: أن يكون على السنة وإليه الإشارة بقوله: " فليعمل عملاً صالحاً " والخالص: أن يخلص من الشرك الجلي، والخفي، وإليه الإشارة بقوله: " ولا يشرك بعبادة ربه أحداً "

العلم: قال تعالى: " وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ " (الأنعام، آية: ٥٥). فالعلم أساس هام في الإيمان بالله وركن بارز في دعوة النبي ﷺ.

وقال تعالى: " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (يوسف، آية: ١٠٨)، فدلت آية سورة يوسف على أن طريق النبي ﷺ يقوم على ثلاثة أمور:

أ- الدعوة إلى التوحيد.

ب ـــ العلم والبصيرة .في ذلك كله وقد بين سبحانه أن التعليم من أخص وظائف النبي ﷺ وأنه أخرج به المسلمين من الضلال المبين، فقال سبحانه: " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " (الجمعة، آية: ٢)

ج-العمل الصالح من مستلزمات الإيمان

قال تعالى: " وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " (العصر، آية: ١- ٣).

فالعمل الصالح يقوم على الإيمان، والإيمان يقوم على التوحيد، والإيمان الذي يريده الله هو الإيمان الحي الفاعل، هو الإيمان المؤثر النامي، هو الإيمان القائد الموجه، الإيمان الذي ينفع صاحبه هو الإيمان الذي يغرس في قلبه فينمو ويزدهر وينير ويضيء ويزين هذا القلب بزينته ويملؤه في كل جوانبه ويدفعه نحو العمل الصالح بأنواعه.

رابعاً: صفات المؤمنين

عرض القرآن الكريم كثيراً من صفات أهل الإيمان، وتحدثت آياته الكريمة عن أهمها وأشهرها ودعت المؤمنين إلى أن يتصفوا بها حتى يعيشوا حياة إيمانية مباركة سعيدة وحتى ينالوا جنة الله وثوابه ونعيمه ولقد كان حديث القرآن الكريم عن صفات المؤمنين شاملاً ومتنوعاً، وقد توزعت سور القرآن في الحديث عن صفات المؤمنين في الفترة المكية والمدنية وهذا يعطي أهمية لتذكير المسلمين بها حتى لا تنسى ولا تُهمل ولكي يتربى على هذه الصفات والأخلاق عموم المسلمين، ولا يمكننا حصر صفات المؤمنين في القرآن الكريم حيث وردت في كثير من المواضع كما في أول سورة البقرة والمؤمنون والفرقان.. إلخ.

قال تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ

هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (المؤمنون)

فمن صفات هؤلاء المؤمنين في هذه الآيات وغيرها

الخشوع في الصلاة: فعن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوؤها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله " (١)

الإعراض عن اللغو : قال تعالى " وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ "

واللغو هو كل كلام ساقط حقه أن يلغى، كالكذب والشتم والهزل يعني أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل، ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس، اللذين هما قاعدتا بناء التكليف. فالإعراض عن اللغو أي :عن الباطل، وهو يشتمل عن الشرك، كما قاله بعضهم والمعاصي، كما قاله آخرون ـ وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: " وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا " (الفرقان، آية: ٧٢)

تطهيرهم لأنفسهم بأداء الزكاة: قال تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ " (المؤمنون، آية: ٤)،

قال :ﷺالطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملآ ـ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (٢)

قوله: والصدقة برهان " معناه: الصدقة حجة على إيمان فاعلها، فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقده فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه، فالمؤمنون في حياتهم الدنيا يصونون بالزكاة المجتمع من الخلل الذي ينشئه الفقر في جانب والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال.

ـحفظ الفروج: قال تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ والذين هم لفروجهم حافظون " (المؤمنون، آية: ٧)، فالمؤمنون قوم يحبون العفة، ويحافظون على طهارتهم بمعناها الشامل وهذه طهارة الروح، ووقاية النفس والأسرة والمجتمع بحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ القلوب من التطلع في غير حلال، وحفظ المجتمع من انطلاق الشهوات فيه بغير حساب، ومن فساد البيوت فيها والأنساب.

رعاية الأمانة والعهد: قال تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ) " المؤمنون، آية: ٨)، أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله :ﷺ"آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" (٣)

قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " (النساء، آية: ٥٨)

المحافظة على الصلوات: قال تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) " المؤمنون، آية: ٩): الذين على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدونها فيها.

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم

وعن عبد الله بن مسعود ﷺقال سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال "الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله " (١)

الخوف والخشية من الله وعدم الإشراك به والتوكل عليه: قال تعالى" إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ "المؤمنون

وقال تعالى "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) سورة الأنفال

الأخوة في الدين: قال تعالى "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ "الحجرات

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " التوبة

الغيرة: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله تعالى يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله ألا يأتي المؤمن ما حرم الله "(٢)

مهما كانت الظروف لا يتبدل ولا يتغير: عن صهيب قال: قال رسول الله "ﷺعجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (٣) ، وقال تعالى(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تبديلا) سورة الأحزاب الآية ٢٣

محبته للمؤمنين يؤلمه ما يؤلمهم، ويفرحه ما يفرحهم: فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " ثم شبك بين أصابعه "(٤)

يتميز بحسن الخلق: فعن أبي الدرداء ﷺأن النبي ﷺ قال "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء " (٥)

قراءة القرآن: فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر " (٦)

لا يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر: عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ" المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر " (٧)

لا يقع في نفس الخطأ مرتين: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " (٨)

عدة صفات للمؤمنين المتقين ذكرها الله: قال تعالى " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح ابن ماجة (٣) صحيح سنن الترمذي (٤) صحيح ابن ماجة
(٥) متفق عليه (٦) متفق عليه (٧) متفق عليه (٨) متفق عليه

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)" ال عمران ١٣٦"

إقامة الشهادة والقيام بها: فقال -تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ" المعارج.

ومعنى إقامة الشـــهادة: القيام فيها بالحق، والمحافظة عليها، وأداؤها بدون زيادة ولا نقصـــان، وعدم كتمانها وتغييرها، وأداؤها بالحق عند الحاكم على من كانت عليه من قريب أو بعيد، عدو أو صديق، وقد أمر الله -تعالى- في سـورة الطلاق بإقامة الشـهادة لله، فقال -تعالى-: وَأَشْـهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّـــهَادَةَ لِلَّهِ أي: أدوها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صـــحيحة عادلة حقا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان.

كل صفة أمر الله بها وتحلى بها رسوله ﷺ فينبغي على المؤمن التحلي والالتزام بها

خامســـا: جـزاء المؤمـنيـن

المغفرة والرزق الكريم والدرجات العالية: قال تعالى "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *" (الأنفال ٧٤)

وقال تعالى:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *" (سورة الأنفال ٤).

رحمة الله لهم: قال تعالى "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُـــهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ". (التوبة ٧١).

وقال تعالى " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (الحجرات)

وقال تعالى (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَـــوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـــــَٔايَـــٰتِنَا يُؤْمِنُونَ) الأعراف ١٥٦

يرثون الفردوس هم فيها خالدون: قال تعالى : "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَـــلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) (سورة المؤمنون) .

قال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" الكهف.

اســتغفار النبي ﷺ لهم: قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـــولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْـتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ فَإِذَا اسْـتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(سورة النور ٦٢)

شـــهادة الله لهم بالصـــدق: قال تعالى "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـــولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ "

هداية الله لهم: قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـــالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يونس ٩

الأمن والأمان: قال تعالى(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّـــالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْـــمًا)طه

وقال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "(٦٩)

وقال تعالى "وَمَا نُرْسِـــلُ الْمُرْسَـــلِينَ إِلَّا مُبَشِّـــرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْـــلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِي عَنْ رَبِّـهِ جَلَّ وَعَلا، قَـالَ: " وَعِزَّتِي لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْـدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [١]

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح الترغيب والترهيب

استقبال شهر رمضان

الحمد لله ذي الرضـــا المرغوب، يعفو ويصـــفح ويغفر الذنوب، يملي ويمهل لعل العاصـــي يتوب، يعطي ويرضـى ويحقق المطلوب، يُطعم ويَسـقي ويستر العيوب، يغني ويشـفي ويكشـف الكروب، نحمده تبارك وتعالى حمدًا هو للذات العلية منسـوب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من شـر الوسـواس الكذوب، ونسـأله السلامة فيما مضى وما سوف يأتي من خطوب.

وأشـهد أن لا إله إلا الله ذو الجناب المرهوب، خلق السماوات والأرض في ستة أيام وما مسه من لغوب، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويقلب الأبصار والقلوب، سخر الرياح بقدرته، فمنها الساكن ومنها الهبوب، قدر الأرزاق وفق مشـيئته فمن الناس ممنوح ومسـلوب، والأنعام خلقها لنا، فمأكول ومحلوب، والخيل والبغال والحمير للحمل وللركوب، أوجد الكائنات بحكمته، فمســلم منها ومعطوب، كل الحادثات بإرادتـه وجميع الأمور محســوب، شــهدت له الكواكب في شــروقها والغروب، وأقرت به الأحياء في مطعومها والمشروب.

وأشــهد أن ســيدنا محمدًا عبده ورســوله ذو المقام الموهوب، لا يأكل الصــدقات، ولا يرتكب الهفوات، وخاتم النبوة بين كتفيه مضروب، في الصلاة قرة عينيه، والخيرات كلها بين يديه، وهو الصفي المحبوب، من خلقه مكارم الأخلاق، وباتباع سنته تتسع الأرزاق، والأمر بحبه على الوجوب، نوره بين أتباعه قائم، وشرعه على مر الدهور دائم، وما عداه من الشرائع مشطوب، من أطاعه فقد أطاع الله، ومن تبع نهجه فقد أرضاه، ومن عصاه في النار مكبوب، أول الخلائق بعد النفخة يُفيق، وأول من يحشر على التحقيق، وحديثه غير مكذوب، أول من يســجد على البســاط، وأول من يجوز على الصــراط، والكل من الهول مكروب، صــاحب لواء الحمد، والمنفرد بالثناء حين الجد، حيث الفلاح أو الرســوب، صــاحب الشــفاعة العظمى، وله المقام الأسـمى، واسـمه على أبواب الجنة مكتوب، صـاحب الحوض الأوفى، وكأس الرواء الأشـقى، والماء من نبع الجنان مسـكوب، تتعلق به الآمال، وتشـد إلى مسـجده الرحال، وبالصـلاة عليه تنفرج الكروب.

اللهم صـلِّ وسـلِّم وبارك عليه عدد الرمال والحصـى، وكلما أطاعه عبد أو عصـى، ونور بصـلاتنا عليه بصائرنا والقلوب.

العناصـــــر

أولا: فضل بعض الخلق والأمكنة والأزمنة على بعض

ثانياً: فضل شهر رمضان

ثالثاً: الواجب على المسلم فيه

الموضـــوع

أولا: فضل بعض الخلق والأمكنة والأزمنة على بعض

إن التفاضل والتفاوت بين الخلق من سنه الملك الحق قال الله تعالى "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" الروم ٢٢

فضـــل بعض الخلق على بعض: فقد فضـــل الله ســـبحانه وتعالى بين الناس في العلم فقال تعالى "نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم" يوسف ٧٦

كذلك فضل الله بين النبيين والمرسلين على حسب ما لا قوه في سبيل الله تعالى وفي سبيل دعوتهم من عنت وقسوة واضطهاد قال تعالى "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داوود زبورا "الإسراء ٥٥

وقال تعالى "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ" "البقرة: ٢٥٣".

كذلك فضل الله بين الخلق في أسباب الحياة كما قال تعالى "نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا "الزخرف ٣٢

كما فضل بينهم في الرزق قال تعالى "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق" النحل ٧١

كذلك فضـــل الله ســـبحانه وتعالى بين الناس لما بينهم من تفاوت في صـــلتهم بالخالق عز وجل ومنهم للوالدين وكثرة طاعتهم لله تعالى وسماحه التعامل والتمسك في الفضائل والبعد عن الرذائل فقال سبحانه "أن الله اصطفى ادم ونوحا وال إبراهيم وال عمران على العالمين" آل عمران ٣٣

وفضّـــل بعض الزرع والفواكه على بعض، فقال تعالى: "وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ" "الرعد: ٤".

فضـل بعض الأمكنة على بعض: فضـل بعض الأمكنة على بعض على قدر ما كان فيها من أحداث ومالها من منزله عند رب الناس ففضـل مكة على سـائر البلدان وذلك لان بها أول بيت وضـع للناس وفيها ولد خاتم النبيين ومنها بعث رحمه للعالمين

لهذا قال رســـول الله ﷺ مخاطبًا مكة: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (١)

كذلك فضل المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال على غيرها من المساجد فعن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺ قال "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" (٢)

فضل بعض الأزمنة على بعض: تتفاضل الأزمنة بقدر ما فيها من أثر ايجابي فعال في حياه البشر

شهر رمضان فضله الله على سائر الشهور نظرا لما انزل الله فيه من الكتب السماوية كالقران ولما أن فيه ليله خير من ألف شـهر وهي ليله القدر وهو من أفضـل الشـهور عند المسـلمين لان فيه النصـر الكبير للمسلمين في غزوه بدر والغزوات الأخرى التي حدثت في شهر رمضان

كذلك فضـل الله بعض الليالي على بعض ففضـل ليله القدر على ســائر الليالي ففيها انزل الله القرآن قال تعالى " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) "

ففي هذه الليلة تهبط الملائكة من عند الله لتنشر بين الناس الأمن والأمان والسلام

واختار الله من الزمان ثلاث عشرات وهم:

أولا: العشر الأول من المحرم لما فيه من يوم عاشوراء

---

(١) مشكاة المصابيح (٢) صحيح البخاري

فعن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال "صوم عاشوراء يكفر العام الذي قبله رواه مسلم والعشر الأخير من رمضان لما فيه من ليله القدر"(١)

ثانيا: العشر الأخير من رمضان لما فيه من ليلة القدر

ثالثا: العشر الأول من ذي الحجة فعن ابن عباس ﷺقال: قال رسول الله ﷺ "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء" (٢)

فضل الله الآخرة على الدنيا فقال تعالى: "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" "الأعلى

ثانيا: فضل شهر رمضان

شهر الجود ومدارسة القرآن: عن ابن عباس قال: " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة "(٣)

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

أ-شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه

ب-إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما روى عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قال: قال نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- "مَنَ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا" (٤) وعن زيد بن خالد الجهني عن النبي ﷺ قال: (من فطر صائما كتب له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء) (٥)

ج-أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال ﷺ: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (٦)

د-أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث على ﷺعن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة غرفا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام) (٧)

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام، فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث والصيام والصلاة والصدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل.

ذ-أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصا إن ضم إلى ذلك قيام الليل، فقد ثبت عن رسول الله ص أنه قال: (الصيام جُنة) (٨)

وكان أبو الدرداء ﷺيقول: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

ر-أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نهى أن يقول الرجل: صمت رمضان كله أو قمته كله، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهره للصائم من اللغو والرفث.

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح البخاري (٤) متفق عليه (٥) صحيح الجامع (٦) صحيح البخاري (٧) صحيح الترغيب والترهيب (٨) صحيح البخاري

ز-أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله فإذا أعان الصائمين على التقوى على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله وآثر بها أو واسى منها، ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر، لأن الطعام يكون محبوبا له حينئذ فيواسي منه حتى يكون من أطعم الطعام على حبه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له ورده عليه بعد منعه إياه، فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها.

وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع

تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين: عن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺ قال:" إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادى مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة " (١)

وعن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺ قال:" أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم " (٢)

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما قوله ﷺ: (فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)، فقال القاضي عياض رحمه الله: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم.

قال: ويحتمل أن يكون المراد المجاز ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم ليصيرون كالمصفدين ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس ويؤيد هذه الرواية الثانية فتحت أبواب الرحمة وجاء في حديث آخر صفدت مردة الشياطين.

قال القاضي عياض: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع في غيره عموما كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها وكذلك تغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات ومعنى صفدت غللت والصفد بفتح الفاء الغل بضم الغين وهو معنى سلسلت في الرواية الأخرى (٣)

صيامه يكفر الذنوب: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول "الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مكفِّراتُ ما بينهنَّ إذا اجتَنَبَ الكبائر" (٤)

قال الإمام المناوي رحمه الله: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان) أي صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة وصوم رمضان منتهياً إلى صوم رمضان (مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) شرط وجزاء دل عليه ما قبله ومعناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فلا تغفر لا إن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فإن كانت لا تغفر صغائره" (٥)

العمرة في رمضان ثوابها مضاعف: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "عُمرة في رمضان تعدل حَجَّةً"(٦)

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح ابن ماجة
(٣)شرح صحيح مسلم : للنووي جـ٧صـ١٨٨
(٤) صحيح مسلم
(٥)التيسير بشرح الجامع الصغير
(٦) صحيح مسلم

قال الإمام المناوي رحمه الله: قوله ﷺ: (عمرة في رمضان تعدل حجة) في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لا يجزى عن حج الفرض

نزول القرآن الكريم فيه: قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة

قال الإمام ابن كثير : يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء (١).

وعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله -ﷺ-قال "أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان" (٢)

فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر: قال تعالى" إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) " القدر

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: "لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ": بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل. وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر. والله أعلم.

وقال كثير من المفسرين: أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وقال أبو العالية: ليلة القدر خير من ألف شهر لا تكون فيه ليلة القدر

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل:" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ "

وقال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها فقال: " وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ " (٣)

قال المباركفوري رحمه الله: قوله ﷺ :(ليلة خير من ألف شهر) أي العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر (من حرم خيرها) والمراد حرمان الثواب الكامل أو الغفران الشامل الذي يفوز به القائم في إحياء ليلها (٤)

لا مثيل له في الفضل والأجر: عن أبي أمامة ﷺ قال قلت يا رسول الله "مرني بعمل قال عليك بالصوم فإنه لا عدل له قلت يا رسول الله مرني بعمل قال عليك بالصوم فإنه لا عدل له قلت يا رسول الله مرني بعمل قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له "(٥)

مضاعفة الثواب: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي

---

(١) تفسير ابن كثير (٢) صحيح ابن ماجة (٣) تفسير ابن كثير (٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥) صحيح الترغيب والترهيب

للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم " (١)

صلاة التراويح: أجمع المسلمون على سنية قيام ليالي رمضان، وقد ذكر النووي أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح يعني أنه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح (٢)

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه "(٣)

قوله ﷺ :(من قام رمضان إيمانا): أي تصديقاً بأنه حق معتقداً فضيلته، واحتساباً يريد به الله وحده لا رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص غفر له ما تقدم من ذنبه.

والمعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، وقال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة أي بوجوب.

سنة الاعتكاف: عن عائشة رضي الله عنها، -زوج النبي ﷺ -: " أن النبي ﷺ، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده " (٤)

ثالثا: الواجب على المسلم فيه

إن بلوغ شهر رمضان نعمة عظيمة يفرح بها المؤمنون وحُق لهم ذلك يقول تعالى:" قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ "يونس.

إنه موسم عظيم من مواسم التجارة الرابحة مع أكرم الأكرمين مع الغنى الحميد سبحانه وتعالى يده ملأي لا تغيضها نفقه لو أن الخلق جميعًا جنهم وأنسهم قاموا في صعيد واحد فسأل كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عند الله شيئًا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

وإذا كان التجار يستعدون للمواسم التي تضاعف فيها الأرباح فحري بالعبد الموفق أن يستعد لهذا الموسم العظيم الذي تضاعف فيه الأجور بغير حد ولا مقدار قال تعالى: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ.

التوبة والإنابة من جميع الذنوب: فالتوبة تتجدد في رمضان حتى يتعرض المؤمن لنفحات الله ورحماته، قال تعالى: " فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ " سورة هود

وقال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" سورة التحريم.

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهارِ، وَيبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" (٥)

عن الأغر المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة "(٦)

---

(١) متفق عليه
(٢) فتح الباري
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح مسلم

فلقد آن أن تخشـــع القلوب لذكر الله وما نزل من الحق قال تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَـــعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) الحديد، فإذا كان الله تعالى لا يرد تائبا فتب إليه فانه غفور رحيم.

فَتُـب لله حقـاً ثَمَّ أقبِـل ** بُعيـد التّوب والـدّمع المســـالِ
ســتلقى الله توّاباً رحيماً ** فَإنّمَا الرّبحُ وَالخُسْرَانُ فِي العَمَلِ
فيا ربّي أنَبْتُ إليك طَوعاً ** تقبّـل تَوبتـي وألطف بحـالي

التحلل من جميع المظالم: على المسلم وهو يستقبل شهر رمضان أن يستقبله ويستعد له بالتحلل من جميع المظالم بأن يرد تلك المظالم إلى أصحابها وأن يطلب منهم المسامحة والصفح فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صـــالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حســـنات أخذ من ســـيئات صاحبه فحمل عليه " (١)

إلـهي لا تعـذبني فـإني ** مقر بـالـذي قـد كـان منى
فكم من زلة لي في البرايا ** وأنت علي ذو فضـــل ومنّ
يظن الناس بي خيراً وإني ** لشر الناس إن لم تعفو عني

تصفية القلب من علائق الدنيا: في استقبال رمضان يصفي المسلم قلبه من علائق الدنيا ويقبل على عبادة الله تعالى بحب ورضا حتى يشرح الله صدره للإسلام والإيمان، قال تعالى: أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" سورة الزمر.

ومن تصفية القلب الصدق مع النفس ومع الناس وحب الخير للجميع، والبعد عن أمراض القلوب من غل وحقد وحسد وكبر وغيبة ونميمة وغش وغيرها

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُـولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَـلُ؟ قَالَ: كُلّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَـدُوقِ اللِّسَانِ. قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ. فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ. لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ "(٢)

أنا إن بكيت فلن ألام على البكا ** فلطالما استغرقت في العصيان
يا رب إن لم ترضى إلا ذا تُقى ** من للمسـيء المذنب الحيران

الحرص على مجاهدة النفس في العبادة وكذا في اسـتقبال رمضـان يسـتعد المسـلم لمجاهدة نفسـه من الشيطان والهوى والشهوات والشبهات، ويقبل بجد واجتهاد وإخلاص وإتقان على الصوم والصلاة وقيام الليل والصدقة، وليعلم أن عزه وشرفه في تلك المجاهدة.

فعن سـهل بن سـعد أن النبي ﷺ قال: " أتاني جبريل، فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت، فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس "(٣)

رمضانُ أقبل قم بنا يا صاح ** هذا أوان تبتل وصـــلاح
واغنم ثواب صيامه وقيامه ** تسـعد بخير دائم وفلاح

تعلم ما لابد من هم من فقه الصيام وأحكامه وآدابه والعبادات والاعتكاف والعمرة وزكاه الفطر وغيرها.

(١) صحيح البخاري (٢) السلسلة الصحيحة (٣) السلسلة الصحيحة

استغلال رمضان بالأعمال الصالحة والنية الصادقة فإن النية الصالحة من أسباب عون الله للعبد وتوفيقه، قال تعالى:(إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)الأنفال وقال تعالى:(لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)الفتح.

فدلت هاتان الآيتان على أن النية الصالحة سبب لتوفيق الله لعبده، فحري بالعبد المسلم أن يعقد النية على فعل الخيرات في رمضان والاجتهاد في ذلك، فكأنه يقول بلسان الحال: لئن أدركت رمضان ليرين الله ما أصنع، وقال تعالى "فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم" محمد.

وقال تعالى" ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عده" التوبة.

كثرة الدعاء: قال الله تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)البقرة.

قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخلِلةً بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر (١)

فاحرص يا عبد الله على الاجتهاد في الدعاء في رمضان، فحري بمن أدمن قرع الأبواب أن يُفتح له.

اكتب خطه شهر رمضان: الخطة الإيمانية والعلمية والدعوية اكتب مثلا سأقرأ من القران في كل يوم عدد تحدده من الصفحات، وفي مجال الدعوة كذا، وفي مجال وفي الحديث وغيرها من العلوم الشرعية، اقرأ من الكتب كذا وكذا، واعلم أنك إن صدقت النية سيعينك الله تعالى.

حاول أن تشتري المطلوب للعيد من الآن: من هذه الأيام أو في بداية رمضان حتى لا تشغلك عن الطاعة في هذا الشهر الكريم فيمر منك دون أن تستثمره.

اعلم إن رمضان أياما معدودات فسرعان ما تذهب الأيام ولا يبقى إلا شرح الصدر وثواب العمل الصالح والعكس فمن ضيعها فلا يبقى له إلا أوزارها فاحذر.

فعن كعب بن عجرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ احضروا المنبر فحضرنا فلما ارتقى درجة قال آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال آمين فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال آمين فلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه قال إن جبريل عرض لي فقال بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين فلما رقيت الثانية قال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين" (٢)

فعل الخير كإكرام المحتاجين وكفاله الأرامل والمساكين ...

التخطيط والترتيب لبرنامج يومي للأعمال الصالحة: كقراءة القران والجلوس في المسجد والجلوس مع الأهل وكثرة الصداقات والعمرة والاعتكاف والدعوة وغيرها من الأعمال الصالحة فلا يدخل عليك هذا الشهر وأنت في شتات من أمرك فتحرم خيرا كثيرا.

احذر أن تخالف نهج الحبيب ﷺ: فلا تفعل فعلا حرام ولا تسبب إنسان ولا تؤذي أحدا وإذا سبك أحد أو شتمك فلا تضرهم بشيء وتذكر قول النبي ﷺ يقول اللهم إني صائم فإنها تستبعد دخول الشيطان بيننا فلا ترد عليهم هذا السب والشتم حتى تأخذ ثوابا جزيلا من الحسنات من الله سبحانه وتعالى.

المحافظة على جميع الصلوات في جماعة وصلاة التراويح في المسجد ويفضل المسجد الذي يختم القرآن.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢) صحيح الترغيب والترهيب

حضور مجالس العلم في المساجد وغيرها والحرص على الاستفادة منها وسؤال العلماء.

قيام الثلث الأخير من الليل.

الإكثار من التصدق وإفطار الصائم وزكاة الفطر.

عمل ايجابي نافع كل يوم يستغل فيه كل دقيقة من أوقات الشهر، ولا يضيع وقته أمام الفضائيات وفي متابعة الأفلام والمسلسلات.

فتح صفحة بيضاء مشرقة:أ-مع الله سبحانه وتعالى بالتوبة الصادقة.

ب-مع الرسول بطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

ت-مع الوالدين والأقارب والأرحام، والزوجة والأولاد بالبر والصلة.

ج-مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبدًا صالحًا ونافعا فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "خير الناس أنفعهم للناس"(١)

يجعل بيته بيتاً ربانياً: يشعر فيه أهل بيته بقيمة الشهر فيجمعهم على القرآن فيختمونه معاً ويعمل لوحات بفضائل الشهر يعلقها داخل المنزل ويعقد الدروس العلمية لأهل بيته ويصطحبهم إلى المسجد للصلاة ودروس العلم.

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه ** ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح

فالنفس تدأب في قول وفي عمل ** صوم النهار وبالليل التراويح

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح الجامع

منهاج المسلم في رمضان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـــالحات، جعل الأرض قرارًا وأحاطها بســـبع ســـماوات، جعل فيها أنهارًا وفجاجًا وجبالًا راسيات، أخرج منها نبات كل شيء وقدر فيها الأقوات، أنزل الغيث مباركًا والفلك بالخير في البحر جاريات، سخر الشمس والقمر دائبين والنجوم بالليل بازغات، خلق الحياة ليبلونا وكتب علينا الممات، نحمَده تبارك وتعالى حمدًا يليق بجلال الذات وكمال الصـــفات، ونعوذ بنور وجهه الكريم من السيئات والهفوات، ونسأله من نوره نورًا ننجو به من العثرات وحالك الظلمات.

وأشـــهد أن لا إله إلا الله ذو العرش رفيع الدرجات، المنزه الذات عن الاختصـــاص بالجهات، المحدِث لكل الحوادث والمحدَثات، حكيم خبير أوجد على مراده الكائنات، وما لها من حركات وســـكنات، عليم قدير تندرج تحت علمه جميع المدركات، وتخضع لسلطان قهره كل الموجودات، سميع بصير تستوي في كمال سمعه الأصوات، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تحجب رؤيته الظلمات، عليٌّ كبير لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المعصوم من كل الشهوات، المبرأ من الهوى والمنزه عن النزغات والخطرات، مغلاق الشـــرور كلها ومفتاح جماع الخيرات، شـــمس الدجى وقمر الليالي الحالكات، المنير وجهه وبوجهه يُستسـقى الغمام وينمو النبات، الفصـيح لسـانه وبلسـانه يتكلم أهل الجنات، القوي بيانه وبتبيانـه تندفع المعضـــلات، الفريد حياؤه وحياؤه لم تحظَ بمثله البنات، المعدوم مثله، ومثله قط لم تلد الأمهات،

المحمود اسمه وباسمه تستمطر الرحمات، العظيم خلقه، وبخلقه يتجسد التنزيل ومحكم الآيات، المرفوع ذكره، وبذكره تحل عقد المشـكلات، المأمول حبه، وبحبه تتضـاعف الحسـنات، المرضـي حمده، وبحمده يوم الفزع تكشف الكربات.

اللهم صـلِّ وسـلِّم وبارك على أكمل المخلوقات، عدد ما في الكون من معلومات، ومداد ما خطه القلم من كلمات، ما دامت الكواكب في أفلاكها والنجوم سابحات

العناصـــــر

أولاً: المحافظة على الصلاة ثانياً: المحافظة على القرآن الكريم

ثالثاً: التنافس في الخيرات رابعا: الإنفاق في سبيل الله

خامساً: الالتزام بالكلم الطيب وترك الخبيث

المـــوضـــــوع

أولا: المحافظة على الصلاة

الأمر بالمحافظة عليها: قال تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ" (١٥٣ البقرة)

قال تعالى "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ "(٢٣٨ البقرة).

نور للعبد يوم القيامة: عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان

والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[١]

أفضل الأعمال بعد الشهادتين: أفضل الأعمال بعد الشهادتين؛ لحديث عبد الله بن مسعود -ﷺ- قال: سألت رسول الله -ﷺ-: أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة لوقتها" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "برّ الوالدين" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" [٢]

تغسل الخطايا: عن حديث جابر -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات"[٣]

فضل قيام الليل: قال -تعالى-:(إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)"السجدة: ١٥ -١٧"

ووصفهم في موضعٍ آخر بقوله:(وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)"الفرقان: ٦٤ -٦٥" إلى أنْ قال:(أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)"الفرقان: ٧٥ -٧٦".

وعن أبي هريرة -ﷺ- أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: ((ينزل ربُّنا -تبارك وتعالى- كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخِر فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟)) [٤]

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) [٥]

ثانيا: المحافظة على القرآن الكريم

شفاء ورحمة للمؤمنين: وقال تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا "(الإسراء: ٨٢)

خير من جمع المال: عنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ فَقَالَ "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ"، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ "أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ" [٦]

أهل القران هم أهل الله وخاصته: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ"، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ"[٧]

علو المنزلة في الدنيا والآخرة: فعن عمرَ بن الخطابِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "إِنَّ اللهَ يرفَعُ بِهذَا الكتابِ أَقواماً ويضَعُ بِهِ آخَرين" [٨]

وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: "الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرةِ الكرَامِ البررَةِ، والذي يقرَأُ القُرْآنَ ويتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ له أجْران " [٩].

أهلُ القرآن في الجنة درجات بمِقدار ما يقرؤون ويُرتِّلون: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: " يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها " [١٠]

الجزاء بعد الموت: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح مسلم
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح البخاري
(٦) متفق عليه
(٧) صحيح الترغيب والترهيب
(٨) صحيح مسلم
(٩) متفق عليه
(١٠) مشكاة المصابيح

بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ"(١)

الشفاعة بين يدي الله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً " (٢)

التجارة الرابحة التي لا خسارة فيها: قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ" فاطر

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ" (٣)

الأدب مع القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه : فإن من الواجب على قارئ القرآن الكريم أن يتأدب بآدابه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويتمسك بتعاليمه ، فبأخلاقه يتحرر الإنسان من أهوائه وشهواته ، وتتقوى نفسه بالأخلاق القويمة ، قال تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" "الإسراء: ٩" ، وأسوتنا في ذلك رسول الله (ﷺ) قد كان قرآنا يمشي على الأرض ، يتخلق بخلقه ، يرضى برضاه، ويسخط لسخطه ، وقد سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن أخلاقه (ﷺ) فقالت: "كَانَ خلقه الْقُرْآن"" (٤)

حرمة هجر القران: قال تعالى: " وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً "

فهذه هي شكوى سيدنا محمدٍ ﷺ مِن هجر قومه للقرآن، والتي سجلها القرآن، وأين؟ في سورة الفرقان بالذات؛ لأن الفرقان هو القرآن، سجلها في قوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) متروكاً مُقاطَعاً مرغوباً عنه، وإن ربه ليعلم بشكواه وحال قومه مع هذا القرآن؛ ولكنه دعاء البث والإنابة، يُشهِد به ربه على أنه لم يألف جهداً، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتدبروه.

وتأملوا يا أمة القرآن: " في قوله: (اتخذوا) فهي تدل على أنهم جعلوا الهجر ملازماً له ووصفاً من أوصافه عندهم، وهذا أعظم وأبلغ من أن يقال: إنهم هجروه؛ لأن هذا اللفظ يفيد وقوع الهجران منهم، دون دلالة على الثبوت والملازمة".

لقد هجروا القرآن الذي نزّله الله على عبده لينذرهم، ويبصرهم، هجروه فلم يفتحوا له أسماعهم، وهجروه فلم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله، ويجدوا الهدى على نوره، وهجروه فلم يجعلوه دستور حياتهم، وقد جاء ليكون منهاج حياة يقودها إلى أقوم طريق.

فهل ندرك -معشر قراء كتاب الله -ونحن نقرأ هذه الآية أن شكوى النبي ﷺ مَن هجر القرآن، فيها دلالةٌ على أن ذلك من أصعب الأمور عليه، وأبغضها لديه؟ وأن في حكاية القرآن لهذه الشكوى وَعِيدٌ كبير للهاجرين بإنزال العقاب بهم إجابةً لشكوى نبيه ﷺ؟

ثالثاً: التنافس في الخيرات

الأمر بالتسابق: قال تعالى" وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"(المطففين: ٢٦).

وقال تعالى: " وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ"(الواقعة)

وقال ابن القيّم -رحمه الله-: "السَّابِقُونَ في الدُّنْيا إلى الخَيْراتِ هُمْ السَّابِقُونَ يومَ القَيامةِ إلى الجنَّات".

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح الجامع

ومدح أنبيائه بهذه الصفة الحميدة فقال: " إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (الأنبياء ٩٠)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ "بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا" (١).

اغتنم الفرص: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-قَالَ "يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ". فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ". ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ" (٢)

غرف الجنة: عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -ﷺ-عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ -قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ" قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: "بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ" (٣)

احرص على الدرجات العالية: عن أبي هريرة:" أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهلُ الدُّثورِ بالدرجاتِ العُلى والنعيمِ المُقيمِ. فقال " وما ذاك؟ " قالوا: يُصلُّون كما نُصلِّي. ويصومون كما نصومُ. ويتصدَّقون ولا نتصدَّقُ. ويعتِقون ولا نعتِقُ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ " أفلا أُعلِّمكم شيئًا تُدركون به مَن سبقَكم وتَسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثلَ ما صنعتُم " قالوا: بَلى: يا رَسولَ الله! قال" تُسبِحونَ وَتُكَبِرُونَ وَتُحَمِدونَ، دُبُرَ كلِّ صلاةٍ، ثلاثًا وثلاثين مرةً ". قال أبو صالحٍ: فرجع فقراءُ المهاجرين إلى رسولِ اللهِ ﷺ. فقالوا: سمِع إخوانُنا أهلُ الأموالِ بما فعَلْنا. ففعلوا مثلَه. فقال رسولُ اللهِ ﷺ " ذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يشاءُ " (٤)

رابعا: الإنفاق في سبيل الله

عظيم الأجر والثواب: قال عز قال:" مَثَلُ الَّذِين ينفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " البقرة ٢٦١

له مثل اجر الصائم: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قَالَ: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهُ، من غير أن يُنقَصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ" (٥)

أجود الناس في رمضان: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ) قَالَ: "كَانَ النبي ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فيدارسه القرآن، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ (٦).

تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار: عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال له" ألا أدلك على أبواب الخير قلت بلى يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار" (٧)

خامسا: الالتزام بالكلم الطيب وترك الخبيث

أ-الالتزام بالكلم الطيب

بها يتفاضل المسلمون: عن أبي موسى ﷺ قال قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح ابن ماجة
(٦) متفق عليه
(٧) صحيح الترغيب والترهيب

المسلمون من لسانه ويده "[١]

بها تستقيم الأعضاء أو تعوج: عن أبي سعيد الخدري ﷺ رفعه قال إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا " [٢]

الكلمة الطيبة شعبة من شعب الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" [٣]

الكلمة الطيبة سمة المؤمنين الصادقين والدعاة وشعارهم : قال تعالى: (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما).

بالكلمة الطيبة تتحقق المغفرة: قال ﷺ: "إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ" [٤]

تصعد إلى السماء: فتح لها أبواب السماء وتقبل بإذن الله: قال تعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب"

ب-ترك الخبيث

اجتناب الصائم الرفث والصخب والعدول عنه إلي الحسن في القول: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه [٥]

وفي "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها" [٦]

ومعنى: الرفث في الحديث يشمل الفحش في القول والجماع معاً، (وَلَمْ يَفْسُقْ) أَيْ لَمْ يَأْتِ بِسَيِّئَةٍ وَلا مَعْصِيَةٍ، وَمَعْنَى (كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمّه): أَيْ بِغَيْرِ ذَنْب.

لا أصل لها: يقول الله تعالى: "ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار"، (إبراهيم)، يقول ابن القيم: ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت، ولا فرع عال، ولا ثمرة زاكية، فلا ظل ولا جني ولا ساق قائم، ولا عرف في الأرض ثابت، فلا أسفلها مغدق، ولا أعلاها مونق، ولا جني لها ولا تعلو بل تعلى، وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكسبهم، وجده كذلك فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه.

توجب سخط الله: عن بلال بن الحارث المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه"[٧]

وأخيرا: إن كل ما نهي الله عنه من الكلام يعد خبيث فلابد من اجتنابه: فعلى الصائم أن يلتزم بكل الآداب التي أمر بها الله ورسوله ﷺ ويبتعد عن كل ما نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه
(٢) مشكاة المصابيح
(٣) متفق عليه
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) متفق عليه
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح الترغيب والترهيب

فضل القرآن الكريم وواجبنا نحوه

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، أظهر الحق بالحق وأخزى الأحزاب، وأتمَّ نوره، وجعل كيد الكافرين في تباب، أرسل الرياح بشرًى بين يدي رحمته وأجرى بفضله السحاب، وأنزل من السماء ماء، فمنه شجر، ومنه شراب، جعل الليل والنهار خلفة فتذكر أولو الألباب، نحمَده تبارك وتعالى على المسببات والأسباب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من المؤاخذة والعتاب، ونسأله السلامة من العذاب وسوء الحساب.

وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الوهاب، الملك فوق كل الملوك ورب الأرباب، الحكم العدل يوم يُكشف عن ساق وتوضع الأنساب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، خلق الناس من آدم وخلق آدم من تراب، خلق الموت والحياة ليبلونا وإليه المآب، فمن عمل صالحًا فلنفسه، والله عنده حسن الثواب، ومن أساء فعليها، وما متاع الدنيا إلا سراب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المستغفِر التواب، المعصوم ﷺ في الشيبة والشباب، خُلُقه الكتاب، ورأيه الصواب، وقوله فصل الخطاب، قدوة الأمم، وقمة الهِمَم، ودرة المقربين والأحباب، عُرضت عليه الدنيا بكنوزها، فكان بلاغه منها كزاد الركاب، ركب البعير، ونام على الحصير، وخصف نعله ورتق الثياب، أضاء الدنيا بسنته، وأنقذ الأمة بشفاعته، وملأ للمؤمنين براحته من حوضه الأكواب.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب، ما هبت الرياح بالبشرى وجرى بالخير السحاب، وكلما نبت من الأرض زرع، أو أينع ثمر وطاب.

العناصر

أولاً: تعريف القرآن ثانياً: فضل القران الكريم

ثالثا: واجبنا نحو كتاب الله تعالى رابعاً: حرمة هجر القران

الموضوع

أولا: تعريف القرآن

لغة: لفظ القرآن مصدر مشتق من (قرأ) يقال قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآناً ومنه قوله تعالى" إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه "

اصطلاحاً: كلام الله المنزل علي نبيه محمد المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر الناس.

ثانيا: فضل القران الكريم

الخروج من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان: قال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ " ابراهيم

تحدى الله جميع المخلوقين أن يأتوا بمثله: قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" "البقرة: ٢٣".

وقال تعالى: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا "الإسراء

وقال تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" "هود: ١٣"

السعادة في الدنيا والآخرة: قوله تعالى: " فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى" "طه:١٢٣، ١٢٦"

الذين يتبعونه هم أولو الألباب: قال تعالى:(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)"الزمر"

وقال تعالى:(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)"ص"

سبيل الهداية إلى الصراط المستقيم: قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ "الشورى

تبشير المؤمنين وإنذار الكافرين: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا *قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا *مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا)الكهف: ١ -٣.

وقال في سورة الإسراء:(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)الإسراء: ٩

شفاء ورحمة للمؤمنين: وقال تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا "(الإسراء: ٨٢)

خير من جمع المال: عن عقبة بن عامر ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: ((أيكم يحب أن يغدو كل يوم بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم بالله ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك فقال: فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل)) [1]

تولى الله حفظه: قال يحيى بن أَكْثم: كان للمأمون -وهو أميرٌ إذْ ذاك -مجلِسُ نظر، فدخَل في جملة الناس رجلٌ يهودي، حسَنُ الثَّوب، حسن الوجه، طيّب الرائحة، قال: فتكلَّمَ فأحسن الكلامَ والعبارة.

فلما تقوَّض المجلسُ دعاه المأمون، فقال له: إسرائيليٌّ؟ قال: نعم .قال: أسلِم حتى أفعل بك وأصنعَ، ووعَدَه، فقال: ديني ودين آبائي، وانصرف، قال: فلمَّا كان بعد سنة جاء مسلمًا، فتكلَّم على الفقه، فأحسنَ الكلام، فلما تقوَّض المجلسُ دعاه المأمون، وقال: ألست صاحِبَنا بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفتُ من حضرتك، فأحببتُ أن أمتحِن هذه الأديان، وأنت تراني حسَنَ الخطِّ، فعمدتُ إلى التوراة، فكتبت ثلاث نُسَخ، فزِدْتُ فيها ونقَصْت، وأدخلتُها البيعة، فاشتُرِيت منِّي، وعمدتُ إلى الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ، فزدتُ فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة، فاشتُرِيت مني وعمدت إلى القرآن، فحملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونَقَصْت، وأدخلتُها الورَّاقين، فتصفحوها فلما وجدوا فيها الزِّيادة والنقصان، رموا بها فلم يشتروها، فعلمتُ أنَّ هذا كتابٌ محفوظ، فكان هذا سببَ إسلامي، وصدق الله تعالى إذ يقول : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: ٩

اطمئنان القلوب: قال تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

---

(١) صحيح مسلم

أحسن الحديث : فقال سبحانه وتعالى:(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)"الزمر: ٢٣.

أهل القران هم أهل الله وخاصته: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ"، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ هُمْ؟ قال: "هم أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ"(١)

جواز جعل القران مهرا: عن سهل بن سعد ﷺ قال: أتت النبي ﷺ امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ، فقال: ((ما لي في النساء من حاجة، فقال رجل: زوجنيها، قال :أعطها ثوبا، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتما من حديد، فاعتل له، فقال :ما معك من القرآن: قال: كذا وكذا قال: فقد زوجتها بما معك من القرآن)) (٢) ، ومعنى (فاعتل له) حزن وتضجر من أجله أو تعلل أنه لم يجده

هو الكتاب المهيمِنُ على ما عَداه من الكُتُبِ التي أنزَلَها الله ـجلَّ وعلا : قال تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)"المائدة: ٤٨"، قال ابن سعدي: "أي: مشتملاً على ما اشتَملتْ عليه الكُتُبُ السابقة وزيادةً في المطالب الإلهيَّة والأخلاق النفسيَّة".

أنَّ الغبطةَ الحقيقيَّة والحسَدَ المحمود إنما يكونُ لمن حَفِظَ القُرآن الكريم وقام بحقِّه: عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ـﷺـقَالَ "لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ". (٣)

علو المنزلة في الدنيا والآخرة: فعن عمرَ بن الخطابِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ يرفَعُ بِهذَا الكتاب أَقواماً ويضَعُ بِهِ آخَرين" (٤)

وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ :ﷺ"الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرةِ الكرَامِ البررَةِ، والذي يقرَأُ القُرْآنَ ويتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ له أجْران " (٥).

وعن عبد الله بن عمرو (ﷺ) قال: قال رسولُ الله (ﷺ): (يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرَأ وارتَقِ، ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا، فإن منزِلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها) (٦)

وعن أبي أمامة (ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ .(وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: (كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا) (٧)

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا"(٨)

الجزاء بعد الموت: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ"(٩)

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح البخاري
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح مسلم
(٥) متفق عليه
(٦) السلسلة الصحيحة
(٧) صحيح مسلم
(٨) متفق عليه
(٩) صحيح الترغيب والترهيب

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" .(١)

الشفاعة بين يدي الله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً " (٢)

وعن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ :"اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّهُ يَأْتي يَوْم القيامةِ شَفِيعاً لأصْحابِهِ " (٣) وعَن النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ ﷺ قال: سمعتُ رسول اللَّهِ ﷺ يقولُ: "يُؤْتى يوْمَ القِيامةِ بالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الذين كانُوا يعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنيا تَقدُمهُ سورة البقَرَةِ وَآل عِمرَانَ، تحَاجَّانِ عَنْ صاحِبِهِمَا" (٤)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ"(٥)، والماحِلُ: المجادلُ لصاحبه لما يتبع ما فيه.

وقال رسول الله ﷺ " يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرك وإن كل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها فيقولان: يا رب أنى لنا هذا؟ فيقال: بتعليم ولدكما القرآن. وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرا وارق في الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية معك (٦)

ثالثا: واجبنا نحو كتاب الله تعالى

الإيمان به على مقتضى مذهب أهل السنة والجماعة: فنعلم أنَّ الإيمانَ بالكُتُبِ التي أنزَلَها الله تعالى أحدُ أركان الإيمان قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)"النساء: ١٣٦".

وقال -ﷺ -لما سأَلَه جبريل عن الإيمان: ((أنْ تؤمنَ بالله وملائكته وكُتُبِه ورسله واليوم الآخِر وتؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه.

وقال الطحاوي في سِياق ذِكر عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: "وأنَّ القُرآن كلامُ الله، منه بدَا بلا كيفيَّة قولاً، وأنزَلَه على رسولِه وحيًا، وصدَّقَه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيْقَنوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البريَّة ، ولا نُجادِلُ في القُرآن، ونشهدُ أنَّه كلامُ ربِّ العالمين، نزَلَ به الرُّوح الأمين، فعلَّمه سيِّد المرسلين محمدًا - ﷺ- وهو كلام الله تعالى، لا يُساويه شيءٌ من كلام المخلوقين، ولا نقولُ بخلقِه، ولا نخالفُ جماعةَ المسلمين".

وقال ابن عثيمين: "ونؤمنُ بأنَّ القُرآن الكريم كلام الله تعالى، تكلَّم به حقًّا، وألقاه إلى جبريل، فنزل به جبريل على قلب النبيِّ -."ﷺ

تلاوته وتدبّره وتحديد ورد ثابت يوميا فإن في تدبره وتلاوته

أ-التجارة الرابحة التي لا خسارة فيها: قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ" فاطر.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) السلسلة الصحيحة
(٦) السلسلة الصحيحة

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ" (١).

ب-نزول السكينة والرحمة : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده" (٢)

ج-تدبر آياته: قال تعالى:(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)"الزمر"

وقال تعالى:(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

د-تحديد ورد ثابت يوميا: والسؤال: هل هناك مسلم لا يمكن أن يختم القرآن في حياته؟! هذه مصيبة كبرى! وأنا أسألك أيها القارئ الكريم: أتذكر آخر مرة ختمت فيها القرآن؟! أخشى أن تكون ختمة رمضان الماضي؟!. وأن يكون مصحفك قد وضع على الرف بعد رمضان وعلاه التراب. واحذر أن يشهد عليك القرآن أنك هجرته يوم القيامة!! وماذا تفعل لو لم تقرأ وردك اليومي؟!

بعض الصحابة كان إذا فاته ورده يبكي. وقد دخلوا على أحدهم ذات مرة فوجدوه يبكي بشدة، فسألوه: أتشتكي وجعا؟ قال: أشد.. أشد، قالوا: وما ذاك؟ قال: نمت بالأمس ولم أقرأ وردي، وما ذلك إلا بذنب أذنبته!!

إن كثيرا من الناس يقضون أوقاتا طويلة في قراءة الجرائد.. وقد ينزلون بالليل لكي يحصلوا على صحيفة الغد بتلهف واهتمام! فلماذا لا يحظى كتاب الله ولو بمثل هذا الاهتمام؟! أتزهد في ثواب القرآن؟؟؟؟! وبعض الناس يضيع وقته في التفكير والنظر إلى لا شيء وإذا سئل يقول: لا أجد شيئا أعمله!! وهل نسي المسكين كتاب الله؟.

وجوب التأثر به: يجب على المسلم أن يتأثر بالقرآن عند تلاوته ويتفاعل معه فيضطرب أو يهتز قلبه، ويشعر أن القرآن يتنزل عليه هو وفي لحظة قراءته، كما حكي الشاعر الكبير محمد إقبال قال: كان أبي يقول لي: يا بني اقرأ القرآن وكأنما عليك أنزل!! وبهذا يذوق المسلم حلاوة القرآن ويستشعر عظمته.

أ-وهذا هو الرسول الأكرم والمعلم الأعظم يضرب المثل والقدوة في التأثر بالقرآن والتجاوب مع آياته الكريمة، قال يوما لعبد الله بن مسعود: اقرأ عليّ القرآن، فيقول ابن مسعود: يا رسول الله: أأقرأ عليك وعليك انزل؟ فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري " (٣)

فجلست أقرأ عليه سورة النساء، حتى وصلت إلى قول الله عز وجل: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" النساء ٤١، فقال له ﷺ: حسبك الآن أي كفى، فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان (أي يبكي من التأثر بالقرآن والتعايش معه؛ إذ علم أنه ﷺ المقصود والمعني بهذه الآية).

وأنا أسألك أخي القارئ العزيز: هل بكيت وأنت تقرأ القرآن ذات مرة؟!.

وهذا صحابي آخر يقول: كنا نسمع لرسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن في الصلاة أزيزا كأزيز المرجل من البكاء (أي أنه ﷺ كان يحدث مثل الهزة عند القراءة لشدة تأثره بها، وأزيز المرجل هو صوت الإناء الذي يغلي به الماء) !!

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) متفق عليه

ب-الصديق ﷺ تلميذ النبي الأول ورفيقه في حياته وبعد مماته، لما اشتكى النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال لآل بيته: مروا أبا بكر فليصل باناس فكأنهم تعجبوا من ذلك وقالوا يا رسول الله: غن أبا بكر رجل أسيف (شديد التأثر بالقرآن) إذا قرأ القرآن بكى"[١]

ج-سيدنا عمر ﷺ كان يسير في الطريق ذات يوم فسمع رجلا يقرأ قوله تعالى من سورة الطور:" إنّ عذاب ربك لواقع*ماله من دافع". فسقط مغشيّا عليه، فحمله الناس الى بيته وظلوا يزرونه شهرا، يظنون أن به مرضا، وما به مرض بل شدة الخوف من الله تعالى واستحضار لمشهد يوم القيامة العظيم، وشدة عذاب الله تعالى للكافرين.

وجوب تعلمه وتعليمه: أ-الخيرية في تعلمه وتعليمه: عن عثمانَ بن عفانَ ﷺ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: "خَيركُم مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمهُ " [٢].

فإنْ كان القُرآن الكريم قد شَرُفَ وعَلَتْ منزلته بين الكتب السماويَّة، وشَرُفَ مَن عمل به، وفاز مَن آمن به، وحاز قارئه الأجرَ الكثير، فإنَّ لحافظِه من البركات والخيرات الشيء الكثير، كيف لا يكون كذلك مَن حوى كتابَ الله تعالى في صدره وملأ قلبَه به وأكثَرَ لسانُه من تلاوته.

وإنَّ لحفظ القُرآن الكريم من الفَضائل والفَوائد ما يدعو المسلمَ إلى المسارعة إلى هذا الخير والمشاركة فيه؛ حتى يكونَ من أهل القُرآن الذين هم أهل الله وخاصَّته، كما في الحديث.

وإذا كان القُرآن الكريم كلامَ الله تعالى، وإليه التحاكُم والحكمُ، وهو المرجع عند النِّزاع والخلاف لدى أمَّة محمد -ﷺ-فما ظنُّكم بِمَن يحفَظُه ويُعنَى به ويشغل به وقته؟!

ففي الحديث القدسي: "إنما بعثتك لأبتَلِيَك وأبتَلِيَ بك، وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسلُه الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان)) [٣].

قال النووي: فمعناه: محفوظ في الصُّدور، لا يتطرَّق إليه الذهاب، بل يبقى على مَرِّ الزمان.

وقال ابن حزم :اتَّفقوا على أنَّ حِفظ شيءٍ من القُرآن واجبٌ، واتَّفقوا على استِحباب حفظ جميعِه، وأنَّ ضبطَ جميعِه واجبٌ على الكفاية لا متعين.

وقال الزركشي: قال أصحابنا: تعلُّم القُرآن فرضُ كفاية، وكذلك حفظه واجبٌ على الأمَّة.

وقال ابن خلدون :اعلم أنَّ تعليمَ الولدان للقُرآن شِعار الدِّين، أخَذ به أهل الملة ودرَجُوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبقُ فيه إلى القُلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، وصار القُرآن أصلَ التعليم الذي ينبَنِي عليه ما يحصلُ بعدُ من الملكات.

وقال أبو الفضل الرازي: وعلى الحِفظ والتحفُّظ كان الصدر الأوَّل ومَن بعدهم، فلم يكن الفُقَهاء منهم ولا المحدِّثون والوعَّاظ يتخلَّفون عن حِفظ القُرآن الكريم والاجتهاد على استِظهاره، إلى أنْ خلفهم الخلفُ الذين فاتَهُم من طراوتهم وحَداثتهم طلبُ حفظِ القُرآن الكريم وفي أوانه، ولَحِقَهم العجزُ والبَلادةُ على سنِّهم . بتصرُّف يسير.

وجعل الله حفظَه مُيسَّر للجميع، كما قال سبحانه:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)"القمر" وقد ذكَر العلماء أنَّ من معجزات القُرآن الكريم تيسير حِفظه، كما قال النويري: والقُرآن قد يسَّر الله تعالى حفظَه على الغِلمان في المدَّة القريبة والنِّسوان، وقد رأينا مَن حفظه على كبر سنِّه، وهذا من معجزاته.

وقال ابن تيميَّة: وأمَّا طلب حِفظ القُرآن فهو مقدَّم على كثيرٍ ممَّا تُسمِّيه الناس علمًا، وهو إمَّا باطلٌ أو قليلُ النَّفع، وهو أيضًا مُقدَّم في التعلُّم في حقِّ مَن يريدُ أنْ يتعلَّم علمَ الدِّين من الأصول والفروع؛ فإنَّ

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم

المشـروع في حَقّ مثلِ هذا في هذه الأوقات أنْ يبدأ بحفظ القُرآن؛ فإنَّه أصـلُ علوم الدِّين، والمطلوب من القُرآن هو فهم مَعانِيه والعمل به، فإنْ لم تكن هذه همَّة حافظه لم يكن من أهل العِلم والدِّين.

ب-وجوب تعليمه للأبناء لأنها أمانه ويجب أدائها وعدم خيانتها: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ :إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " (١)

وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون "

"وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم"

وقال تعالى " والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصـرف الآيات لقوم يشكرون " الأعراف

وقال رسـول الله ﷺ " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْـتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " (٢)

وقال تعالى(وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا)المزمل: ٢٠.

ج-مراجعة ما نحفظ من القرآن: فلا يصح لمسلم أن يحفظ كلام الله ثم ينساه، ومما يعين على الحفظ كثرة المراجعة والصلاة بما تحفظ خاصة في قيام الليل.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ" قال تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها " (٣)

ويفضل لمن لا يحفظ شيئا من القرآن أو من يودّ الحفظ بشكل منتظم أن يبدأ من سورة الناس. وحبذا لو حرصت على قراءة تفسير ما تقرأ أو تحفظ، لأن معرفة التفسير من الوسائل المعينة على تثبيت الحفظ وسرعة التذكر. وأكرر نصيحتي لك بأن تحرص على أن تقوم الليل بما تحفظ من القرآن.

العمل بما فيه انطلاقًا من طاعة الله سبحانه الواجبة

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ)"الأنفال: ٢٠".

وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْـتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)الأنفال

وعن النَّوَّاس بن سـمعان الكلابي قال: سـمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: ((يُؤتَى بالقُرآنِ يومَ القيامة وأهلِه الذين كانوا يعمَلُون به، تقدمُه سـورةُ البقرة وآل عمران كأنهما غَمامتان أو ظُلَّتان سَوْداوان، بينهما شـرقٌ أو كأنهما حِزقان -أي: جماعتان -من طيرٍ صوافَّ، تحاجَّان عن صاحبهما)) (٤)

قال في "النهاية": "الشَّرْقُ هاهنا الضَّوء، وهو الشمس والشقُّ أيضًا".

أخرج سـعيد بن منصـور عن مِسـعَر قال: أتى عبد الله بن مسـعود -ﷺ -رجلٌ فقال: أوصِـني فقال: "إذا سمعتَ اللهَ -عزَّ وجلَّ -يقولُ في كتابه:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)فأصغِ لها سمعَك؛ فإنَّه خيرٌ تُؤمَر به، أو شرٌّ تُصرَف عنه".

وأمرُ الله لا بُدَّ من تنفيذِه وامتِثاله؛(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)الأحزاب: ٣٦

ولو تأملنا حال الصحابة الكرام ﷺ مع القرآن الكريم لوجدنا أنهم لم يكتفوا بالقراءة أو الاستماع فقط، بل قرأوا وتدبروا، فتعلقت به قلوبهم، وارتبطت به نفوسـهم، فكانوا يطبقونه قولاً وعملاً، يأتمرون بأوامره، ويبتعدون عن نواهيه، لذلك ما بلغوا ما بلغوه من الفضـائل والرفعة إلا بفضـل العمل بالقرآن الكريم،

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

واستجابة لأوامره، لقد حفظ سيدنا عمر بن الخطاب (ﷺ) سورة البقرة في ثماني سنوات ليس لبطء في حفظه ولكن لأنه كان يحرص على العلم والعمل معًا.

ولأن الصحابة الكرام ﷺ كانوا يفقهون آيات القرآن الكريم ويتعايشون معها وجدناهم يسارعون إلى طاعة أوامر الله (عز وجل) واجتناب نواهيه ، فحين نزلت آيات النهي عن شرب الخمر ونادى منادٍ : " ألا إن الخمر قد حُرِّمَت" تجاوبوا جميعًا مع القرآن ، فالذي كان في يده شيء من الخمر رماه ، والذي كان في فمه شربة مجَّها ، والذي كان عنده في أوان أراقها، استجابة لأوامر القرآن الكريم ، حتى امتلأت بها سكك المدينة وقالوا انتهينا يا ربنا ، وكذلك حين نزل قول الله تعالى: "لن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" "آل عمران: ٩٢" قام سيدنا أبو الدحداح إلى أجمل حديقة عنده وأحبها إليه وتصدق بها، ومن هنا استطاع الصحابة الكرام ﷺ حفظ كتاب الله لأنه لم يكن بالنسبة لهم مجرد كلمات ؛ بل كان منهجًا تربويًّا سلوكيًّا إيمانيًّا ظهر في تعاملاتهم فيما بينهم؛ بل ومع غيرهم.

الأدب مع القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه : فإن من الواجب على قارئ القرآن الكريم أن يتأدب بآدابه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويتمسك بتعاليمه ، فبأخلاقه يتحرر الإنسان من أهوائه وشهواته ، وتتقوى نفسه بالأخلاق القويمة ، قال تعالى: "إن هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كبيرا" "الإسراء: ٩" ، وأسوتنا في ذلك رسول الله (ﷺ) قد كان قرآنا يمشي على الأرض ، يتخلق بخلقه ، يرضى برضاه، ويسخط لسخطه ، وقد سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن أخلاقه (ﷺ) فقالت: "كَانَ خلقه الْقُرْآن"[1]

مواجه تحريف الغالين وتأويل المبطلين : الذين يحاولون توظيف القرآن الكريم سياسيًا أو أيديولوجيًا للحصول على مأرب أو مغنم، فيجب أن يُتَلقى القرآن الكريم لفظًا ومعنى من أهل الذكر المتخصصين من علماء الأمة الموثوق بعلمهم الذين يعلمون الناس صحيح الدين ومنهج الإسلام القويم، والذين لا يوظفونه لمصالحهم أو يفسرونه وفق أهوائهم.

توقيره وتوقير أهله العاملين به وصيانته عن أي امتهان كاتخاذه للزينة أو اللعب بكتابته كالذين يكتبونه بخط صغير جدّاً في صفحة واحدة، أو اتخاذه للغناء والتجارة، أو كتابته على الميداليات، وغيرها من الأشياء التي يصعب صرفها عن الامتهان والسقوط أو الدخول بها في الخلاء لقضاء الحاجة. أو الاتكاء عليه أو تركه على الأرض في صورة المهمل، ونحو ذلك مما يشعر بعدم التوقير، أو اتخاذه رمزاً للكوارث والمصائب في المآتم المبتدعة ونحوها، أو خلطه مع الهزل كما يفعلونه في برامج أجهزة الإعلام وافتتاح الحفلات الماجنة أو اتخاذه وسيلة لتملق البشر فيستخدم لمدح الفسقة والطواغيت ويتفنن في ذلك من لا يرجون لله وقاراً ولا يقيمون له وزناً، أو يستخدم لإضحاك الناس ولفت أنظارهم كالذين يدخلونه في النكت أو للدعاية لتجاراتهم وصناعاتهم فيقتبسون منه آيات يضعونها على معان فاسدة غير معانيها التي أنزلت لها، كالساعاتي الذي يعلق عنده قوله عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ" "لقمان: ٣٤"، والحائك الذي يكتب على بابه: "وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً" "الإسراء:

بل بلغ الأمر أن بعض المجرمين الذين يزينون النساء كتبوا على أبوابهم "وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ" "الحجر: ١٦"، وغير ذلك مما يصل إلى حد السخف والهزل بآيات الله، وذلك من الكفر الذي حذر الله منه: "وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٦ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ" "التوبة: ٦٦٦".

---

(١)صحيح الأدب المفرد

رابعاً: حرمة هجر القران

قال تعالى: " وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً "

فهذه هي شكوى سيدنا محمدٍ ﷺ مِن هجر قومه للقرآن، والتي سجلها القرآن، وأين؟ في سورة الفرقان بالذات؛ لأن الفرقان هو القرآن، سجلها في قوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) متروكاً مُقاطَعاً مرغوباً عنه، وإن ربه ليعلم بشكواه وحال قومه مع هذا القرآن؛ ولكنه دعاء البث والإنابة، يُشهِد به ربه على أنه لم يألف جهداً، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتدبروه.

وتأملوا يا أمة القرآن: " في قوله: (اتخذوا) فهي تدل على أنهم جعلوا الهجر ملازماً له ووصفاً من أوصافه عندهم، وهذا أعظم وأبلغ من أن يقال: إنهم هجروه؛ لأن هذا اللفظ يفيد وقوع الهجران منهم، دون دلالة على الثبوت والملازمة".

لقد هجروا القرآن الذي نزّله الله على عبده لينذرهم، ويبصرهم، هجروه فلم يفتحوا له أسماعهم، وهجروه فلم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله، ويجدوا الهدى على نوره، وهجروه فلم يجعلوه دستور حياتهم، وقد جاء ليكون منهاج حياة يقودها إلى أقوم طريق.

فهل ندرك -معشر قراء كتاب الله -ونحن نقرأ هذه الآية أن شكوى النبي ﷺ مَن هجر القرآن، فيها دلالةٌ على أن ذلك من أصعب الأمور عليه، وأبغضها لديه؟ وأن في حكاية القرآن لهذه الشكوى وَعِيدٌ كبير للهاجرين بإنزال العقاب بهم إجابةً لشكوى نبيه ﷺ؟

وعَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ "[1]

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(1) صحيح مسلم

ليلة القدر وواجب المسلم فيها

الحمد لله الكريم الجواد، خلق الإنسان من نطفة وجعل له السمع والبصر والفؤاد، أنزل الغيث مباركًا فأحيا به البلاد، وأخرج به نبات كل شـيء رزقًا للعباد، نحمده تبارك وتعالى حمد الطائعين العبَّاد، ونتوكل عليه توكل المخبتين الزهاد، ونعوذ بنور وجهه الكريم من الوعيد بسـوء المهاد، ونرجوه تحقيق الأمل في الوعد والمعاد، ونسأله النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله المضل الهاد، المنزه الذات عن الأشباه والأنداد، الفعال لما يريد ولا يقع في ملكه إلا ما أراد، خلق سـبع سـماوات طباقًا بغير عماد، ومن الأرض مثلهن وأرسـى الجبال كالأوتاد، سـبقت كلمته أن من أطاعه عز في الأرض وساد، ومن كفر أمهله وهو له بالمرصاد.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الأسياد، سيد الأولين والآخرين من حاضرٍ وبادٍ، خير من دعا وهدى وبالخير العظيم جاد المبعوث رحمة فينا وبشفاعته يغاث العباد، المبشر بالأخوة والمحبة ونبذ الغل والأحقاد، أشجع الناس قاطبة إذا دعا داعي الجهاد، وأكرم الناس طرًّا إذا عز مال أو قل زاد، بُعث والقوم في ذل الشرك قد ساد فيهم الأوغاد، ودعاهم إلى الهدى فلم يجِد منهم إلا العناد، أراد بهم خيرًا وتربصوا به الدوائر على كل جبل ووادٍ، وحين خضعت أعناقهم بفتح مكة وأصبحوا كالرماد، نادى بعفوه وبالصفح الجميل من قبله المناد.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه حيث الصلاة عليه لنا خير زاد، ما نادى للصلاة مناد، وكلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم التناد.

العناصـــــر

أولا: سبب تَسميتِها بليلة القدر

ثانياً: متى تكون ليلة القدر

ثالثاً: سبب رفع تعيينها

رابعاً: علامات ليلة القدر

خامساً: فضل ليلة القدر

سادساً: الواجب على المسلم فيها

سابعاً: الحذر من الحرمان من الخير

الموضـــوع

أولا: سبب تَسميتِها بليلة القدر

على أقوال:

لأن الله تعالى يقدِّر فيها الأرزاق والآجال وما هو كائن: أي: يقدِّر فيها ما يكون في تلك السـنَة، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام؛ قال عبد الله بن عباس ﷺ: "يكتب في أمِّ الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنَة من الخير والشرِّ والأرزاق والآجال، حتى الحُجَّاج، يقال: يحج فلان، ويحج فلان"، وقال الحسن ومجاهد وقتادة: "يُبرم في ليلة القدر في شـهر رمضـان كل أجل وعمل وخَلْق ورِزق، وما يكون في تلك السنَة" (١)

(١)شرح النووي على صحيح مسلم

أنها مأخوذة من عِظَم القدر والشرف والشأن كما تقول: فلانٌ له قدرٌ، وفلان ذو قدر عظيم، أي: ذو شرف [١].

لأنَّ العمل فيها له قدرٌ عظيمٌ وهذا لا يحصل إلا لهذه الليلة فقط، فلو أن الإنسان قام ليلة النِّصف من شعبان، أو ليلة النصف من رجب، أو ليلة النصف من أي شهر، أو في أي ليلة لم يَحصُل له هذا الأجر.

يقول الشيخ ابن عثيمين: إن الإنسان ينال أجرها وإن لم يَعلم بها، لأن النبي ﷺ قال: ((مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا)) ولم يقل: عالمًا بها، ولو كان العلم شرطًا في حصول هذا الثواب لبيَّنه الرسول ﷺ [٢].

وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى:(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)"القدر: ٣" قال: "عملُها وصيامها وقيامها خيرٌ من ألف شهر" [٣]

وقيل لأن للعبادة فيها قدر عظيم لقول النبي ﷺ (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) [٤]

وقوله " فيها يفرق كل أمر حكيم " أي تقدّر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات والناجون والهالكون والسعداء والأشقياء والعزيز والذليل والجدب والقحط وكل ما أراده الله تعالى في تلك السنة.

والمقصود بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر -والله أعلم -أنها تنقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ.

قال ابن عباس " أن الرجل يُرى يفرش الفرش ويزرع الزرع وأنه لفي الأموات " أي انه كتب في ليلة القدر انه من الأموات. وقيل إن المعنى أن المقادير تبين في هذه الليلة للملائكة.

ومعنى (القدر (التعظيم، أي أنها ليلة ذات قدر، لهذه الخصائص التي اختصت بها، أو أن الذي يحييها يصير ذا قدر. وقيل: القدر التضييق، ومعنى التضييق فيها: إخفاؤها عن العلم بتعيينها، وقال الخليل بن أحمد: إنما سميت ليلة القدر، لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فيها تلك الليلة، من (القدر) وهو التضييق، قال تعالى: (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) سورة الفجر /١٦، أي ضيق عليه رزقه.

وقيل: القدر بمعنى القدَر -بفتح الدال -وذلك أنه يُقدّر فيها أحكام السنة كما قال تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم)

ولأن المقادير تقدر وتكتب فيها.

فسماها الله تعالى ليلة القدر وذلك لعظم قدرها وجلالة مكانتها عند الله ولكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب فيها فهي ليلة المغفرة كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) [٥]

لأن الله تعالى قدَّر فيها إنزال القرآن [٦].

لأنها ليلة الحكم والفصل: عن مجاهد قال: "ليلة القدر ليلة الحكْم" [٧]

، وقال النووي: "وسُميَت ليلة القدر، أي: ليلة الحكم والفصل، هذا هو الصحيح المشهور" [٨]

ثانيا: متى تكون ليلة القدر

في العشر الأواخر من رمضان: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ " اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان [٩].

---

(١) تفسير البغوي
(٢) الشرح الممتع:
(٣) تفسير الطبري
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح البخاري
(٦) تفسير القرآن للعزّ بن عبد السلام
(٧) تفسير الطبري
(٨) المجموع شرح المهذب
(٩) صحيح ابن ماجة

الوتر من العشر الأواخر: عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ -ﷺ- قَالَ رَأَى رَجُلٌ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- "أَرَى رُؤْيَاكُمْ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ فَاطْلُبُوهَا فِي الْوِتْرِ مِنْهَا" (١).

السبع الأواخر من رمضان: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ " اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر في تسع يبقين وسبع يبقين وخمس يبقين وثلاث يبقين (٢)

وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ " اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر فإن غلبتم فلا تغلبوا في السبع البواقي "(٣) وعن ابن عمر ﷺ: أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ (أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر) (٤) .... ومعنى(تواطأت) توافقت . (متحريها) قاصدها وطالبها

ليلة السابع والعشرين: لان العدد سبعة يتكرر في المخلوقات كثيرا فالأرض سبعا ،والسموات سبعا، والمثاني سبعا، وأيام الأسبوع سبعا ، ويمر الإنسان من العدم إلى الوجود بسبعة أطوار، وجعل الله رزقه في سبعة أصناف ، وأمر المسلم أن يسجد علي سبعة أعظم، ويصلى الجمعة على رأس سبعة أيام ، ويطوف بالبيت سبعا ، ويسعى بين الصفا والمروة سبعا، وعدد الجمرات التي يرمي بها سبعا ،والسبعة الذين يظلهم الله في ظله سبعا ،وآيات سورة الفاتحة سبعا، وعدد البحار سبعا، وعدد قارات العالم سبعا ،وتهاجر الطيور بسرب علي شكل سبعا

كلمة القدر ذكرت في سورة القدر ثلاث مرات وهي تسعة أحرف وحاصل ضرب ثلاثة في تسعة يساوي سبعا وعشرين

أنها تكررت في الكلمة رقم ١٢ من سورة القدر وعند جمعهم يكون الناتج سبعا وعشرين

ثالثاً: سبب رفع تعيينها:

تلاحي اثنين من أصحابه ﷺ: عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: (خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فَرُفِعَتْ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة) (٥)

وعن أبي سعيد ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال" يا أيها الناس إنها كانت أبينت لي ليلة القدر و إني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان و معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان التمسوها في التاسعة و السابعة و الخامسة" (٦)

فالمتدبر في هذا الحديث النبوي الشريف يجد أن المصطفى ﷺ كما حثنا على اغتنام ليلة هي خير من ألف شهر ببركتها وفضلها وخيرها أشار إلى عمل من ابغض الأعمال إلى الله يفوت على الإنسان الخير ألا وهو " الشحناء "

إذ أن الشحناء ما دخلت قلبا إلا أفسدته، ولا تسللت إلى نفس إلا أنبتت فيها البغض والكراهية، ولا تمكنت من أحد إلا حملته على هجر أهله وإخوانه وأقاربه وجيرانه، كما أنها سبب رئيس في فساد العلاقات الاجتماعية و تفكك الروابط ومن هذا وغيره شرع الإسلام من المبادئ ما يرد عن المسلمين غوائل الحقد والجفاء فنهى عن التقاطع و التدابر

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح ابن ماجة
(٣) صحيح ابن ماجة
(٤) صحيح مسلم
(٥) السلسلة الصحيحة
(٦) صحيح ابن ماجة

فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"(١)

وحث على التماسك والتآزر والتآلف لتصلح أحوال الناس ، و تنتظم أمورهم و تستقيم حياتهم فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (٢)

ويكفى لصاحب القلب التقى النقي شهادة المصطفى ﷺ له بأنه من أفضل الناس، وانه من أهل الجنة

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ " ، قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ، قَالَ : " هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، لَا إِثْمَ فِيهِ ، وَلَا بَغْيَ ، وَلَا غِلَّ ، وَلَا حَسَدَ " (٣)

إيقاظ أهل النبي ﷺ له: عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ، قال: (أُرِيتُ ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها، فالتمسوها في العشر الغوابر "(٤)

قال الحافظ ابن حجر وهذا سبب آخر، فإما أن يُحمل على التعدّد بأن تكون الرؤيا في حديث أبي هريرة مناماً، فيكون سببُ النسيان :الإيقاظ، وأن تكون الرؤية في حديث غيره في اليقظة، فيكون سبب النسيان: ما ذكر من المخاصمة. أو يحمل على اتحاد القصة، ويكون النسيان وقع مرتين عن سببين.

ويحتمل أن يكون المعنى: أيقظني بعض أهلي فسمعت تلاحي الرجلين، فقمت لأحجز بينهما فنسيتها للاشتغال بهما.

وقد روى عبد الرزاق من مرسل سعيد بن المسيّب أنه ﷺ قال: ((ألا أخبركم بليلة القدر؟ قالوا: بلى، فسكت ساعة، ثم قال: لقد قلت لكم وأنا أعلمها، ثم أُنسيتها)) فلم يذكر سبب النسيان، وهو مما يقوّي الحمل على التعدّد"(٥)

لم يذكر سبب رفع تعيينها: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ، فَخَطَبَا، وَقَالَ: إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا أَوْ نُسِّيتُهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي الْوِتْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً؛ فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِه (٦).

(أريت) أعلمت بوقتها المحدد . (نسيتها) أنساني الله تعالى علم تحديدها . (فالتمسوها) اطلبوها وتحروها . (الوتر) أوتار الليالي وهي المفردة منها . (قزعة) قطعة رقيقة من السحاب

قال بدر الدين العيني عند قوله: (نسيته): "والمعنى أنّه أنسي علم تعيينها في تلك السنة، وقال الكرماني: فإن قلتَ: إذا جاز النسيان في هذه المسألة جاز في غيرها فيفوت منه التبليغ إلى الأمة. قلتُ: نسيان الأحكام التي يجب عليه التبليغ لها لا يجوز، ولو جاز ووقع لذكّره الله تعالى.

من اجل الاجتهاد في العبادة: وهذا كثير أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة يبهمها الله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص فمثلا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان أو في السبع الأواخر من رمضان لكن لا تعلم في أي ليلة هي من أجل أن يحرص الناس على العمل في

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) فتح الباري
(٦) متفق عليه

كل الليالي رجاء هذه الليلة ولو علمت بعينها لاجتهد الناس في هذه الليلة وكسلوا عن بقية الليالي ومن ذلك ساعة الإجابة في يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله إلا أعطاه إياه هذه أيضا مبهمة من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل كذلك في كل ليلة ساعة إجابة لا يوافقها أحد يدعو الله سبحانه وتعالى إلا استجاب له [١].

الترغيب في اغتنام سائر الأيام: أنه تعالى أخفاها كما أخفى سائر الأشياء، فإنه أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى وليَّه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف... فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان.

رابعا: علامات ليلة القدر

أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لاَ شُعَاعَ لَهَا: عَنْ عَبْدَةَ وَعَاصِمِ بْنِ أَبِى النَّجُودِ سَمِعَا زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يَقُولُ سَأَلْتُ أُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ - ﷺ - فَقُلْتُ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ مَنْ يَقُمِ الْحَوْلَ يُصِبْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ. فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ أَرَادَ أَنْ لاَ يَتَّكِلَ النَّاسُ أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ وَأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. ثُمَّ حَلَفَ لاَ يَسْتَثْنِى أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ فَقُلْتُ بِأَىِّ شَىْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ قَالَ بِالْعَلاَمَةِ أَوْ بِالآيَةِ التِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ لاَ شُعَاعَ لَهَا[٢].

وفي موضع آخر قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرازي حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِىُّ حدثني عَبْدَةُ عَنْ زِرٍّ قَالَ سَمِعْتُ أُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ - وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ - فَقَالَ أُبَىٌّ وَاللَّهِ الذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّهَا لفي رَمَضَانَ - يَحْلِفُ مَا يَسْتَثْنِى - والله إني لأَعْلَمُ أي لَيْلَةٍ هي. هي اللَّيْلَةُ التي أَمَرَنَا بِهَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بِقِيَامِهَا هي لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ في صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لاَ شُعَاعَ لَهَا[٣].

معناه: أنه يمكن رؤيتها كلها ليس فيها الشعاع الذي ينبعث منها، وإنما تكون ظاهرة بارزة للناس، فلا يكون هناك الشعاع الذي يسترسل منها، ويمتد منها كالخيوط، وإنما تكون كالطست مستديرة ترى جميع أطرافها وأجزائها دون أن يكون هناك شعاع يمنع من رؤية هيئتها وشكلها [٤].

ليلة طلقة لَا بَرْدَ فِيهَا وَلَا حَرَّ تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة: عن عكرمة عن ابن عباس : عن النبي ﷺ في ليلة القدر : ليلة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة" [٥]

الملائكة في الأرض أكثر من عدد الحصى :عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى " [٦]

في أواخر الشهر: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ تَذَاكَرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ " أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ "[٧]

قوله : (شق جفنة) الشق هو النصف ، والجفنة القصعة ، قال القاضي عياض : فيه إشارة إلى أنها إنما تكون في أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر .

خامسا: فضل ليلة القدر

---

(١) شرح رياض الصالحين
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) شرح سنن أبي داود للعباد
(٥) صحيح ابن خزيمة
(٦) صحيح الجامع
(٧) صحيح مسلم

نزول القرآن : قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ، وقال : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) الدخان.

وقال رسول الله ﷺ " أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان " (١)

قال ابن كثير : القرآن إنما نَزل جُمْلَة وَاحِدة إلى بَيت العِزّة مِن السماء الدنيا ، وكان ذلك في شهر رمضان ، في ليلة القدر منه ، كما قال تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وقال : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) ، ثم نزل بعدُ مفرّقًا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ.

منحة عظيمة من الله تعالى لأمة المصطفى: قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ *سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)سورة القدر

أنها ليلة كلها سلام: هي ليلة سلام كلها خالية من الشر والأذى ولا يخلص الشيطان فيها إلى ما كان يخلص في غيرها، قال تعالى(* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)القدر

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله :(سلام هي حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحاق عن الشعبي في قوله تعالى : (من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) قال : تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، حتى يطلع الفجر(٢) .

وقيل إنها سلام؛ لكثرة السلام فيها من العقاب والعذاب. ولا مانع أن تكون لذلك كله وأكثر

العبادة فيها خير من ألف شهر : والألف شهر في الحساب تساوي ثلاثة وثمانين سنة وكذا شهراً، يعني فوق الثمانين سنة، فكانت ليلة القدر تعويضاً للأمة عما فاتها من القدرة والاستطاعة على عمل الخير

فالعبادة فيها تعدل أكثر من عبادة في ثلاثة وثمانين سنة ليس فيها ليلة القدر، قال تعالى (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) القدر ٣

سادسا: الواجب على المسلم فيها

الاعتكاف: فهو من أعظم العبادات في هذه العشر؛ وقد كان ﷺ حريصاً على سنة الاعتكاف في رمضان كل عام؛ وقد استن بهذه السنة أزواجه والصالحون من بعده ﷺ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ؛ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ" (٣)

قراءة القرآن: فعليك أن تكثر من قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهارًا ، فعن ابن عباس ﷺ : " أن جبريل عليه السلام كان يلقى النبي ﷺ في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن." (٤)

وهكذا كان السلف الصالح يقرؤون القرآن في رمضان في الصلاة وغيرها، وكان لأبي حنيفة والشافعي في رمضان ستون ختمة في غير الصلاة، وكان بعضهم يختم القرآن كل ليلة من ليالي العشر، وربما أشكل على بعضهم ثبوت النهي عن قراءة القرآن الكريم في أقل من ثلاث، " وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) تفسير ابن كثير
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه

الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم". (١)

وكان قتادة -رحمه الله- يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا دخل رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا دخل العشر ختم في كل ليلة مرة.

قيام الليل: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " (٢)

قال تعالى " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون" السجدة أي: يقومون لصلاة الليل وهم المتهجدون.

وفي حديث معاذ عن ... النبي - ﷺ - ثم قال: "ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" السجدة (٣)

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ﷺ- عن أبيه: أن رسول الله - ﷺ - قال: "نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل" . قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا"(٤).

وعن ابن مسعود - ﷺ - قال: ذكر عند النبي - ﷺ - رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه" - أو قال: "في أذنه" (٥).

في هذا الحديث: أن إهمال حق الله إنما ينشأ عن تمكن الشيطان من الإنسان، حتى يحول بينه وبين الأعمال الصالحة. قيل: كان رجل يكذب بهذا الحديث فنام حتى الفجر فقام والبول يسيل من أذنه.

وعن عبد الله بن سلام - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال: "أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"(٦)

في هذا الحديث: بشارة لمن فعل ذلك بدخول الجنة ابتداء بغير حساب ولا عذاب.

وعن جابر - ﷺ - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة"(٧)

الدعاء : فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني"(٨)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ" قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ:" يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ " (٩)

وليعلم هذا المسكين الذي استبطأ الإجابة فترك الدعاء أنه خسر ثوابا وأجرا عظيما عند الله؛ لأن الله توعده بالإجابة عاجلا أو آجلا

---

(١) لطائف المعارف
(٢) متفق عليه
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) متفق عليه
(٦) صحيح سنن الترمذي
(٧) صحيح مسلم
(٨) صحيح الترغيب والترهيب
(٩) صحيح مسلم

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما مِن مسلِمٍ يدعو اللَّهَ عزَّ وجلَّ بدَعوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ، ولا قَطيعةُ رحِمٍ ، إلَّا أعطاهُ اللَّهُ بِها إحدى ثلاثِ خصالٍ : إمَّا أن يعجِّلَ لَهُ دعوتَهُ ، وإمَّا أن يدَّخرَها له في الآخرةِ ، وإمَّا أن يصرفَ عنهُ منَ السُّوءِ مثلَها . قالوا : إذًا نُكْثِرُ ، قالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ "(١)

فانظر إلى الصحابة قالوا : إذاً نكثر ؛ لأن الإجابة مضمونة في إحدى هذه الثلاث طالما التزمت بشروط الدعاء وآدابه؛ فإما أن يعجل الله لك الدعوة؛ أو يصرف عنك مصيبة أو نازلة كانت ستنزل بك رفعها الدعاء؛ أو يدخرها لك في الآخرة؛ يقول: عبدي دعوتني في يوم كذا في ساعة كذا بدعوة كذا فاذهب إلى قصر كذا في الجنة؛ وقتها يقول العبد: يا رب ليتك لم تستجب لي ولا دعوة في الدنيا!!! فلنكثر من الدعاء فعلى المسلم أن يقف بين يدي ربه جل وعلا متذللا مستجيرا بالله وطالبا رضاه

بك أستجير ومن يجير سواك ** فأجر ضعيفاً يحتمي بحماكا
إنّي ضعيف استعين على قَوى ** ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا
أذنبت يا ربي وآذتني ذنوبي ** ما لها من غافر إلاكا
دنياي غرتني وعفوك غرني ** ما حيلتي في هذه أو ذاكا
لو أن قلبي شك لم يك مؤمناً ** بكريم عفوك ما غوى وعصاكا
رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى ** واستقبل القلب الخلي هداك
رباه قلب تائب ناداك أترده وترد ** صادق توبتي حاشاك ترده حاشاك
فليرض عني الناس أو فليسخطوا ** أنا لم اعد أسعى لغير رضاك

ذكر الله: قال تعالى " الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" الرعد
وقال تعالى" فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" البقرة

وعن أبي هريرة أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه " (٢)

الاستغفار: عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : " سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " . قال : " ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة " (٣)

إيقاظ الأهل: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء" (٤)

إن هذه العناية بأمر الزوجة والأهل والأولاد تجعل من البيت المسلم يعيش في روحانية رمضان هذا الشهر الكريم؛ عندما يقبل الأب والأم والبنين والبنات على الصلاة والعبادة والذكر وقراءة القرآن،

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) متفق عليه (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح الترغيب والترهيب

ولنحفزهم على ذلك الخير؛ فمن دعا إلى هدى كان له من الخير والأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً

وقال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم

وعن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كلكم راع ومسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع

في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته " (١)

الإكثار من الجود: فشهر رمضان يمتاز بأنه شهر المواساة والتراحم والجود والكرم والتكافل بين المسلمين، ولهذا السبب نفسه " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ "(٢)

قال ابن رجب – رحمه الله تعالى -: "وكان جوده – ﷺ– كله لله – عز وجل – وفي ابتغاء مرضاته؛ فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألَّفُ به على الإسلام مَن يقوى الإسلام بإسلامه... وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثلُ كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهرُ والشهران لا يُوقَدُ في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع.

والجود معناه الاستكثار من سائر أنواع الخير ، كالإنفاق ، وحسن الخلق ، وبر الوالدين ، وبذل الخير ، ونشر العلم ، والجهاد في سبيله ، وقضاء حوائج الناس ، وتحمل أثقالهم ، ومناصرة المستضعفين ودعمهم؛ وكافة صور الخير والبر والإحسان!!.

سابعاً: الحذر من الحرمان من الخير

حرمان خير ليلة القدر: عن أنس بن مالك قال دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم " (٣)

حرمان المغفرة في شهر رمضان: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال آمين آمين آمين قيل يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين فقال" إن جبريل عليه السلام أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين"(٤)

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح الترغيب والترهيب

عيد الفطر المبارك

الحمد لله الملك المعبود، ذي العطاء والمن والجود، واهب الحياة وخالق الوجود، الذي اتصف بالصمدية وتفرد بالوحدانية والملائكة وأولو العلم على ذلك شهود، الحمد له لا نُحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه حيث كان ولم يكن هناك وجود، نحمده تبارك وتعالى ونستعينه فهو الرحيم الودود، ونعوذ بنور وجهه الكريم من فكر محدود، وذهن مكدود، وقلب مسدود، ونسأله الهداية والرعاية والعناية، وأن يجعلنا بفضله من الركَّع السجود.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحي الحميد، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد، المحصي المبدئ المعيد، خلق الخلق فمنهم شقي ومنهم سعيد، قدم للعاصين بالوعيد، وبشر الطائعين بالجنة وبالمزيد، حكَمٌ عدل ليس بظلام للعبيد، لا يَشغَله شأن عن شأن، كل يوم هو في شأن جديد.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ذو الخلق الحميد، والرأي الرشيد، والقول السديد، بلَّغ الرسالة على التحديد، وأدى الأمانة دون نقص أو مزيد، أرشدنا إلى طريق الهداية والتسديد، وحذرنا من التردي في الغَواية والضلال البعيد، حمل السلاح في سبيل أشرف غاية بعزم من حديد، وجمع الأمة تحت لواء أجلِّ راية، راية التوحيد، فاختصه ربه بالوسيلة والفضيلة وبشَّره بالمقام المحمود، والظل الممدود، والحوض المورود، واللواء المعقود، وجعله يوم القيامة شهيدًا على الشهود، اللهم إنا نسألك كما أمرتنا أن تُصلي وتسلم وتبارك عليه وعلى آله، كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم وآله في العالمين إنك حميد مجيد،

العناصر

أولاً: تعريف العيد ومتى شرع في الإسلام ثانيًا: حسن الظن بالله

ثالثاً: الواجب علي المسلم يوم العيد رابعاً: لمن العيد

الموضوع

أولاً: تعريف العيد ومتى شرع في الإسلام:

العيد: كلُّ يوم مَجْمَع ، واشتقاقه من عاد يعود؛ لأنه يعود كل عام ، وقيل: سمي عيدا لأنهم قد اعتادوه ، والياء في العيد أصلها الواو ، لكنها قلبت ياء لكسرة العين ، وهو يجمع على أعياد .

وقد شرع في السنة الثانية من هجرة المصطفى . -ﷺ- حيث إنه عندما هاجر -ﷺ- إلى المدينة وجد أن للأنصار في أيام جاهليتهم عيدين ، أحدهما: يسمى عيد النيروز ، والثاني: عيد المهرجان ، فنهاهم عن إقامتهما ، وأخبرهم أن الله تعالى قد شرع لهم عيدين خيرا منهما ، وهما عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- قال: كان لأهل المدينة يومان في السنة يلعبون فيهما ، فلما قدم النبي -ﷺ- إليها قال: كان لكم يومان تلعبون فيهما ، وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندي جاريتين من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله ﷺ (يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا)[1]

ومعنى: (بما تقاولت الأنصار) بما قاله كل فريق من فخر بنفسه أو هجاء لغيره .

(وليستا بمغنيتين) ليس الغناء عادة لهما وحرفة ولا هما معروفتان بذلك ولا تغنيان بتمتطيط وتكسر وتهييج وحركات مثيرة وبغناء فيه تعريض بالفواحش أو تصريح بها أو ذكر الهوى والمفاتن مما يحرك الساكن ويبعث الكامن في النفس فهذا وأمثاله من الغناء لا يختلف في تحريمه لأنه مطية الزنا وأحبولة الشيطان .

ثانياً: حسن الظن بالله

إن الله يغفر الذنوب جميعًا: قال تعالى: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) " الزمر ، فكيف يتودد الله إلى أهل المعاصي والذنوب ولا يتودد إلى أهل الطاعة ، أهل الصيام الذين صاموا وأهل القيام الذين قاموا.

أنا إن تبت مناني وإن أذنبت رجاني ** وإن أدبرت ناداني وإن أقبلت أدناني
وإن أحببت والاني ** وإن قصرت عافاني
وإن أخلصت نجاني ** وإن أحسنت جازاني
حبيبي أنت رحماني ** إليك الشوق من قلبي على سري وإعلاني
فيا أكرم من يرجى وأنت قديم إحساني ** وما كنت على هذا إله الناس تنساني
لدى الدنيا وفي العقبى على ما كان من شاني ** حبيبي انت رحماني

المغفرة والفضل العظيم: أبشروا يا من أمركم الله بالصيام فصمتم وأمركم الله بالقيام فقمتم ويا من قرأتم القرآن وتصدقتم على الفقراء والمساكين والأيتام فلكم المغفرة والأجر العظيم

قال تعالى: " وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)" البقرة.، والمغفرة هي غفران الذنوب وستر العيوب والفضل هو الزيادة والأجر العظيم الذي لا يعلم قدره إلا الله تعالى .

إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا : كما قال تعالى " وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) " هود ، وقال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) "الكهف

فأحسن ظنك بالله وكن على يقين بأن الله يباهي بك ملائكته في السماوات العلى.

تبديل السيئات إلى حسنات: قال تعالى: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)" الفرقان.

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " إِنِّى لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ نَعَمْ.

---

[1] صحيح البخاري

لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا ". فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ" (١)، والنواجذ : جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس

وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " إِنِّى لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا فَيُقَالُ لَهُ انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ - قَالَ - فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ فَيُقَالُ لَهُ أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِى كُنْتَ فِيهِ فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ تَمَنَّ . فَيَتَمَنَّى فَيُقَالُ لَهُ لَكَ الَّذِى تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا - قَالَ - فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِى وَأَنْتَ الْمَلِكُ " قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ" (٢).

أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم: عن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ هُوَ رَجُلٌ يَجِىءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِى الْخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ.

فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِى وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ". قَالَ وَمِصْدَاقُهُ فِى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) الآيَةَ. (٣)

ما ظنك برب العالمين: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" (٤)

قيل لأعرابيّ: هل تحدّث نفسك بدخول الجنّة؟ قال : والله ما شككت قطّ أنّي سوف أخطو في رياضها، وأشرب من حياضها، وأستظلّ بأشجارها، وآكل من ثمارها، وأتفيّأ بظلالها، وأترشّف من قلالها، وأستمتع بحورها في غرفها وقصورها، قيل له: أفبحسنةٍ قدّمتها أم بصالحةٍ أسلفتها؟

قال : وأيّ حسنةٍ أعلى شرفاً، وأعظم خطراً من إيماني بالله تعالى، وجحودي لكلّ معبودٍ سوى الله تبارك وتعالى، قيل له: أفلا تخشى الذّنوب؟ قال : جعل الله المغفرة للذنوب، والرحمة للخطأ، والعفو للجرم، وهو أكرم من أن يعذّب محبّيه في نار جهنّم، فكان الناس في مسجد البصرة يقولون: لقد حسن ظنّ الأعرابيّ بربّه، وكانوا لا يذكرون حديثه إلا ّانجلت غمامة اليأس عنهم، وغلب سلطان الرّجاء عليهم. فأحسنوا الظن بربكم ولا تقنطوا من رحمة الله، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

قال ابن القيم رحمه الله ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه، أنه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له. كما قال الحسن البصري: (إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وأن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل).

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) متفق عليه

ثالثاً: الواجب علي المسلم يوم العيد

إن العيد من شعائر الإسلام الكبرى ، فيجب على المسلمين إحياؤه وإظهاره بما يتناسب مع مقاصده، والحكمة من تشريعه ، فهو يجمع بين عادات كريمة جُبِل الإنسان عليها ، وعبادات عظيمة يعبد بها المسلم الله تعالى في يوم العيد، ومما شرع له فيه كذلك القيام ببعض الشعائر التعبدية من صلاة وذكر وصدقة وفطر وذبح ونسك.....

زكاة الفطر: عن ابن عمر قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة (١)، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ "زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات (٢)

الخروج من طريق الرجوع من طريق آخر : لما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: كان النبي -ﷺ- إذا خرج يوم العيد في طريق رجع من غيره "(٣)، واختلف في تفسير الحكمة من ذهاب الرسول -ﷺ- من طريق وعودته من طريق آخر ، فقيل: إنه من أجل السلام على أهل الطريقين ، وقيل: لينال بركته أهل الطريقين ، وقيل: إنه من أجل حاجة المحتاج من أهل الطريقين ، وقيل: إنه من أجل إظهار شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق ، وقيل: إن المقصود من ذلك هو إغاظة المنافقين برؤيتهم عزة الإسلام وأهله وقيام شعائره ، وقيل: بل من أجل طلب زيادة الحسنات وحط الخطيئات؛ لأنه بكل خطوة يخطوها المسلم إلى المسجد أو المصلى ترفع له بها درجة وتحط بها عنه خطيئة ، ويشهد لذلك الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " مَنْ تَطَهَّرَ فِى بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِىَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً "(٤)

هذه التفسيرات لحكمة خروج الرسول -ﷺ- من طريق وعودته من طريق آخر تفسيرات مقصودة أصلا في الإسلام الذي يسعى دائما وأبدا لتحقيقها في واقع المسلمين في كل زمان ومكان ، فما المانع أن تكون جميعها مرادة لرسول الله -ﷺ- لا سيما أنه القدوة الحسنة لأمته؟ هذا ما أظنه أنه مراد لصاحب الشريعة -ﷺ- والله تعالى أعلم .

ولا شك أن خروج المسلمين وشهودهم صلاة العيد على الوجه الذي أراده رسول الله -ﷺ- مظهر من مظاهر العيد عند المسلمين ، ومن دينهم الذي ارتضاه الله لهم .

صله الرحم: قال تعالى "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا" سورة النساء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (٥)

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " (٦) ، وحذر الله من قطيعة الرحم : فقال تعالى " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ "محمد

---

(١) صحيح ابن ماجة
(٢) صحيح الجامع
(٣) تفسير ابن كثير
(٤) صحيح مسلم
(٥) متفق عليه
(٦) متفق عليه

وقال تعالى " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" البقرة ، وقال تعالى "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ" الرعد

وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم"(١)، وعن جبير بن مطعم ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول لا يدخل الجنة قاطع " قال سفيان يعني قاطع رحم (٢)

نزع الغل والأحقاد من النفوس: أيها المسلمون هذا عيد التقارب بين القلوب هذا عيد نسيان الآلام ونسيان الأحقاد التي ربما تسربت إلى القلوب عبر مواقف وسوس بها الشيطان إلى أصحابها ولقد وصف الله تعالى أهل الجنة فقال جل في علاه: -[وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ]سورة الحجر

فهل تشتاق إلى أن تكون في صفتك كصفة أهل الجنة أن ينزع الله تعالى ما في قلبك من غلٍ اليوم قبل أن تدخل الجنة مع أصحابك الذين ربما تراهم أياما ودقائق ومع ذلك لا تمد يدك إليهم مصافحا ولا مسلما ولا باشا في وجوههم هذا يوم العيد إن لم ننسى فيه أحقادنا ولم تأتلف القلوب وتتصافى الأفئدة وتقترب النفوس إن لم تفعل ذلك اليوم فمتى إن لم نستطع اليوم أن نطأ على أنف الشيطان وأن نعيد علاقات قد قطعناها وأن نجري أنهارا قد جففناها وأن نتصل بفلانٍ بعد قطيعة أو نرسل إليه رسالة أو نبعث إليه بهدية لتعود القلوب إلى صفائها واصطفائها..

وقع بين الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وقع بينهما شيٌ فلما تهاجرا يوما ويومين أرسل الحسين إلى الحسن وقال يا أُخَيَ إني واللهِ أريد أن أُرَاضِيَكَ لكني لا أريد أن أسبقك إلى الفضيلة يعني من محبتي لك أني حتى في الفضائل والأجر أريد أن تسبقني قال: لا أريد أن أسبقك إلى الفضيلة فحيا أهلا بك تعال إلي في بيتي

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا. وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً. وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ". (٣)

لم يقل خيرهما أكثرهما صلاةً ولا أكثرهما صوماً ولا أعظمهما صدقةً " قال وخيرهما الذي يبدأ بالسلام} خيرهما الذي يبدأ بالسلام فَأَلَهَ أَلَهَ أيها المسلمون اللهَ اللهَ باستعادة القلوب بعد تفرقها ولم شملها بعد شتاتها بعض الناس اليوم ربما يكون في هذه البلاد ولا يزال بينه وبين بعض أقاربه في بلده أحقادٌ وضغائن فهو هنا منذ أشهر وربما منذ سنوات ومع ذلك لم يتصل بهم ولم يرسل إليهم هدية ولم يُعِدْ علاقة معهم وإذا ذهب إجازة إلى هناك لم يحرص على السلام عليهم ولا اللقاء بهم وكأنه يعادي يهودياً أو يعادي مجوسياً أو يعادي من هو يكيد للإسلام بأنواع الكيد اليوم هو يوم التصافي اليوم هو يوم اجتماع القلوب إن لم يكن هذا اليوم فيكون متى

مراعاة الآداب الإسلامية في اللباس: على النساء المسلمات ألا يلبسن إلا ما أمر الله سبحانه وتعالى به بأن يكون موافق لما أمر به رسول الله ﷺ بأن لا يكون زينة ، ولا يكون ضيقا ، ولا يكون معطرا ، ولا شفافا ، ولا يشبه لباس الرجال ، ولا يشبه لباس الكفار ، ولا لباس شهرة لأن من تخالف ذلك توعدها النبي ص بالعذاب الشديد فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ص صنفان من أهل النار لم أرهما قوم

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٣) متفق عليه
(٢) متفق عليه

معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " (١)

غض البصر عن الحرام ومنع الاختلاط: قال تعالى " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" النور

وعن جرير بن عبد الله قال سألت رسول الله ص عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري" (٢)

وقال رسول الله ﷺ"العينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه"(٣)

كلكم راع ومسئول عن رعيته : فيجب الحفاظ عليهم وأمرهم بأمر الله ونهيهم عن نهي الله تعالى قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم ، وعن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ص يقول كلكم راع ومسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته " (٤)

التهنئة بالعيد: الظاهر من بعض الآثار الواردة في التهنئة أن بعض السلف كانوا يفعلونها بعد الصلاة، فقد جاء في المغني لابن قدامة قال: وذكر ابن عقيل في تهنئة العيد أحاديث منها: أن محمد بن زياد، قال: كنت مع أبي أمامة الباهلي وغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا رجعوا من العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك، وقال أحمد: إسناد حديث أبي أمامة إسناد جيد، وقال علي بن ثابت: سألت مالك بن أنس منذ خمس وثلاثين سنة وقال: لم يزل يعرف هذا بالمدينة.

صيام ستة أيام من شهر شوال: عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : " من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا "(٥)، وعن أبي أيوب الأنصاري أنه حدثه أن رسول اللهﷺ قال : " من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر "(٦)

رابعاً: لمن العيد

ليس العيد لمن لبس الجديد وعن طاعة الله من الغافلين ، و ليس العيد لمن ظفر بجده وعلا بمظهره وقلبه مملوء بأدران الغرور والشرور ، و ليس العيد لمن من أنواع الطعام ولم يتذكر الجائعين البائسين ، و ليس العيد لمن كان في سعة ولم يخرج زكاه فطره لتوزيعها على الفقراء والمساكين والمحتاجين ، وليس العيد لمن تبتسم في وجه أخيه وقلبه مملوء بأدران الحقد و الحسد و أنواع الشرور، وليس العيد لمن تكلم لسانه بالغيبة والنميمة ونسي ذكر الله سبحانه وتعالى ، إنما العيد لمن اطعم الطعام وافشي السلام وألان الكلام ووصل الأرحام وقام بحقوق الضعفاء والأرامل والأيتام ، العيد لمن كان لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضا ، العيد لمن أطاع ربه وقد فرضها أحيا سنه خير الأنام ، العيد من تخلق بالأخلاق الكريمة وكان لغيرها من الناصحين ، العيد لمن أكثر من الصدقة و اقبل على الله بقلب سليم .

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) صحيح ابن حبان
(٤) متفق عليه
(٥) متفق عليه
(٦) صحيح مسلم

عباد الله أحسنوا لآبائكم ، وصلوا أرحامكم ، وأكرموا أيتامكم ، ويسروا على فقرائكم ، وتذكر موتاكم بالدعاء والصدقة ، وتعاونوا على البر والتقوى ،ولا تعاونوا على الإثم والعدوان في العيد وغير العيد وتذكروا قول الله تعالى "قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى" الأعلى.

تقبَّل الله منا ومنكم صالح الأعمال وغفر لنا جميعًا سائر الأوزار

وكل عام وأنتم بخير وصحة وعافية

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضل الشكر وجزاء الشاكرين

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، الذي له ملك السموات والأرض وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، خلق الإنسان من نطفة أمشاج يَبتليه فجعله سميعًا بصيرًا، ثم هداه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا، فمن شكر كان جزاؤه جنة وحريرًا ونعيمًا وملكًا كبيرًا، ومَن كفر لم يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا، نحمده تبارك وتعالى حمدًا كثيرًا، ونعوذ بنور وجهه الكريم من يوم كان شره مستطيرًا، ونسأله أن يُلقِّينا يوم الحشر نَضرة وسرورًا، وأن يُظلنا بظل عرشه حيث لا نرى شمسًا ولا زمهريرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تجعل الظلمة نورًا، وتحول موات القلب بعثًا ونشورًا، وتحيل ضيق الصدر انشراحًا وحبورًا، وكيف لا وقد أتى علينا حين من الدهر لم نكن شيئًا مذكورًا، فخلَقَنا وصوَّرنا ورزقنا وكان فضله علينا كبيرًا، أرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماء طهورًا، فأحيا به الأرض الميتة، وأخرج منها حبًّا ونباتًا وفاكهة وزهورًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده المرسل مبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، قُرئ عليه القرآن ففاضت بالدمع عيناه، وكان ما تقدم وما تأخر من الذنب مغفورًا، قام الليل حتى تورَّمت قدماه، وقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا، أكل ورَق الشجر حتى تشقَّقت شفتاه، وكان لله محتسبًا صبورًا، جاهد الشرك والمشركين ، وما لانت له قناة، وقال مقالة الحق وما نطق زورًا، فاز بالحسنى مَن آمن وشاهد محياه، وكل طائع له بات مأجورًا، ضل مَن شذ عن طريقه وعصاه، ومن كفر به مات مثبورًا، حلت البركة وعم الخير ما لمست يداه، وأصبح القليل من الطعام وفيرًا، عز من لاذ بسنته واحتمى بهداه، وأضحى في كنفه مهضوم الحق منصورًا، طابت الأرض التي شهدت من الحبيب مسراه، ووقره أنبياء الرحمن توقيرًا، تعطَّرت الأجواء التي كان خلالها مرقاه، وتنوَّرت بضيائه الأكوان تنويرًا.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى من فاز بنسبه وصحباه، عدد أنفاس مخلوقاتك شهيقًا وزفيرًا.

العناصر

أولا: تعريف الشكر وأركانه

ثانيا: فضل الشكر والشاكرين

ثالثا: كيف نكون من الشاكرين؟

رابعا: الوسائل المعينة على شكر النعم

خامسا: الترهيب من الجحود وعدم الشكر

الموضوع

أولا: تعريف الشكر وأركانه

الشكر لغة: مصدر شكر يشكر، وهو عرفان الإحسان ونشره. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل. والشكور: كثير الشكر، والجمع شُكُر، وفي التنزيل: (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)، وهو من أبنية البالغة.

وأما الشكور في صفات الله ـ عز وجل ـ فمعناه أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده مغفرته لهم، وقولهم: (شكر الله سعيه) أي بمعنى أثابه الله على ذلك.

اصطلاحا: هو ظهور اثر نعمة الله علي لسان عبده قولا او عملا

وقيل: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

وقال ابن القيم: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة. "[١]

وقال السعدي - رحمه الله - في تفسيره: (الشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارًا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية)"١١".

وعرفه آخرون بقولهم: الشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من معروف.

أركان الشكر:

أ-الاعتراف بالنعمة: أي تقر وتعترف وتوقن وتجزم أن الذي أسداك تلك النعمة هو الله؛ وما العبد إلا وسيلة فقط للحصول عليها؛ فلا تنسب النعمة للعبد وتنس الرب؛ لأن هذا فعل الجهال الذين في عقيدتهم زيف وضلال؛ فهم ينسبون النعم لغير بارئها؛ فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أن رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ:" أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ"[٢]

وعن ابن عباس ﷺ قال: مطر الناس على عهد النبي ص ، فقال النبي ﷺ : "أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا"[٣]

ب-التحدث بها والثناء على المنعم: بما أولاك من نعم وأسداك من معروف؛ ولهذا كان نبينا ﷺ يحي ليله كله في الثناء على الله عز وجل فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَمَسْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ وَقَدَمَاهُ مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ؛ وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ؛ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ [٤]

وقال تعالى: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" "الضحى: ١١".

ت-تسخيرها في طاعة مسديها والمنعم بها: قال تعالى: "اعملوا آل داود شكر" "سبأ: ١٣".

ومعنى الآية: يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره ، فالله أمر آل داوود بالعمل شكراً، لأن هناك فرقاً بين شكر القول وشكر العمل، فشكر القول باللسان يسمي حمداً وبالعمل يسمي شكراً ، لذلك قال: اعملوا ، ولم يقل: قولوا شكراً، لأن الشاكرين بالعمل قلة، لذلك زيل الآية بقوله: " وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"

فإذا أكرمك الله بمالٍ فلا تنفقه في حرام ، وإذا أنعم الله عليك بتلفازٍ فلا تستعمله في حرام، وشبكة الانترنت تستخدمها في الدعوة إلى الله، .....إلخ، لأن شكر هذه النعم استخدامها في طاعة الله، وكفرها استخدامها في الفساد والإفساد .

ومَن رزقه الله علمًا فشكره بالإنفاق منه بأن يعلم غيره، ويفقه أهله وجاره، ومَن رزقه الله جاهًا، فشكره بأن يستعمله في تيسير الحاجات للآخرين، وقضاء مصالحهم.

ومَن أفاض الله عليه إيمانًا راسخًا، ويقينًا ثابتًا، فشكره أن يفيض على الآخرين من إيمانه، وأن يسكب عليهم من يقينه؛ وذلك بأن يذكرهم بنعم الله وآلائه، وأن يحيي في قلوبهم الرجاء والخوف والخشية من الله، وأن يُثَبِّت في قلوبهم بأن الآجال والأرزاق بيد الله، وأن الخلق لا يملكون له نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وأن من أسماء الله الحسنى أنه المحيي المميت، الرزاق، النافع الضار، القابض الباسط.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤)".
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم

ومن رزقه الله الذرية فإن شكرها يكون بأن يغرس في قلبها عقيدة التوحيد من الصغر، وأن ينشئها على طاعة الله- عزَّ وجلَّ- وأن يحصنها ويعيذها من الشيطان كما أعاذت امرأة عمران ابنتها حين قالت: "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (آل عمران: ٣٦).

وكذلك شكر الله- عزَّ وجلَّ – على ما أنعم به علينا من جوارح، كاليدين والرجلين والعينين والأذنين وغيرها؛ أن نستخدمها في طاعة الله عز وجل؛ " فقد روي أن أبا حازم جاءه رجل فقال له: ما شكر العينين؟ قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بهما شرًّا سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًّا أخفيته. قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًّا لله- عزَّ وجلَّ- هو فيهما، قال فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعامًا، وأعلاه علمًا، قال فما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله- عزَّ وجلَّ-: "وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ" (المؤمنون: ٥ – ٧)، قال: فما شكر الرِّجْلَيْنِ؟ قال: إن رأيت حيًّا غبطته بهما عمله، وإن رأيت ميتًا مقته كففتها عن عمله، وأنت شاكر لله- عزَّ وجلَّ، فأما من شكر بلسانه، ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء، فأخذ بطرفه، ولم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر" [١]

أَفَادَتْكُمُ النّعْمَاء منّي ثَلاثَةً ** يدِي، ولِسَاني، وَالضَّمير المُحَجَّبَا

الفرق بين الشكر والحمد: من وجهين:

الأول: الشكر يكون بالجوارح، والحمد يكون باللسان وبالقلب.

ولذلك نسمع بسجود الشكر، ولا نسمع بسجود الحمد، لأن الشكر يكون بالجوارح. ومضى في أركان الشكر أنه يكون بتسخير النعمة في طاعة الله، وهذا عمل، والعمل بالجوارح.

الثاني: الشكر يكون عند البلاء، والحمد يكون على كل حال، وقد كان النبي ﷺ إذا أصابته سراء قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"، وإن نزل به بلاء قال: "الحمد لله على كل حال"[٢]

ثانيا: فضل الشكر والشاكرين

من أسماء الله :الشاكر، والشكور: قال تعالى: " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" "البقرة: ١٥٨"، وقال: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ" "الشورى: ٢٣"،

وقال: "وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ" "التغابن: ١٧"

وهو الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا، ويشكر القليل من العمل الخالص، ويعفو عن الكثير من الزلل، بل يضاعفه أضعافا مضاعفة بغير عد ولا حساب.

ومن شكره أنه: يعطي بالعمل في أيام معدودة نعيما في الآخرة غير محدود، (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)"الحاقة: ٢٤".

ثبت عن أبي هريرة- ﷺ- قال: قال رسول الله :ﷺ"بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له". قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر" [٣]

---

(١) عدة الصابرين (٢) صحيح الجامع (٣) متفق عليه

وفي كثير من الأحاديث تجد من عمل كذا وكذا فله الجنة، وهذا دليل على أنّ الله شكور يجزل المثوبة لعباده، ويعطي الكثير على القليل، فما أرحمه من رب !وما أعظمه من إله.

الشكر صفة الأنبياء: قال تعالى عن نوح عليه السلام: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" "الإسراء: ٣" وقال عن إبراهيم عليه السلام: "إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين* شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم" "النحل: ١٢٠".

وسيد الشاكرين نبينا ﷺ ، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إن كان النبي ص ليقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه، فيقال له فيقول: "أفلا أكون عبدا شكورا"؟ (١)

أمر الله بالشكر: قال تعالى: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" "البقرة: ١٥٢".

وقال: "ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير" "لقمان: ١٤".

وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) "لقمان: ١٢".

وأمر به نبينا ﷺ : "ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين" "الزمر

وأمر الله تعالى به موسى عليه السلام :"يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين" "الأعراف ١٤٤".

وأمر به المؤمنين: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون" "البقرة.

وقال: "وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون" "يس: ٣٣٥".

وقال: "أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون" "يس: ٧٧٣".

من صفات المؤمنين: فعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"(٢)

سبب لرضى الله عن عبده: قال تعالى: "وإن تشكروا يرضه لكم" "الزمر: ٧".

أمان من العذاب: قال تعالى: "ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم" "النساء: ١٤٧".

قال قتادة رحمه الله: "إن الله جل ثناؤه لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا" (٣)

سبب للزيادة: قال تعالى: "وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم" "إبراهيم: ٧".

قال بعض السلف رحمهم الله تعالى: "النعم وحشية فقيدوها بالشكر".

وقال الحسن البصري: "إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا، ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب، لأنه يجلب النعم المفقودة"

وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لرجل من همذان: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ".

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم (٣)تفسير الطبري: ٣٤٢/٩

الأجر الجزيل في الآخرة: قال تعالى: "وسنجزي الشاكرين" ،وقال سبحانه: "وسيجزي الله الشاكرين" "آل عمران: ١٤٤". أهل الشكر هم المخصوصون بمنة الله عليهم من بين عباده ، وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ).

رضا الله معلق بالشكر: يقول ابن القيم - رحمه الله -: "ومن منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) منزلة الشكر، وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة ((الرضا)) وزيادة؛ فالرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه".

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها " (١)

العافية مع الشكر خير من البلاء مع الصبر: قال مطرف رحمه الله تعالى: "لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن أبتلى فأصبر" (٢)

إن الله وصف عباده الشاكرين بأنهم قلة من عباده فقال تعالى: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

ثالثا: كيف نكون من الشاكرين؟

بتقوى الله والعمل بطاعته: قال تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" "آل عمران: ١٢٣".قال ابن إسحاق: "أي: فاتقوني؛ فإنه شكر نعمتي"

بالقناعة والرضا بما قسم الله لك: قال ﷺ : "كن قنعا تكن أشكر الناس" (٣)

ذهب رجل إلى أحد العلماء، وشكا إليه فقره، فقال له العالم: أيسُرُّكَ أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك أخرس ولك عشره آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا.

فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ فقال الرجل: لا.

فقال العالم، أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك نعم بخمسين ألفًا.

فعرف الرجل مدى نعمة الله عليه، وظل يشكر ربه ويرضى بحاله ولا يشتكي إلى أحد أبدًا.

وبالمقابل:

رجل ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد الله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلا، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا، أَشْكُرُ الله أن وهبني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا.

بصلاة الضحى: فعن أبي ذر ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى(٤)

بسجود الشكر: عن أبي بكرة عن النبي ﷺ أنه كان إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدا شاكرا لله "(٥) ، وهذه السجدة لا تشترط لها طهارة، ولا استقبال قبلة.

---

(١) صحيح مسلم
(٢) مختصر منهاج القاصدين "٢٩٥".
(٣) صحيح ابن ماجة
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح سنن أبي داود

بالدعاء: عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ص أخذ بيده يوما ثم قال يا معاذ والله إني لأحبك فقال له معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك قال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وأوصى بذلك معاذ الصنابحي وأوصى بها الصنابحي أبا عبد الرحمن وأوصى بها عبد الرحمن عقبة بن مسلم "(١)

وعن ابن عباس قال كان النبي ص يدعو رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر هداي إلي وانصرني على من بغى علي اللهم اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطواعا إليك مخبتا أو منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي" (٢)

بالتفكر في نعم الله عليك: قال تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" "النحل: ٧٨"

قال يونس بن عبيد رحمه الله تعالى لرجل يشكو ضيق حاله: أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال :فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. فذكره نعم الله عليه ثم قال له: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة؟

واحذر ان تكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم ."يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ"

تفكر فى نعم الله عليك واشكر الله

تذكر نعم الله عليك فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك " وان تعدوا نعم الله لا تحصوها " صحة في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء، وهواء وماء، لديك الدنيا وأنت ما تشعر ،تملك الحياة وأنت لا تعلم" واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة "عندك عينان ، ولسان وشفتان ، ويدان ورجلان " فبأي الاء ربكما تكذبان "هل هي مسئلة سهلة أن تمشي على قدميك ، وقد بترت أقدام؟!وأن تعتمد على ساقيك ، وقد قطعت سوق؟!أحقير أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم نوم الكثير؟!وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي وأن تكرع من الماء البارد وهناك من عكر عليه الطعام ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام؟!

تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم، وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى، وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البرص والجذام، بل المح عقلك وقد انعم الله عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول أتريد في بصرك وحده كجبل أحد ذهبا ؟! أتحب بيع سمعك وزن سهلان فضة؟!هل تشتري قصور الزهراء بلسانك فتكون أبكم؟! هل

تقايض بيديك مقابل عقود اللؤلؤ والياقوت لتكون أقطع؟!

إنك في نعم عميمه وأفضال جسيمة، ولكنك لا تدري ، تعيش مهموما مغموما حزينا كئيبا! وعندك الخبز الدافئ، والماء البارد ، والنوم الهانئ والعافية الوارفة ، تتفكر في المفقود ولا تشكر الموجود ، تنزعج من خسارة مالية وعندك مفتاح السعادة ، ومن القناطير مقنطرة من الخير والمواهب والنعم والأشياء ، فكر واشكر " وفي انفسكم افلا تبصرون "

فكر في نفسك، انظر الى قلبك - الى الجهاز التنفسي - الى المخ - الى المعدة - الى البنكرياس - المريء - الكبد - الامعاء الدقيقة والامعاء الغليظة - الى الاعصاب والشرايين - الى اجهزة الاستقبال والارسال فيك وقل: يا رب

أوليتني نعماً أبوحُ بشُكرِها ** وكفيتَني كل الأمور بأسرِها

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح سنن أبي داود

فلأشكرنّك ما حييتُ وإنْ أَمُتْ ** فلتَشكُرنّك أعظُمي في قبرِها.

بشكر من أسدى معروفاً إليك من الناس: لقول النبي ﷺ "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (١)

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: " من استعاذكم بالله فأعيذوه و من سألكم بالله فأعطوه و من دعاكم فأجيبوه و من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" (٢)

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء(٣)

رابعا: الوسائل المعينة على شكر النعم:

النظر إلى أهل الفاقة والبلاء: فإن ذلك يوجب احترام النعمة وعدم احتقارها، ولذلك – قال النبي : " إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فَضُل عليه " (٤)

قال النووي: قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فُضّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله عليه وشكرها، وتواضع وفعل فيه الخير.

معرفة أن الإنسان بمنزلة العبد المملوك لسيده: وأنه لا يملك شيئاً على الإطلاق، وأن كلّ ما لديه إنما هو محض عطاء من سيده ولذلك ثبت في الصحيحين أن النبي قام حتى تقطرت قدماه. فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " أفلا أكون عبداً شكوراً ".أي أن كل ما فعله الله تعالى بي من الاصطفاء والهداية والمغفرة هو محض عطاء منه سبحانه يستحق عليه الحمد والشكر، فما أنا إلا عبد له سبحانه.

الانتفاع بالنعم وعدم كنزها: فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي قال: " كلوا واشربوا وتصدّقوا من غير مبخلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده " (٥)

ذكر الله عز وجل: فالشكر في حقيقته هو ذكر لله عز وجل

وورد عن مجاهد في قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً "الإسراء ٣".

قال: (لم يأكل شيئاً إلا حمد الله عليه، ولم يشرب شراباً إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً)

وقال النبي ﷺ: " إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها (٦)

التواضع وترك الكِبر: فالكبر يضاد الشكر، لأن حقيقة الكبر هو ظن العبد أنه المالك المتصرف، والشكر هو الاعتراف لله عز وجل بذلك.

شهود مشهد التقصير في الشكر: وذلك بأن يعرف العبد أنه مهما بالغ في الشكر، فإنه لن يوفى حق نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه، بل إن الشكر نفسه نعمة تحتاج إلى شكر

ولذلك قيل:

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) صحيح الجامع (٤) متفق عليه (٥) صحيح ابن ماجة (٦) صحيح مسلم

إن كان شكري نعمةَ الله نعمةَ ** عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ** وإن طالت الأيام واتصل العمر

مجاهدة الشيطان والاستعادة بالله منه: قال ابن القيّم: (ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ "الأعراف ١٧).

ترك مخالطة أهل الغفلة: فإن مخالطتهم تنسي الشكر وتقطع العبد عن التفكر في النعم.

قيل للحسن: هاهنا رجل لا يجالس الناس، فجاء إليه فسأله عن ذلك، فقال: إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب، والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن: أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن!!

الدعاء: بأن يجعلك الله تعالى من الشاكرين، وأن يوفقك لطريق الشكر ومنزلته العالية.

قال النبى ﷺ لمعاذ ﷺ: " والله إني لأحبك، فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " (١)

خامسا: الترهيب من الجحود وعدم الشكر:

كفران النعمة مذهبة لها: قال تعالى: "ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم" النمل

بين الله طبيعة الانسان الماكرة الخبيثة التي لا تشكر:

قال تعالى :(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)"فصلت :٥١ " وقال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ) الأعراف/ ١٠.

قال تعالى:(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)" سورة سبأ: ١٣ "

احذر الاستدراج: عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ " إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج" (٢)

ذلك حين ترى زيادة النعم وإسباغها بدون شكر لله عز وجل. فهذه علامة خطر ينبغي الوقوف عندها، كما قال الله عز وجل (أيحسبون أنما نمدهم بهم من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) و لذا فسر سفيان ابن عيينه قول الله عز وجل: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر نعوذ بالله من ذلك.

تبديل النعم الي نقم: قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ" "سبأ: ١١٧".

العرم: الماء الغزير، وهذا من باب إضافة الاسم إلى صفته، وخمط: مر،وأثل: لا ثمر فيه.

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم * وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم

الجوع والخوف: قال تعالى: "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" "النحل"

وعبر باللباس لملازمته صاحبه، فالجوع والخوف لا يبرحان ساحتهم، وهما لهم كاللباس الذي يباشر

(١) صحيح سنن أبي داود (٢) صحيح ابن ماجة

صاحبه ولا فكاك عنه.

وذكر الله عزّ وجلّ قصة قارون في سورة القصص، وما حصل له من النعم العظيمة التي توالت عليه؛ حتى إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وقال إن ما أوتيه من هذه النعم لكونه حقيقًا بذلك وأنه أهل لذلك؛ فكَفَر هذه النعم ولم يشكرها، ولم يضفها إلى المنعِم بها، ولم يصرفها في طاعة الله عزّ وجلّ

قال تعالى: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ .... فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ"

هذه نتيجة كفران النعم، نتيجة كفران النعم، أن الله خسف به وبداره الأرض، فهذه النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه، لما لم يشكرها صارت وبالاً عليه، وذهبتْ وذهب معها من غير أن يستفيد، بل تضرر وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

نسأل الله تعالى ان يرزقنا شكر نعمته وان يرزقنا رزقا حلالا طيبا مباركا فيه وان يجنبنا الحرام ويبعدنا عنه انه ولي ذلك والقادر عليه

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهمية المساجد وآدابها وحُرماتها

الحمد لله العزيز الغفار، خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، أرسى الجبال وأجرى الأنهار، وأنزل الغيث وأنبت الأشجار، سخر لنا الفُلك ومهد لها أمواج البحار، وخلق الشمس والقمر وقلب الليل والنهار، صورنا فأحسن صورنا، وجعل لنا السمع والأفئدة والأبصار، (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) "إبراهيم: ٣٤"
، نحمده تبارك وتعالى حمد المتقين الأبرار، ونعوذ بنور وجهه الكريم من خلق الأشرار، ونسأله السلامة من دار البوار، ونرجوه أن ينير لنا الطريق فنتبين النافع من الضار.
وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، الملك فوق كل الملوك القوي الجبار، المستوي على عرشه دون حلول أو مماسَّة أو استقرار، العظمة رداؤه والكبرياء له إزار، ليس كمثله شيء، فلا تصل إلى كُنه ذاته العقول والأفكار، اللطيف الخبير، فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، السميع البصير فلا تحجب رؤيتَه الظلمات والأستار، ويستوي في كمال سمعِه الجهر بالقول والإسرار، القادر على كل شيء وكل شيء عنده بمقدار، المحيط بكل شيء؛ فلا هروب ولا فرار، التائب على كل نادم قد أثقلته الأوزار، والباسط كف رحمته للمستغفرين بالأسحار، والمبشِّر للطائعين بعُقبى الدار.
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المختار.. إمام المتقين والأبرار، المسلَّم من العيوب والمطهَّر مِن الأوضار، المنصور بالرعب على مسيرة شهر في كل الأمصار، إذا جاهد فالسيف في يده بتار، وإذا سالم استوى في أمانه المسلمون والكفار، إذا سئل شيئا أعطاه بغير انتظار، إذا سكت علاه البهاء والوقار، وإذا تكلم خرج من فمه نور كنور الفجر وقت الإسفار، وإذا تبسَّم أشرق وجهه كشروق الشمس في وضح النهار، إذا عرق فالريح أطيب من أريج الورود والأزهار، وإذا نام فالحرس ملائكة أطهار، وإذا مشى سلَّمَتْ عليه الصخور والأحجار، وإذا ركب سعَتِ الركائب باختيال وافتخار، وإذا جلس انحنت عليه لتُظِلَّه الأشجار، أسري به عبر الفيافي والقفار، وعرج به فوق السحاب والبخار، وزج به على حظيرة القدس في بحر الأنوار، فما زاغ البصر وما طغى بل رأى من آيات ربه الكبار، ومُنح ما منح من الكنوز والأسرار، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار، وما دامت الشمس في فلكها والقمر في المدار.

العناصر

أولاً: فضل بناء المساجد وعمارتها
ثانياً: الحث على الذهاب إلى المساجد
ثالثاً: آداب المساجد
رابعاً: سلوكيات خاطئة في المساجد

الموضوع

أولا: فضل بناء المساجد وعمارتها

هي بيوت الله في الأرض: قال تعالى" وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) سورة الجن
علامة على الإيمان بالله : قال تعالى" إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) سورة التوبة

يذكر فيها اسم الله: قال تعالى" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" النور

قال القرطبي في أحكام القرآن عن هذه الآية: " أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ أي: تُعظّم"، وقال ابن كثير في تفسيره: " فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ أي: أمر الله بتعاهدها وتطهيرها من الدّنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها".

هذه هي المساجد، بيوت كرمها الله سبحانه، بل زاد في تكريمها بأن نسبها إلى نفسه سبحانه فقال: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا "الجن ١٨"، فأيّ رفعة أعظم من هذه الرفعة؟! وأي قدر أرفع من هذا القدر؟!

وما دام رب العالمين قد رفع المساجد وأعلى ذكرها وكذلك رسوله الكريم فلا بد لنا من منطلق الإيمان والطاعة لله ورسوله أن نعلي المساجد ونحترمها ونرفع قدرها؛ لنكون عبادا خاضعين خاشعين لربّ العالمين عاملين بسنة خير المرسلين. فما الواجب علينا تجاه المساجد؟

هي أحب البلاد إلى الله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ :أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقهَا(١)

من بني لله مسجداً بني الله له بيتاً في الجنة: عن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ " مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - يَبْتَغِى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِى الْجَنَّةِ ". وَفِى رِوَايَةِ هَارُونَ " بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ "(٢)

وعن عثمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة "(٣)

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال من حفر بئر ماء لم يشرب منه كبد حرى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة ومن بنى لله مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة "

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب" (٤)

أجر يبقى من العمل بعد الموت: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:(إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)(٥)

ثانيا: الحث على الذهاب إلى المساجد والصلاة فيها

بيت كل تقي: عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المسجد بيت كل تقي (٦)

في ضمان الله: عن أبي هريرة: ((ثلاثة في ضمان الله عز وجل: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل، ورجل خرج غازيا في سبيل الله تعالى ورجل خرج حاجا))(٧)

نزلا في الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا وَرَاحَ) (٨)

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح ابن ماجة
(٦) السلسلة الصحيحة
(٧) السلسلة الصحيحة
(٨) متفق عليه

النور التام يوم القيامة: عَنْ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ ، إِلَى الْمَسَاجِدِ ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١)

جيران الله : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله ينادى يوم القيامة أين جيراني أين جيراني فتقول الملائكة ربنا من ينبغي له أن يجاورك فيقول أين عُمَّارُ المساجد (٢)

محو الخطايا ورفع الدرجات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ(٣)

لَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ: عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، قَالَ : سَأَلْتُ جَابِرًا : هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : الرَّجُلُ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ ؟ قَالَ: انْتَظَرْنَا النَّبِيَّ ﷺ لَيْلَةً لِصَلاَةِ الْعَتَمَةِ ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْنَا ، حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ ، أَوْ بَلَغَ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَصَلَّيْنَا ، ثُمَّ قَالَ : اجْلِسُوا ، فَخَطَبَنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَرَقَدُوا ، وَأَنْتُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ(٤)

لا رخصة في ترك الجماعة مع القدرة: عَنْ أَبِي رَزِينٍ ، عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ، قَالَ: جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كُنْتُ ضَرِيرًا ، شَاسِعَ الدَّارِ ، وَلِي قَائِدٌ لاَ يُلاَئِمُنِي ، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ؟ قَالَ : أَتَسْمَعُ النِّدَاءَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً"(٥)

أداء الصلاة في المساجد لا يُعطل مسيرة الحياة : ولا يعوق النشاط الدنيوي للمسلم ، ولا يؤخره عن أعماله وارتباطاته ، لأن الصلوات ـ في حقيقة الأمر ـ ليست سوى محطاتٍ إيمانيةٍ يتزود فيها المسلم بالطاقة الروحية اللازمة للسعي في الحياة ، تلك الطاقة الإيمانية التي تصله بربه جل وعلا ، وتجدد نشاطه باستمرار ، وتدفعه إلى الأمام ، وتعينه على التحمل والمثابرة والمصابرة في مشوار حياته . كما أن لأداء الصلاة في المساجد معاني عظيمة وآثاراً طيبة في تربية أبناء المجتمع المسلم ونهيهم عن فاحش القول ومنكر العمل تصديقاً لقوله سبحانه : " إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ " (سورة العنكبوت : من الآية ٤٥) .

وليس هذا فحسب فإن للصلاة دوراً مهماً في بناء شخصية المسلم وتحديد معالمها ، فهي كفيلةٌ ـ إن شاء الله ـ بصقل نفس المؤمن وإرهاف حسه وترقيق وجدانه ، وربطه بخالقه العظيم جل وعلا ، لما فيها من صلة بالله سبحانه ، ومناجاة له وخشوع وخضوع يجعل المصلي متمثلاً لعظمة الله وقدرته سبحانه . ولذلك روي عن أنس ﷺ أن ﷺ قال : " وجُعل قرة عيني في الصلاة " (٦) .

وهذا فيه تأكيدٌ على أن في الصلاة راحة نفسية للمسلم متى أداها بخشوعٍ وخضوع ، وأنها تؤدي إلى السكينة و الطمأنينة وهدوء البال ، وهو ما يشعر به المؤمن بعد أدائه الصلاة أداءً صحيحاً يربطه بخالقه العظيم ارتباط إيمانٍ واستسلامٍ وتعبد .

المساجد ليست أماكن لأداء الصلاة فقط : ولكنها مراكز للتعليم والتوجيه ، ومؤسسات للتربية والتنشئة ، ومعاهد للفقه الشرعي ، والبحث العلمي عن طريق ما يعقد فيها من دروس ومحاضرات وندوات ، وما يلقى على منابرها من خطب ومواعظ ونصائح في مختلف جوانب الحياة الفردية والجماعية . واعلموا ـ بارك الله فيكم ـ أنه ما لم تكن تلك وظيفة المساجد ورسالتها الخالدة ومهمتها العظمى فإنها ستظل معطلة ، ولن تؤتي ثمارها الطيبة المباركة التي وجدت من أجلها . يقول أحد دعاة الإسلام : " من أراد أن ينظر

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) صحيح مسلم
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) صحيح سنن أبي داود
(٦) صحيح الجامع

وأن يتعرف على حقيقة مدينة من المدن ، أو قرية من القرى ، فلينظر إلى مساجدها ، ولير ما مقدار اهتمام الناس بهذه المساجد ؟ وما هي علاقتهم بها ؟ حينها يحكم على هذا الجيل أو هذه الطائفة من الناس ومدى رقيهم الحضاري الإسلامي " . من هنا كانت المساجد في تاريخنا الإسلامي المجيد قلاعاً للإيمان ، وحصوناً للفضيلة ، وبيوتاً للأتقياء ، وينابيع للصلاح ، وموارد للخير ، ومجامع الأمة ، ومواضع الأئمة .

ثالثا: آداب المساجد

الإخلاص: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "من أتى المسجد لشيء فهو حظه". "صحيح سنن أبي داود: ٩٤". وهذا يدل على أن من أتى المسجد لقصد حصول شيء أخروي أو دنيوي فذلك الشيء حظه ونصيبه؛ لأن لكل امرئ ما نوى، وفيه تنبيه على تصحيح النية في إتيان المساجد لئلا يكون مختلطًا بغرض دنيوي، كالتمشية أو اللقاء مع الأصحاب بل ينوي الاعتكاف والعزلة والانفراد والعبادة وزيارة بيت الله واستفادة علم وإفادته ونحوها. "[١]

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: "من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يُعلمه كان له كأجر حاج تامًا حجته"[٢]

التسوك والتطهر في البيت وعدم تشبيك الأصابع بعده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء) . ويروى نحوه عن جابر وزيد بن خالد عن النبي ﷺ ولم يخص الصائم من غيره . وقالت عائشة عن النبي ﷺ (مطهرة للفم مرضاة للرب) [٣]

ثم تدعوا بدعاء الوضوء فتقول قبل الوضوء : بسم الله الرحمن الرحيم لما ثبت عن رباح بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب عن جدته عن أبيها قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه" [٤]

وبعد الوضوء تقول : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ كما روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ) [٥]

والتطهر في المنزل له فضل عظيم فينبغي الحرص عليه لما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً "[٦]

ولا مانع من الوضوء في المسجد لكن في البيت أعظم أجرا

وعن أبي ثمامة الحناط أن كعب بن عجرة أدركه وهو يريد المسجد أدرك أحدهما صاحبه قال فوجدني وأنا مشبك بيدي فنهاني عن ذلك وقال إن رسول الله ﷺ قال إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى المسجد فلا يشبكن يديه فإنه في صلاة "[٧]

وهذا النهي عن التشبيك علله بأنه في صلاة، فلا يليق وهو في صلاة أن يشبك بين أصابعه، وهذا النهي عن تشبيك الأصابع حال المشي إلى المسجد للصلاة. قال الخطابي رحمه الله: تشبيك اليد: هو إدخال

---

(١)عون المعبود: ١٣٦ (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح الترغيب والترهيب (٥) صحيح مسلم (٦) صحيح مسلم (٧) صحيح سنن أبي داود

الأصابع بعضها في بعض والاشتباك بهما، وقد يفعله بعض الناس عبثاً، وبعضهم ليفرقع أصابعه عندما يجده من التمدد فيها، وربما قعد الإنسان فشبك بين أصابعه واحتبا بيده يريد الاستراحة، وربما استجلب به النوم؛ فيكون ذلك سبباً لانتقاض طهره، فقيل لمن تطهر وخرج متوجهاً إلى الصلاة: لا تشبك بين أصابعك، لأن جميع ما ذكرناه من هذه الوجوه -على اختلافها- لا يلائم شيء منها الصلاة ولا يشاكل حال المصلي. إذاً عرفنا أن من الآداب أثناء الحضور إلى المسجد: ألا يشبك بين أصابعه، سواء جعلهما أمامه أو خلفه، أو على جنب، أو فوق رأسه. بعض الناس يمشي وهو يشبك أصابعه فوق رأسه، فهذه ليست حال من كان عنده سكينة ووقار.. (وإذا حضر إلى المسجد للصلاة فلا يشبكن بين أصابعه). أليس قد ورد أن النبي ﷺ عندما صلى صلاة نسي فيها، قام كهيئة المغضب إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها وشبك بين أصابعه؟ الجواب: نعم، والحديث متفق عليه، فكيف نجمع بين هذا وبين ما تقدم؟ فالجواب: إن التشبيك هنا قد حصل بعد انقضاء الصلاة، فهو في حكم المنصرف من صلاته، فيكون النهي إذاً خاصاً بمن جاء إلى المسجد وبما كان قبل الصلاة، وأما ما حصل بعد الصلاة، أو إذا جلس للدرس بعد الصلاة، وقال: (مثل المؤمنين كمثل الجسد الواحد ...) وشبك بين أصابعه، فلا حرج في ذلك، وكذلك فليس من الأدب أن يفرقع الذي يأتي إلى الصلاة أصابعه ولا يفعل ذلك في المسجد ولا في انتظار الصلاة؛ لأنه ليس من السكينة ولا من الوقار ولا من الخشوع، وغمز المفاصل هي فرقعة الأصابع، وقد جاء عن شعبة مولى ابن عباس قال: "صليت إلى جنب ابن عباس ففرقعت أصابعي، فلما قضيت الصلاة قال: لا أم لك! تفرقع أصابعك وأنت في الصلاة؟!"(١)

إسباغ الوضوء: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَى أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ الْمَنْكِبَيْنِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى رَفَعَ إِلَى السَّاقَيْنِ ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ " إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ "(٢)

المحافظة على المظهر الحسن عند ارتيادها والدخول إليها : عملاً بقوله تعالى : " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " (سورة الأعراف : من الآية ٣١) . ومعنى ذلك أن يلبس المصلي لباساً لائقاً بالمساجد من حيث النظافة والستر والأناقة والهندام ، والحشمة والوقار .

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله : ((إذا صلَّى أحدُكم فليلبَس ثوبَيه، فإنَّ الله أحقُّ مَن يُتزيَّن له)) (٣)

فمِنْ السُّنَّة يُسْتَحَبّ التَّجَمُّل عِنْد الصَّلَاة وَلَا سِيَّمَا يَوْم الْجُمْعَة وَيَوْم الْعِيد وَالطِّيب لِأَنَّهُ مِنْ الزِّينَة وَالسِّوَاك لِأَنَّهُ مِنْ تَمَام ذَلِكَ وَمِنْ أَفْضَل اللِّبَاس الْبَيَاض ...عَنْ اِبْن عَبَّاس مَرْفُوعًا قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ " اِلْبَسُوا مِنْ ثِيَابكُمْ الْبَيَاض فَإِنَّهَا مِنْ خَيْر ثِيَابكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ وَإِنَّ خَيْر أَكْحَالكُمْ الْإِثْمِد فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَر وَيُنْبِت الشَّعْر " (٤)

ولا يجوز أن يصلِّيَ في ثوبٍ رقيق يَشفّ عنه أو ضيّقٍ يكشف عن عورته أو قصيرٍ ينحسر عن سَوأته، وتحرُم صلاته في ثوبٍ فيه صورة أو ثوبٍ مسبِل، فعن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله يقول: ((من أسبل إزارَه في صلاتِه خُيلاءَ فليس مِنَ الله جلّ ذِكرُه في حلٍّ ولا حَرام)) (٥)

و الحذر الحذر من ارتيادها بملابس غير لائقة كأن يأتي الإنسان إلى المسجد بثياب النوم أو بملابس العمل المتسخة أو التي تفوح منها الروائح المؤذية أو نحوها لأن في ذلك عدم احترام لقدسية هذا المكان

---

(١)رواه ابن أبي شيبة وحسَّن الألباني إسناده في إرواء الغليل

(٢) صحيح مسلم

(٣)أخرجه البيهقي وصححه الالباني في الثمر المستطاب

(٤) صحيح الترغيب والترهيب

(٥) صحيح الترغيب والترهيب

، ثم لأنها قد تؤذي برائحتها من في المسجد من الملائكة والمصلين .

التوكل على الله: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان" (١)

الدعاء في الطريق الى المسجد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِى مَيْمُونَةَ فَقَامَ النَّبِىُّ -ﷺ- مِنَ اللَّيْلِ فَأَتَى حَاجَتَهُ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ وَلَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّى كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ فَتَوَضَّأْتُ فَقَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِيَدِى فَأَدَارَنِى عَنْ يَمِينِهِ فَتَتَامَّتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ اللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ فَأَتَاهُ بِلاَلٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاَةِ فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَكَانَ فِى دُعَائِهِ " اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِى قَلْبِى نُورًا وَفِى بَصَرِى نُورًا وَفِى سَمْعِى نُورًا وَعَنْ يَمِينِى نُورًا وَعَنْ يَسَارِى نُورًا وَفَوْقِى نُورًا وَتَحْتِى نُورًا وَأَمَامِى نُورًا وَخَلْفِى نُورًا وَعَظِّمْ لِى نُورًا "(٢)

قَالَ كُرَيْبٌ وَسَبْعًا فِى التَّابُوتِ فَلَقِيتُ بَعْضَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِى بِهِنَّ فَذَكَرَ عَصَبِى وَلَحْمِى وَدَمِى وَشَعَرِى وَبَشَرِى وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ، ومعنى التابوت : المراد الأضلاع وما تحويه، الشناق : الخيط أو السير الذى تعلق به القربة

أن يؤتى إليه مشيًا مع أن الركوب إليه لا حرج فيه لكن المشي أعظم أجرا : عن أبي موسى الأشعري _ ﷺ _ قال : قال رسول الله ﷺ " إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم " (٣)

وعن أبيّ بن كعب _ ﷺ _ قال : (كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد إلى المسجد منه وكان لا تخطئه صلاةً ، فقيل له : لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء . قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي) .فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : " قد جمع الله لك ذلك كله " (٤)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ لَهُمْ " إِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ ". قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ " يَا بَنِى سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ "(٥)

وعن بريدة الأسلمي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"(٦)

إغلاق الجوال قبل دخول المسجد: فمن التشويشِ والإيذاء الذي عمَّ وطمَّ في مساجدِ المسلمين وقطَعَ عليهم خشوعَهم وسكونهم ما يصدُر من أجهزةِ الجوّال اليومَ من المقاطع الغنائيّة والنغمات الموسيقيّة والأصوات المطرِبَة التي آذت المسلمين أيّما إيذاء، فعَلى كل مسلم يخشى ربَّه ويخاف عقوبتَه أن لا يدنّسَ بيوتَ الله التي بُنيَت للذكرِ والصلاة وقراءةِ القرآن بهذه النَّغَمات المحرمة والأجراس الشيطانيّة، وعليه أن يسارع في محوِها والتخلُّص من شرّها وإثمها.

الدخول بالرجل اليمنى : فعن أنس ﷺ أنه قال: "من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى"(٧)

وكان ابن عمر يبدأ برجله اليمنى، حتى إذا خرج بدأ برجله اليسرى"، ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: (كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع، في شأنه كله.. في طهوره وترجله وتنعله)(٨).

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح مسلم (٥) صحيح مسلم (٦) صحيح الترغيب والترهيب (٧) السلسلة الصحيحة (٨) صحيح البخاري

فيستحب أن يبدأ باليمين عند دخول المسجد. وقال ابن علان : وخصت اليمنى بالدخول لشرفه، واليسرى بالخروج للأشياء، لأن الخروج نفسه من المسجد ليس كالدخول، وهذا مما ينبغي الاعتناء به كسائر الآداب

السلام على النبي الدعاء عند دخول المسجد : عن أبي هريرة - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي و ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك و إذا خرج فليسلم على النبي و ليقل : اللهم اعصمني من الشيطان "(١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا دخل المسجد أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال أقط قلت نعم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر ذلك اليوم"(٢)

التسوك وأداء التحية عند الدخول : فالتسوك لأنه تنظيف للفم مما علق به من الروائح الكريهة، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ " لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَفِى حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَى أُمَّتِى - لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ "(٣)

وثبت أنه يفوق فرشات الأسنان والمعجون من ناحية الصحة، ولو استخدم أموراً أخرى غير السواك من الفرشاة فلا بأس؛ فقد أدى جزءاً من المقصود ولا شك.....

وتحية المسجد سنة مؤكدة جدا تفعل في كل وقت حتى في أوقات النهي ما دام المرء دخل المسجد فعَنْ أَبِى قَتَادَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَىِ النَّاسِ - قَالَ - فَجَلَسْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ ". قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ جَالِسًا وَالنَّاسُ جُلُوسٌ. قَالَ " فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ "(٤). والمقصود ألا يجلس حتى يصلي .

وليس هذا فحسب ، بل لقد حرص الرسول ﷺ على أدائها ، وأمر بذلك حتى في أثناء أداء خطبة الجمعة حيث روي عن جابر بن عبد الله (ﷺ) قال : جاء سُليك الغطفاني يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ يخْطُب ، فجلس ، فقال له : " يا سُليك ! قم فاركع ركعتين ، وتجوَّز فيهما " ، ثم قال : " إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطُب فليركع ركعتين ، وليتجوز فيهما " (٥) .

فكم هو عظيم وجليل وجميل أن يفتتح المسلم دخوله إلى بيت من بيوت الله في الأرض بركعتين يُعلِنُ بهما السمع والطاعة ، والخشوع والخضوع لله جل وعلا !! إضافةً إلى أن في هاتين الركعتين قطعاً للحديث بين المصلين ، وانتظاراً للصلاة في خشوعٍ ووقارٍ وسكينة .

السلام على الحاضرين في المسجد: حتى ولو كان الإنسان يصلي فإنه لا بأس أن تسلم عليه، والسلام على المصلي مشروع، وهو مذهب جمهور أهل العلم، وقد ورد عن ابن مسعود ﷺ قال: (كنت أسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة، فيرد علي، فلما رجعنا سلمت عليه فلم يرد علي، وقال: إن في الصلاة شغلاً)(٦).

فيدل هذا على جواز السلام على المصلي، ولما حرم الكلام في الصلاة ورجع المسلمون من الهجرة الثانية من الحبشة ، سلم ابن مسعود على عادته، ففوجئ أن النبي ﷺ لم يرد عليه باللفظ، وإنما رد عليه بالإشارة، وأخبره أن سبب امتناعه عن الرد عليه لفظاً وهو انشغاله بأمر عظيم وهو الصلاة؛ وفيها

---

(١) صحيح الجامع
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح البخاري

مناجاة لله تعالى فلا يصلح فيها الكلام مع البشر، ولو كان السلام على المصلي غير مشروع لقال النبي عليه الصلاة والسلام لـــابن مسعود مثلاً: لا تسلم علي وأنا في الصلاة، لكنه لم ينكر عليه تسليمه عليه وهو في الصلاة، وإنما أشار إلى أنه لا يتلفظ بالرد فقط، وقد ثبت الرد بالإشارة، فيما رواه ابن عمر ﷺ، قال: (خرج رسول الله ﷺ إلى قباء يصلي فيه، فجاءه الأنصار فسلموا عليه وهو يصلي -هكذا في الحديث- قال: فقلت لـــبلال: كيف رأيت رسول الله ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال: يقول: هكذا.. وبسط كفه، وبسط جعفر بن عون كفه -راوي الحديث- وجعل بطنه أسفل وظهره فوق) (١).

إذاً: لو سلم عليك إنسان وأنت في الصلاة فارفع باطن كفك إلى الأسفل وظاهره إلى الأعلى، وقد فسره الشيخ ناصر الدين الألباني عملياً فكنا معه وكان يصلي فدخلت عليه فسلمت فرفع يده هكذا.. وقد وردت كيفية أخرى أيضاً وهي الرد بالإشارة بالأصبع والأظهر أنها السبابة، لأنها أيسر؛ ولأن العادة جرت برفعها، كما جاء في حديث صـــهيب، قال: (مررت برسـول الله ﷺ وهو يصـلي، فسـلمت عليه فرد عليَّ إشارة، وقال: لا أعلم إلا أنه قال إشارة بأصبعه) (٢).

أما الشوكاني رحمه الله فقد جمع بين الحديثين، فقال: ولا اختلاف بينهما، فيجوز أن يكون أشار بأصبعه مرة ومرة بجميع يده، ويحتمل أن يكون المراد باليد الأصـــبع حملاً للمطلق على المقيد، ولكن تفســـير الراوي لمَّا جعل بطن الكف إلى الأســـفل ليس هذا، لا يحتمل هذا بالوجه الذي ذكره في آخر كلامه رحمه الله. وقد روى البيهقي رواية في الإيماء بالرأس عن ابن مســـعود، وحينئذٍ قال: ويجمع بين الروايات أن النبي ﷺ فعل هذا مرة، وهذا مرة، فيكون جميع ذلك جائزاً. الخلاصة: أن المراد برد السلام هو بالإشارة، ولو أخره إلى بعد السلام من الصلاة فرد عليه باللفظ فلا بأس، لكن قد يخشى الإنسان أن ينصرف المُسلِّم، يسلم ويمشي فعند ذلك السنة أن يرد عليه بالإشارة، ولا يتعارض هذا مع النهي عن السلام بالإشارة وأنه من صنع أهل الكتاب الذين أمرنا بمخالفتهم؛ لأن ذاك سلام بدون سبب، مع القدرة على الكلام، أما هذا رد مع وجود الحاجة، لأجل الصلاة.....

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن هديه ﷺ أن الداخل إلى المســجد يبتدئ بركعتين تحية المســجد، ثم يجيء فيسلم على القوم، فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق هو حق لهم ، وحق الله في مثل هذا أحق بالتقديم، .قال: وكانت عادة القوم معه هكذا، يدخل أحدهم المسجد ، فيصلي ركعتين ، ثم يجيء، فيسلم على النبي ﷺ. وعلى هذا، فيسن لداخل المسجد إذا كان فيه جماعة أن يقول عند دخوله : بسم الله والصلاة على رسول الله، ثم يصلي ركعتين تحية المسجد، ثم يسلم على القوم .انتهى بحذف قليل.

وما ذهب إليه ابن القيم من تقديم تحية المسجد على السلام على من في المسجد بإطلاق محل نظر عند ابن رجب إذ يقول في فتح الباري عند ذكر حديث المسيء في صلاته: استدل بعضهم بهذا الحديث على أن من دخل المسجد وفيه قوم جلوس، فإنه يبدأ فيصلي تحية المسجد، ثم يسلم على من فيه، فيبدأ بتحية المسجد قبل تحية الناس. وفي هذا نظر، وهذه واقعة عين، فيحتمل أنه لما دخل المسجد صلى في مؤخره قريباً من الباب ، وكان النبي - ص - في صدر المسجد، فلم يكن قد مر عليهم قبل صلاته، أو أنه لما دخل المسجد مشى إلى قريبٍ من قبلة المسجد، بالبعد من الجالسين في المسجد، فصلى فيه، ثم انصرف إلى الناس. يدل على ذلك: أنه روي في هذا الحديث: أن رجلاً دخل المسجد ، فصلى، ورسول الله - ﷺ - في

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح سنن أبي داود

ناحية المسجد ، فجاء فسلم - وذكر الحديث -. خرَّجه ابن ماجه .فأما من دخل المسجد فمر على قوم فيه ، فإنه يسلم عليهم ثم يصلى. انتهى

ثم إن هذا كله مستحب، وليس فيه شيء واجب، فإذا قدم هذا أو ذاك فلا شيء عليه.

من سبَقَ إلى مكان في المسجدِ استحقَّه: ومن أقامه منه بغيرّ حقٍّ فهو مغتصِب، فعن ابن عمر ﷺ عن النبيِّ قال: ((لا يقيمَنَّ أحدكم الرجلَ من مجلسِه ثم يجلس فيه)) (١)

وليس لأحدٍ أن يتحجَّر من المسجد شيئًا، فيضَعَ سُجّادةً أو بساطًا أو عصا أو غير ذلك قبل حضورِه، أو يوكِّل من يحجز له، وليس لشيء مما وضَعَ حرمةٌ، بل يزال ويُصلَّى مكانَه. ومَن سبَق إلى مكانٍ في المسجدِ ثم فارَقَه لتجديدِ وضوء ونحوِه فلا يبطُلُ اختصاصُه به، وله أن يقيمَ من قعد فيه، ويجِب على القاعد طاعتُه، فعن أبي هريرةَ أن رسول الله قال: ((من قام من مجلسِه ثم رجَع إليه فهو أحقُّ به)) (٢)

التبكير والتهجير إليها والحرص على الصف الأول: قال تعالى:" وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ "آل عمران

وقال في مدح صفوة عباده الصالحين: إنْهم كَانوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ "المؤمنون ٦١".

وعن أبي هريرةَ أن رسولَ الله قال: ((لو يعلَم الناسُ ما في النداءِ والصفِّ الأول ثم لم يجِدوا إلا أن يستهِموا عليه لاستَهَموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتَمَة والصبح لأتوهما ولو حبوًا)) (٣)

وهذه المسابقة تكون حسية وتكون معنوية لا حسية فقط ، والمسابقة على الأقدام حساً تقتضي الجري والسرعة، ولكن الجري هنا والسرعة ممنوعان لحديث آخر، فلم يبق إلا أن تكون بمعنى الشغل ومراقبة الوقت، والمبادرة والتبكير، وليس معنى: (سارعوا) أي: عليكم بالجري، كلا. وقد كان السلف رحمهم الله يهتمون بذلك جداً، وكانوا يشتاقون إلى الصلاة وقلوبهم متعلقة بالمساجد.

وقال عدي بن حاتم ﷺ: "ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها"، وقال: "ما أ قيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء".

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: "ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد"، وقال: ""ما سمعت تأذيناً في أهلي منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد" أردد معهم في المسجد، وما فاتته صلاة الجماعة أربعين سنة ولا نظر في أقفائهم، أي: ما نظر في قفا مصلي، ومعنى ذلك: أنه كان دائماً في الصف الأول.

وكان الأعمش رحمه الله من المحافظين على ذلك، حتى قال وكيع : اختلفت إليه قرابة سنتين فما رأيته يقضي ركعة، وكان قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولى. وبشر بن الحسن كان يقال له: صفي؛ لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين عاماً.

وكان إبراهيم بن ميمون المروزي من الذين يمتهنون صياغة الذهب والفضة، فكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء، ألقاها ولم يردها ولم يطرق بها. ولا شك أن المبادرة إلى المساجد والتبكير إليها من الآداب العظيمة التي تسبب للإنسان أن يظله الله في ظله، وأنه في صلاة مادام ينتظر الصلاة، وأن الملائكة تصلي عليه وتستغفر له.

وفضيلة الصف الأول عظيمة، والمقصود بالصف الأول هو ما يلي الإمام، سواء جاء صاحبه متقدماً أو متأخراً، ولكن المتقدم يكون قد جمع أجر التبكير بالإضافة إلى الصف الأول، أي: لو جاء رجل متأخراً ثم

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) متفق عليه

حصل له مكاناً فله أجر الصف الأول، لكن ليس له أجر التبكير مثلما حصل للمبكر. وفي الصف الأول مزايا عظيمة، ذكر ابن حجر بعضاً منها، فمن ذلك: المسارعة إلى خلاص الذمة، والسبق لدخول المسجد، والقرب من الإمام، واستماع القراءة، والتعلم منه، والفتح عليه، والسلامة من اختراق المارة بين يديه، وسلامة البال من رؤية من يكون قداماً من المصلين، ربما يشتغلون بأشياء؛ لأن الصف الأول لا ترى أمامك أحداً إلا الإمام، وسلامة موضع السجود من أذيال المصلين. ومن الأخطاء: أن بعض الناس إذا دخل المسجد لا يتجه إلى الصف الأول، إنما يتجه إلى الصف الثاني، أو وسط المسجد، أو مؤخرة المسجد وهذا خلاف ما عليه صحابة الرسول ﷺ، فقد كانوا إذا جاءوا قبل الصلاة ابتدروا الصف الأول، مادام في الصف الأول متسع يتسع لأشخاص، ثم يبدؤون بالثاني، خلاف ما عليه الناس اليوم من الجهل وعدم اتباع السنة، والرغبة عن الخير والزهد في الثواب، فلماذا؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فمن جاء أول الناس وصف في غير الأول فقد خالف الشريعة، وإذا ضم إلى ذلك إساءة الصلاة أو فضول الكلام أو مكروهة أو محرمه.. ونحو ذلك مما يصان المسجد عنه؛ فقد ترك تعظيم الشرائع، فاستحق العقوبة. وينبغي لطلبة العلم والحفظة أن يتقدموا إلى الصف الأول قبل غيرهم، وأن يلوا الإمام، ويتعمدوا الوقوف خلفه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) رواه مسلم. قال النووي في شرح الحديث: في هذه الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام؛ لأنه أولى بالإحرام، ولأنه ربما احتاج إلى استخلاف، فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره من الجهلة أو العامة أو الأطفال.. ونحو ذلك، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم. فالسنة أن يتقدم في الصف الأول أهل الفضل والسن، وأن يلي الإمام أكملهم وأفضلهم، قال الإمام أحمد : يلي الإمام الشيوخ وأهل القرآن ويؤخر الصبيان، فإذا التفت الإمام فرأى وراءه صبياً، فقال له: يا ولدي! تأخر أو اذهب إلى آخر الصف، فليس هذا من التعسف وقلة الأدب أو الذوق كما يسميه بعض الناس، وعدم احترام مشاعر الأطفال، لا، بل هذا من الحفاظ على تطبيق السنة (ليلني منكم أولو الأحلام والنهى)[١] وليس الأطفال والصغار منهم؛ لأنهم أقربهم من العبث، ولا يعون الصلاة وعياً تاماً بحيث يفتح على الإمام أو ينبه الإمام إذا أخطأ، أو عندهم فقه أو علم وأنتم تعرفون كيف يتصرفون.

الترديد مع الآذان: وهذا يفوت كثيراً من المصلين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (إذا سمعتم المنادي يثوب بالصلاة، فقولوا مثلما يقول)[٢]

والإقامة لا شك أنها أذان فعن عبد الله بن مغفل المزني أن رسول الله ﷺ قال (بين كل أذانين صلاة - ثلاثا - لمن شاء . [٣]) فسمَّى الإقامة أذاناً.

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ " إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ "[٤]

قال ابن حجر رحمه الله: "أُستدل به على مشروعية إجابة المؤذن في الإقامة". وقول بعض الناس عند قول المقيم: "قد قامت الصلاة"، يقولون: أقامها الله وأدامها، وهذا مبني على حديث ضعيف فلا ينبغي أن تقال.

وعلى المؤذنين أن يتقوا الله في الآذان وألا يزيدوا في ألفاظه شيئا أكثر مما ورد عن رسولنا ﷺ فقد روى عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ

(١) صحيح البخاري (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح مسلم

أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ "(١).

والصحابة رضوان الله عليهم تمسكوا بذلك وكانوا أكثر حباً منا لسيدنا رسول الله ﷺ الذي فضله الله على الأولين والآخرين وجعله خاتم النبيين والمرسلين.....

فلرسول الله ﷺ تشريف ما بعده تشريف وتكريمك ما بعده تكريم لكن إذا أمرنا بشئ فلابد أن نلتزم به وان نبتعد عن هذه الزيادات لان ذلك يؤدي إلى مخالفة سنة رسول الله ﷺ وإن ذلك ربما أوقع صاحبه في فتنة قال عنها الإمام مالك كما حكي ابن العربي عن الزبير بن بكار ، قال : " سمعت مالك بن أنس ، وأتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ! من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله ﷺ ، فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد . فقال : لا تفعل ، قال : فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر ، قال : لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة ، فقال : وأي فتنة هذه ؟ ! إنما هي أميال أزيدها ، قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ ! إني سمعت الله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٢).

الصلاة على النبي وسؤال الله له الوسيلة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ -ﷺ- يَقُولُ " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِىَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِى إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِىَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ "(٣).

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة)(٤).

و(الدعوة التامة) المراد ألفاظ الأذان يدعى بها إلى عبادة الله تعالى ووصفت بالتمام وهو الكمال لأنها دعوة التوحيد المحكمة التي لا يدخلها نقص بشرك أو نسخ أو تغيير أو تبديل . (الوسيلة) ما يتقرب به إلى غيره . (الفضيلة) المرتبة الزائدة على سائر الخلائق والمراد هنا منزلة في الجنة لا تكن إلا لعبد واحد من عباد الله عز و جل . (وعدته) أي بقوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " / الإسراء ٧٩ / .

(حلت) استحقت . (شفاعتي) أي أن أشفع له بدخول الجنة أو رفع درجاته حسبما يليق به.

آداء السنن قبل الصلاة: السنن تكون مؤكدة وغير مؤكدة

فمن المؤكدة ما روى عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ ". قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ عَمْرٌو مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ"(٥).

(١) صحيح مسلم
(٢) فتح القدير
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : من ثابر عن ثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة دخل الجنة أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر"(١)

ومن السنن الغير المؤكدة:

ركعتان بعد الظهر، وأربع ركعات قبل العصر فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا"(٢).

وركعتان خفيفتان قبل المغرب، عن عبد الله المزني قال: قال رسول الله ﷺ صلوا قبل المغرب ركعتين ثم قال صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء خشية أن يتخذها الناس سنة"(٣)

وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ الْعِشَاءِ؛ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: لِمَنْ شَاءَ (٤)" وَالْمُرَادُ الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ..

المواظبة على حضور صلاة الجماعة: إن فضل صلاة الجماعة مشهور معروف فيكفي أن الذي يصلي في الجماعة يضاعف له الأجر على من صلى منفردا سبعا وعشرين درجة.

والصحيح من أقوال أهل العلم أن صلاة الجماعة واجبة على الرجال لا تسقط عنهم بأي حال من الأحوال إلا من عذر يمنع من الإتيان إلى المسجد.

ومما يدل على ذلك: قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)

أن الله تعالى أمر بقامتها في حال الحرب والخوف ولم يسقطها عن الصحابة مع أن المقام مقام خوف وحرب قال سبحانه (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ..) الآية

عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّىَ بِالنَّاسِ ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِى بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ "(٥)

٤ _ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ -ﷺ- سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّى هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِى بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِى الصَّفِّ"(٦).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِى قَائِدٌ يَقُودُنِى إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّىَ فِى بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ " هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ ". فَقَالَ نَعَمْ. قَالَ " فَأَجِبْ "(٧)

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح البخاري (٤) متفق عليه (٥) صحيح مسلم (٦) صحيح مسلم (٧) صحيح مسلم

كل هذا يقال في حق من ترك صلاة الجماعة فكيف بمن لا يصلي أصلا أو يكتفي بالجمعة فقط ظنا منه أنها تكفر ما بينها وبين الجمعة الأخرى استدلالا بقوله ﷺ (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما) ونسي أو تناسى آخر الحديث (مالم تُغشى الكبائر) وهل ترك الصلاة إلا من كبائر الذنوب ؟!

إنه لا حظ في الإسلام لمن ضيع الصلاة كما قال الفاروق ﷺ .

إدراك تكبيرة الإحرام: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق "[١]

ومعنى يدرك تكبيرة الإحرام؟ أي: أن يحضر تكبير الإمام ويشتغل عقبها بعقد صلاته. إذاً: تدرك تكبيرة الإحرام بما يلي: أن يكون قائماً في الصف عندما يكبر الإمام تكبيرة الإحرام.

أن يحرم بعده مباشرة، فإذا دخل المسجد والإمام قد كبر فلا يعتبر أنه قد أدرك تكبيرة الإحرام، وإذا وصل إلى الصف بعدما شرع الإمام في الفاتحة؛ لا يعتبر مدركاً تكبيرة الإحرام، ولا يدرك تكبيرة الإحرام إذا بقي واقفاً في الصف، بعدما يكبر الإمام وهو منشغل؛ لأن بعض الناس إذا كبر الإمام بقي منشغلاً في تعديل اللباس وعمل أشياء كثيرة، حتى يشرع الإمام في القراءة وهو ما كبر بعد. إذاً: متى تحصل هذه الفضيلة وهذا الأجر؟ إذا كان قائماً في الصف، عندما يكبر الإمام للإحرام، وأحرم بعده مباشرة، عند ذلك نطلق عليه أنه أدرك تكبيرة الإحرام. وبناءً على هذا فإن الذي يتم صلاة نافلة كتحية المسجد وقد كبر الإمام وشرع في القراءة وهو لم يقم بعد الصلاة، فإنه لا يعتبر أنه أدرك تكبيرة الإحرام، لكن إذا كان في آخر صلاته أتمها خفيفة. ومن هنا يظهر وجه قول الذي ذهب إليه بعض أهل العلم أن الإنسان يقطع صلاته - إذا أقيمت الصلاة-فوراً، لكي يدرك تكبيرة الإحرام، لكن لو أخذ بالقول الآخر وأتمها خفيفة فله ذلك، إذا كان في آخر الصلاة، أما إذا كان في أولها أو وسطها، فإنه يقطعها مباشرة بغير سلام، وهذا يدل على أن التبكير يجعل تحية المسجد قبل الإقامة بفترة حتى يدرك تكبيرة الإحرام، لكن لو أنه تأخر ستكون تحية المسجد أو بعضها في وقت الإقامة، فلا يدرك تكبيرة الإحرام.....

عدم الإسراع عند سماع الإقامة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ " إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاَةِ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ فِى صَلاَةٍ "[٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ فَلَمَّا صَلَّى ، قَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ : فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا " [٣]

تسوية الصفوف عند إقامة الصلاة: استعداداً للوقوف بين يدي الله عز وجل . فإن وقوفكم خلف الإمام بشكلٍ مستوٍ ومنتظم وعلى هيئة صفوفٍ متراصةٍ يربي المسلم على حب النظام والترتيب ، ويربي النفوس على إزالة الملامح الطبقية والسمات الإقليمية ، كما أن في ذلك غرساً لمبدأ المساواة والعدل في النفس البشرية ، وإشارة إلى بنيان الأُمة المسلمة المرصوص

فعن أنس بن مالك ﷺ قال : أُقيمت الصلاة فأقبل علينا رسولُ الله ﷺ بوجهه فقال : " أقيموا صفوفكم وتراصوا " [٤] .

وعن أنس ابن مالك قال : قال ﷺ : " سوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة [٥]

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟!) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: (يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ) [١]

قال أنس ﷺ: (وكان أحدنا يُلْزِق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه) [٢]

ومن يصلي على كرسي له حالتان، الحالة الأولى أن يكون طوال صلاته جالسا على الكرسيِ فهذا يضع الكرسيَّ بحيث يكونُ محاذيا برأسه وصدره المصلين حال وقوفهم وجلوسهم. أما الحالة الثانية فمن يقف مع المصلين ولكنه لا يستطيع النزول إلى الأرض فيجلس على الكرسي حال سجود وجلساته في الصلاة؛ فهذا يضع الكرسيَّ بحيث يحاذي المصلين حال وقوفه إن أمكن ذلك كأن يكون هناك مسافة بين الصف الذي يصلي فيه وبين الصف الذي يليه فلا يضايق المصلين خلفه، أما إذا كان رجوعُه بالكرسي يضايق المصلين خلفه فلا يفعل ذلك.

سد فرجات الصفوف: فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : من سد فرجة رفعه الله بها درجة وبنى له بيتا في الجنة "[٣]

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : خياركم ألينكم مناكب في الصلاة وما من خطوة أعظم أجرا من خطوة مشاها رجل إلى فرجة في الصف فسدها "[٤]

الخشوع في الصلاة: فالعبد يكتب له من صلاته بقدر خشوعه فيها قال ﷺ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا "[٥]

وعن أمراء الاجناد : عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان قالوا : رآى رسول الله ﷺ رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال : لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد " ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم " مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع الذي يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا" [٦]

متابعة الإمام وعدم الوقوف: أن الإنسان إذا دخل المسجد وجماعة تصلي، فلا يقف بدون صلاة، فبعض الناس إذا دخل المسجد والإمام في السجود وقف في الصف بدون صلاة، فيفوت الأجر، بل يدخل مع الإمام ولو لم تعد ركعة، أليس إذا سجدت تؤجر على السجود ووضع الجبهة على الأرض لله رب العالمين؟ ألست تؤجر على تسبيح السجود؟! ألست تؤجر على دعاء السجود؟! إذاً: لماذا تضيع هذه الفرصة؟! وقوله عليه الصلاة والسلام: (فما أدركتم فصلوا) يدل على أنك تدخل مع الإمام في أي مكان كان فيه الإمام: (فما أدركتم فصلوا) أدركت سجدة، ركعة، ركوعاً، رفعاً من الركوع، جلسة بين السجدتين: (فما أدركتم فصلوا)، ولذلك قال ابن حجر رحمه الله في شرحه: واستدل به على استحباب الدخول مع الإمام في أي حال وجد عليها. وعن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتى أحدكم والإمام على حال فليصنع كما يصنع الإمام) [٧]

وبهذا أخذ من رأى أن المأموم إذا جاء في التشهد الأخير يدخل مع الإمام؛ لأن عموم الحديث يقتضي هذا. يا شيخ! إذا كنا داخلين جماعة، وصلينا جماعة ثانية؛ لأننا نعرف أن الإمام في التشهد الأخير؟ الجواب: ما أدراك أن أجر الدخول مع الإمام في التشهد الأخير أكثر من الجماعة الثانية؟ لأن أجر الجماعة الثانية ليست مثل الأولى إطلاقاً، فيمكن يكون الامتثال لحديثه عليه الصلاة والسلام بالدخول مع الإمام في أي موضع، أكثر من الجماعة الثانية. وعلى أية حال، هذه مسألة اجتهاد كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله، فلو

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح سنن الترمذي

أنه انتظر لا ينكر عليه، لا يقال: ارتكبت حراماً، ولكن حتى الذي انتظر، لا يشرع له أن يحدث جماعة قبل أن يسلم الإمام، لئلا يكون هناك جماعة ثانية في المسجد في الوقت نفسه، وهذا لا شك أن فيه شق للمسلمين وتفريق، وهذا أمر مذموم شرعاً. إذا كان الإمام قائماً أو راكعاً أو ساجداً أو في الجلسة بين السجدتين، أو في التشهد، فليدخل معه على الحال التي هو عليها، فإن اجتهد وكان معه أناس كثيرون وفيهم أناس من أهل الفضل، وجاء في التشهد الأخير فانتظروا إلى أن يسلم الإمام فصلوا فلا بأس عليهم.....

الحرص على الأذكار: التي حثت السنة النبوية على الإتيان بها بعد أداء الفريضة ، ولا يستعجل أحدكم في مغادرة المسجد حتى يذكر الله تعالى بما ثبت وصح عن معلم الناس الخير ﷺ من أذكارٍ جامعةٍ مانعة ؛ فقد روي عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من سبَّح الله في دبر كل صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبَّر الله ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسعةٌ وتسعون ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير ، غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر " (١)

وقد روي عن ابن عباسٍ ﷺ أنه قال : " إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ" ، وقال ابن عباسٍ : " كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته "(٢)

أداء النوافل: عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ ". قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ عَمْرٌو مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ(٣) وكما بينت سابقا السنن المؤكدة والغير مؤكدة.

إطالة الجلوس في بيوت الله تعالى : والمكوث فيها إن لم يكن للمسلم حاجة تدعو إلى قضائها خارج المسجد ؛لما في ذلك من الخير الكثير والفضل العظيم

ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "لا يزال العبد في صلاةٍ ما كان في مُصلاه ينتظر الصلاة ، وتقول الملائكة : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يُحْدِثَ "(٤)

كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " ألا أدُلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ؟ " قالوا : بلى . يا رسول الله ! قال : " إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباطُ " (٥) .

فهنيئاً لعُمار المساجد الذين يُطيلون البقاء فيها لذكر الله تعالى ، وأداء الفرائض والنوافل ، وتلاوة القرآن الكريم ، ومُدارسة العلوم الشرعية والتفقه في أمور الدين والدنيا ، وحضور حلقات الدرس ومجالس العلم .

الاجتماع لتلاوة القرآن وتعليم السنة كالصلاة والذكر وقراءة القرآن..... فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ " (٦)

البقاء في المسجد حتى انصراف الإمام: عن أبي ذر قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ " (٧)

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم (٥) صحيح مسلم (٦) صحيح مسلم (٧) صحيح الجامع

الخروج بالرجل اليسرى ودعاء الخروج: فعن أنس ﷺ أنه قال: "من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى"(١)

وعن أبي هريرة - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي و ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك و إذا خرج فليسلم على النبي و ليقل : اللهم اعصمني من الشيطان "(٢)

رابعا: سلوكيات خاطئة في المساجد

مخالفة سنة من السنن السالف ذكرها: فعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش بعدي يرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"(٣).

أكل ما له رائحة كريهة كالثوم : احرصوا على تطييبها وتنزيهها من الروائح الكريهة والقمامات والقاذورات حتى فيما حولها من مساحات لئلا يتأذى بها الملائكة الكرام الذين يشهدون المساجد مع المصلين ، ولئلا تكون تلك الروائح مدعاة لإيذاء بقية المصلين الذين يتأذون من رائحة الثوم والبصل والكُرَّاث ، وغيرها من الأطعمة والمأكولات ذات الروائح النافذة و المؤذية ، إضافة إلى رائحة الدخان والشيشة ونحوهما من الروائح الخبيثة المنتنة ، لا سيما وقت أداء الصلاة في بيتٍ من بيوت الله تعالى .

فعن ابن عمر (ﷺ) أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر : " من أكل من هذه الشجرة – يعني الثوم – فلا يقربنَّ مسجدنا "(٤).

وعن جابرٍ قال : نهى رسول الله عن أكل البصل والكُرَّاث ، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها . فقال : " من أكل من هذه الشجرة المُنتنة فلا يقربن مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس " (٥)

ويشمل ذلك التدخين فإنه يظهر منه رائحة كريهة فينبغي البعد عنه والحذر منه ومن هنا فإن على كل مسلمٍ أن يهتم بنظافة المساجد وتطييبها وإزالة الأذى منها حتى تشتاق إليها الأرواح ، وترتاح إليها الأنفس .

النجاسات والقاذورات : فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - وَهُوَ عَمُّ إِسْحَاقَ - قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِى الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِذْ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَهْ مَهْ. قال: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ ". فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ " إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَىْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِىَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ". أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-.قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ "(٦) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : " ما حملكم على إلقائكم نعالكم ؟ " قالوا : رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا . فقال رسول الله ﷺ : " إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما قذرا إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما "(٧)

فيجب أن تنزه المساجد عن الحذاء والملابس المتسخة والتي تحمل قذرًا أو نجاسة ، أو لوثًا ووسخًا تتسخ بها

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح الجامع (٣) السلسلة الصحيحة (٤) صحيح البخاري (٥) صحيح مسلم (٦) صحيح مسلم (٧) مشكاة المصابيح

فرش المسجد وسجاده ، وأرضه النظيفة ، مع العلم أنه يجوز أن يصلي بالنعال النظيفة .

النخامة في المسجد: رأى النبي - ﷺ – في جدار المسجد نخامة فتناول حصاة فحكه وعدها خطيئة وقال: (البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها) [١]

وعنْ أَبِي ذَرٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي ، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا ، الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا ، النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ [٢]

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يحب العراجين ولا يزال في يده منها فدخل المسجد فرأى نخامة في قبلة المسجد فحكها ثم أقبل على الناس مغضبا فقال أيسر أحدكم أن يبصق في وجهه إن أحدكم إذا استقبل القبلة فإنما يستقبل ربه عز وجل والملك عن يمينه فلا يتفل عن يمينه ولا في قبلته وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فإن عجل به أمر فليقل هكذا ووصف لنا ابن عجلان ذلك أن يتفل في ثوبه ثم يرد بعضه على بعض [٣]

وروى سعيد بن منصور عن أبي عبيدة بن الجراح أنه تنخم في المسجد ليلة فنسي أن يدفنها حتى رجع إلى منزله، فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها، ثم قال: الحمد لله الذي لم يكتب عليَّ خطيئة الليلة. قال: فدل على أن الخطيئة تختص بمن تركها وعلة النهي ترشد إليه وهي تأذي المؤمن بها [٤].

الحيضُ حدَث يمنَعُ اللّبثَ في المسجدِ على الصحيح من قولي العلَماء: لحديثِ أمِّ عطيّةَ رضي الله عنها أنها سمعت النبي يقول: ((ويعتزِل الحُيَّضُ المصلّى)) أخرجه البخاري. ويباح لها العُبورُ للحَاجَة مِن أخذِ شيءٍ أو تركِه، فعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله : ((ناوِليني الخمرةَ مِنَ المسجد))، فقلتُ: إني حائض! فقال: ((إنَّ حيضَتَك ليسَت في يدِك)) [٥]

والجنابةُ حدَث يمنع اللبثَ في المسجدِ أيضًا، ويُباح له العبور لحاجةٍ؛ لقولِه تعالى: وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا "النساء: ٤٣".

الإسراف في استعمال المياه: لا يجوز الإسراف في الماء في الوضوء أو الاغتسال ؟ لنهي النبي ﷺ عن ذلك ، وقد كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع ، ونهى عن الإسراف في الماء ، كما في حديث أنس قال : أ كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد رواه مسلم .

وقال تعالى" وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ "الانعام

وقال تعالى "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ "الأعراف

وقال تعالى "وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا "الإسراء

الاصطفاف في طرقات المسجد وأبوابه : لئلاّ يمنع المصلين دخولَ المسجد، بل يتقدَّم إلى الصفوف المتقدِّمة، فعن أنس أن رسولَ الله قال: ((أتمُّوا الصفَّ المتقدِّم ثم الذي يليه، فما كان من نقصٍ فليكن في الصفِّ المؤخَّر)) [٦] وإذا علِم المصلّي أنه إذا مشى إلى الصفّ المتقدِّم فاتته الركعة وإن صلَّى في الصفّ المؤخَّر لم تفُته فقد قال العلماء: إن كانت الركعةَ الأخيرة صلّى في الصفِّ المؤخَّر، وإذا كانت غيرها مشَى إلى الصف المتقدِّم. وقال في الإنصاف: "وقد يقال: يحافِظ على الركعة الأولى والأخيرة".

المرور بين يدَيِ المصلّي: حتى ولو لم يجِدِ المارّ مَساغًا وسبيلاً غيرَه ، إلاّ لضرورة أو مشقّة عظيمة لا يمكِن دفعُها فعَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ الْجُهَنِيَّ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي جُهَيْمٍ يَسْأَلُهُ مَاذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ

---

(١) صحيح البخاري
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح سنن أبي داود
(٤) الثمر المستطاب
(٥) صحيح مسلم
(٦) مشكاة المصابيح

اللَّهِ -ﷺ- فِى الْمَارِّ بَيْنَ يَدَىِ الْمُصَلِّى قَالَ أَبُو جُهَيْمٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَىِ الْمُصَلِّى مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ". قَالَ أَبُو النَّضْرِ لاَ أَدْرِى قَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً" (١)

الصلاة بين السواري (الأعمدة) : إلا إذا ضاقَ المسجِد فلا بأس بالصلاة بينها فعن قتادة بن معاوية بن قرة عن أبيه قال : (كنا ننهى أن نصف بين السواري على عهد رسول الله ﷺ ونطرد عنها طردا)(٢)

وهذا الحديث نص صريح في ترك الصف بين السواري وأن الواجب أن يتقدم أو يتأخر ؛ إلا عند الاضطرار . وقال مالك : لا بأس بالصفوف بين الأساطين إذا ضاق المسجد

وهذا لأن السواري تحول بين الناس وبين وصل الصف وتسويته، فيصبح الصف مقطعاً بالأعمدة والسواري، لكن إذا دعت الحاجة إلى هذا، كأن يكون المسجد صغيراً، فيكون في صلاة الفجر والظهر والعصر فيه سعة ، فلا نصلي بين الأعمدة ، لكن في صلاة العشاء والجمعة نحتاج أن الناس يصفون بين السواري، فنقول: إذا دعت الحاجة إلى ذلك فلا بأس به، وهذا يوجد في الحرم، وقت الزحام، بعض الصفوف تتخللها السواري، مسافات متقاربة، لكن إذا كان الصف مثل هذا الصف الذي في الحرم، الصف بين الساريتين فقط، أي: هنا عمود وهنا عمود والصف بينهما، ولا يوجد بعد العمودين شيء، فهذا لا يعتبر صفاً تتخلله السواري، وإنما هو صف كامل ليس بمقطوع -لم تقطعه السواري- لأن عرض الصف ما بين الساريتين، وليحذر المصلي أن يقف في صف متأخر مع وجود أمكنة في الصفوف الأولى، لأن هذا مخالف لقوله ﷺ: (أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معقباً على هذه الظاهرة السيئة التي نجدها خصوصاً في مكة، أناس يصلون خارج الحرم، ويوجد فراغ في الداخل، والبعض يصلون عند الباب والبعض على الرصيف، وبعض أصحاب المحلات يصلي أمام الحانوت، حتى يفتح حانوته بعد السلام مباشرة، يقول شيخ الإسلام : ولا يصف في الطرقات والحوانيت مع خلو المسجد، ومن فعل ذلك استحق التأديب، ولمن جاء بعده تخطيه. إذاً لو رأيت جماعة يصلون خارج الحرم، ويوجد فراغ في داخل الحرم، فلو تخطيت رقابهم فلا حرج عليك؛ لأنهم قد أسقطوا حرمتهم بهذا الإهمال والكسل الذي فعلوه، في أن يصلوا في الخارج، ولمن جاء بعده تخطيه، ويدخل لتكميل الصفوف المتقدمة، فإن هذا لا حرمة له، وقال: بل إذا أمتلأ المسجد بالصفوف، وصفوا خارج المسجد، فإن اتصلت الصفوف حينئذٍ في الطرقات والأسواق صحت صلاتهم، وأما إذا صفوا وبينهم وبين الصف الآخر طريق يمشي الناس فيه لم تصح صلاتهم في أظهر قولي العلماء. وكذلك إذا كان بينهم وبين الصفوف حائط بحيث لا يرون الصفوف ولكن يسمعون التكبير من غير حاجة؛ فإنه لا تصح صلاتهم في أظهر قولي العلماء، لكن لو صلوا خلف جدار المسجد بحيث امتلأ المسجد وصلوا خلف الجدار، ويسمعون الصلاة والتكبير تصح صلاتهم، وقال: فمن صلَّى في مؤخر المسجد مع خلو ما يلي الإمام كانت صلاته مكروهة. إذاً: يجب الاهتمام بتسوية الصفوف، حتى ما جاء في السنة، وكان عمر يُوكِّلُ رجلاً أو رجلين لتسوية الصفوف.....

مضايَقَة ومزاحمَة المصلين : ومحاولةِ اقتحام الصفّ عليهم مع تعذُّر ذلك بسبَبِ الضيق والازدحام الشديد، أو بالتشويشِ عليهم بالجهر بالقراءةِ والدعاء، فعن أبي سعيد الخدريّ قال: اعتكف رسول الله في المسجدِ، فسمعهم يجهرون بالقراءةِ، فكشف الستر فقال: ((ألا إنَّ كلَّكم مناجٍ ربَّه، فلا يؤذِيَنَّ بعضكم بعضًا، ولا يرفَع بعضكم على بَعضٍ في القراءة)) أو قال: ((في الصلاة)) (٣)

---

(١) صحيح مسلم (٢) السلسلة الصحيحة (٣) مشكاة المصابيح

الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر: لأن الخروج إعراض عمَّا يقتضيه الأذان، لأن في الأذان: حيّ على الصلاة، وهذا يريد أن يخرج من المسجد الذي صلَّى فيه، إن في الأذان طلباً للإقبال على الصلاة، وحضور المساجد للصلاة، وهذا الخروج ينافي ذلك، ثم لعله يكون ذريعة إلى الاشتغال عن الصلاة والتأخر عنها، ثم إن فيه تشبه بالشيطان، كيف ذلك؟ ألم يقل النبي ﷺ: (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع صوت التأذين) [١]

قال ابن بطال رحمه الله: ويشبه أن يكون الزجر عن الخروج من المسجد بعد أن يؤذن المؤذن لئلا يكون متشبهاً بالشيطان الذي يفر عند سماع الأذان، وقد قال أبو الشعثاء رحمه الله: (كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة ، فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ)، وهذا الحديث رواه مسلم رحمه الله وهو مرفوع حكماً، ولو كان من كلام أبي هريرة ؛ لأن مثل هذا التأثيم أو إثبات المعصية لا يقوله الصحابي بمجرد الرأي

وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ رفعه إلى النبي ﷺ: (لا يسمع النداء في مسجدي هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة، ثم لا يرجع إليه إلا منافق) [٢]

فإذاً لا يخرج أحد من المسجد بعد الأذان إلا من عذر، مثل أن يكون على غير وضوء، أو أمر لا بد منه، والنبي عليه الصلاة والسلام لما أقيمت الصلاة عدَّل الصفوف، فانتظروا أن يكبر فأشار إليهم أن مكانكم، ثم دخل بيته وانتظروا قياماً حتى خرج من بيته، ورأسه يقطر ماءً وقد اغتسل، تذكر أن عليه غسل، فدخل واغتسل ورجع.

فإذا أراد الإمام أن يكبر فتذكر أنه على غير وضوء والناس ينتظرون والصلاة قد أقيمت، فالسنة أن يقول الإمام لهم: انتظروا كما أنتم.. مكانكم، ويذهب ويتوضأ ويأتي، فإن كان عليه غسل وبيته بعيد ويخشى أن يتضايق الناس، والناس في هذا الزمان صدورهم ليست كصدور الصحابة مع النبي ﷺ في ذلك الزمان، فيستخلف شخصاً ويذهب هو، ولكنه لو قال: مكانكم وذهب وتوضأ ورجع لا يحق لأحد أن يلومه إذا لم يضر بهم فلا يلومه أحد.. هكذا وردت السنة. وكذلك لو أذن المؤذن في مسجد ويوجد أئمة مساجد في هذا المسجد.. نفترض الآن هذا الدرس مثلاً استمر وانتهى، وقام المؤذن للأذان، ويوجد معنا في المسجد أئمة مساجد، لا بد أن يذهبوا، فعند ذلك يكون خروجهم من باب العذر، ولا حرج عليهم في الخروج، وقد قال النبي ﷺ: (من أدركه الأذان في المسجد ثم خرج لم يخرج لحاجة، وهو لا يريد الرجعة فهو منافق) رواه ابن ماجة وصححه الألباني. إذاً من أفعال المنافقين الخروج من المسجد، والمقصود بالنفاق: النفاق العملي وبعض المؤذنين إذا أذن خرج إلى بيته، وهذا وإن كان يريد الرجوع للإقامة لكن الأولى في حقه ألا يخرج إلا إذا دعت الحاجة، والمؤذن أولى الامتثال من غيره؛ لأنه هو الذي يدعو الناس إلى الصلاة فكيف يخرج. ثم يفوت الأجر ولاشك وهو أجر انتظار الصلاة، لأن من جلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة، ولذلك فإن وظيفة الجالس في المسجد هي ذكر الله تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ "النور:٣٦" إذاً: قراءة القرآن، والذكر والتسبيح، والدعاء.. وغيرها من العبادات كلها وظيفة الجالس في المسجد.....

الذكر الجماعي: الذكر الجماعي مما اشتهر عند كثير من أهل البدع ممن ينتسب للتصوف أو التشيع ونحوهم، ومن ذلك: قراءة الأذكار بهيئة جماعية بعد الصلوات، كقراءة سورة الفاتحة، أو آية الكرسي، أو قول لا إله، إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وه على كل شيء قدير، جماعة

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح الترغيب والترهيب

أو غيرهما من الآيات والأذكار، ومعلوم أن هذه الصورة وهذه الهيئة من الأمور المحدثة في الدين والتي لم تكن على عهد السلف الصالح، وذكر الله ليس مجرد رفع الأصوات، أو ترديد أنغام على وتيرة واحدة.. بل إن الجهر والتجاهر بالأدعية والأذكار من الأمور غير المستحسنة في الشرع قال تعالى: "وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ" سورة الأعراف، وقال: "وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " الإسراء: ١١٠،

وقد حث سبحانه وتعالى على التفكر والتذكر التدبر فيما يقرؤه الإنسان أو يذكره به، وليس مجرد القراءة فحسب.

رفع الصوت: قال تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" الحجرات

وقال تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) الحج.

عن أبي سعيد ﷺ قال: "اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة"(١)

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ يَا كَعْبُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعْ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ قَالَ كَعْبٌ قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُمْ فَاقْضِهِ) (٢)

وعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا ؟ أَوْ - مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ! قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟"(٣)

"(فحصبني) رماني بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة . (لأوجعتكما) أي جلدتكما حتى أوجعتكما "

ويجب أن يُصان المسجد عن الأقوال الرذيلَة والأحاديثِ السيّئة واللَّغط والأصوات المرتفعة، قال سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى: "من جَلَس في المجلس فإنما يجالِس ربَّه، فما حقُّه أن يقولَ إلا خيرًا".

وعليه فإن رفع الصوت في المسجد على النحو التالي:

أ. رفع الصوت بالقراءة والذكر: من الأمور الجائزة، بل من المستحب شرعاً إن كان الرافع له إمام المسجد، إن لم يؤد ذلك إلى التجاهر بين الأئمة من مسجد إلى آخر، أو التجاهر بين مأموم ومأموم.

ب. رفع الصوت نتيجة الخصومات بين المسلمين فهذا من الأمور الممنوعة.

ج. كذلك البيع والتجارة وإنشاد الضالة، وكذا الشعر فيما لا مصلحة شرعية فيه ممنوع شرعًا.

د. الحديث في المسجد مع رفع الأصوات بشدة مما يُذهب هيبة المسجد قداسته، لا يجوز لأنها أماكن أذن الله أن ترفع وتعظم، لا أن تحاكى فيها هيشات الأسواق.

ذ. ما يفعله بعض الجهلة من الأذكار الجماعية المبتدعة وإقامة الرقص أو الغناء في المساجد محرم، لا يشك في حرمته عاقل.

ر. الكلام لأمر هام أو لحاجة ماسة في المسجد أو الكلام في أمور الدنيا بأصوات معتدلة، بحيث لا يتأذى منه مصلّ ولا قارئ، لا حرج فيه لما في حديث جابر بن سمرة: (كان رسول الله -ﷺ- لا يقوم من مصلاه

(١) صحيح ابن ماجة (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح البخاري

الذي صلى فيه الصبح؛ حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، قال: وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويبتسم) [١].. والله أعلم.

هيشات الأسواق: قال ﷺ:"ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم وإياكم وهيشات الأسواق (ثلاثاً)[٢]

(هيشات الأسواق : أي اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات) [٣]

البيع والشراء وإنشاد الضالة : أخرج الترمذي عن أبي هريرة: ((إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا رد الله عليك ضالتك))[٤]

وعن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِى الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لاَ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ

الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا "[٥]

فعلي من أراد التجارة أو إنشاد الضالة أن يفعل ذلك خارج المسجد

اصطحاب الأطفال الصغار : الذين هم دون سن التمييز إلى بيوت الله لما في ذلك من إزعاجٍ للمصلين وقطعٍ لخشوع الخاشعين بالمرور بين أيديهم والإخلال بتنظيم صفوفهم .وليس هذا فحسب بل ربما وصل الأمر ببعض الأطفال إلى تلويث المسجد في بعض الأحيان . أما أولئك الأطفال الذين يُرجى من اصطحابهم تدريبهم على ارتياد المساجد وتعويدهم أداء الصلاة ، وغرس حب المساجد في نفوسهم فلا بأس – إن شاء الله تعالى – من اصطحابهم مع مراعاة عدم الغفلة عنهم ، ومحاولة التحكم في تصرفاتهم ، وحثهم على احترام هذه المساجد والالتزام بآدابها والتحلي بأخلاقها والأصل الشرعي في جلب الأطفال إلى المسجد إنما يكون إذا تعلم الوضوء والصلاة، وذلك إذا أتم السابعة من عمره، كما روى شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال "مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع"[٦]

ولهذا يُقال من لم يبلغ السابعة فلا يُؤتي به للمسجد إلا إذا توضأ وأحسن الصلاة ومن اضطر اضطرار في ظرف طارئ ليكون معه صغير لا يحسن الصلاة فليكن بين يديه، أو يكون معه في طرف الصف، لئلا يصاف المصلين، فيقطع الصف. ولا يتركه في مؤخرة المسجد فيلعب ويؤذي المصلين. وإنك لتعجب من تساهل بعض الناس ممن يأتي بصغير لم يتوضأ ولا يحسن الصلاة فيجعله في الصف؛ فيقطع الصف، ويزداد عجبُك ممن يأتي بهم في صلاة الجمعة وربما أشغله وأشغل المصلين وربما أفسد عليه جمعته لاشتغاله به.

الجلوس من أجل الدنيا: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقا حلقا إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة "[٧]

فلابد أن نحذر من الكلام الباطل أو الكلام الذي لا فائدة فيه، فلا مكان في المسجد للغيبة والنميمة والكذب، وإذا كانت هذه الأشياء محرمة خارج المسجد؛ فهي في المسجد أشد تحريماً، وكل كلام لا فائدة فيه ينبغي أن ينزه المسجد عنه، وبعض الناس يتكلمون كلاماً كثيراً لا فائدة فيه، وبعضهم قد يفعل ذلك في الاعتكاف الذي هو مظنة الذكر والإقبال على الله، والاجتهاد في العبادة والانقطاع عن الدنيا، ولا شك أن هذا مذموم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما الكلام الذي يحبه الله ورسوله في المسجد فحسن، وأما المحرم فهو في

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) متفق عليه (٤) صحيح الترغيب والترهيب (٥) صحيح مسلم (٦) مشكاة المصابيح (٧) السلسلة الصحيحة

المسجد أشد تحريماً، وكذلك المكروه يكون في المسجد أشد كراهية، ويكره فيه فضول المباح، وقد ورد عن ابن عباس ﷺ أنه قال في قوله تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ "النور:٣٦" قال: "نهى سبحانه عن اللغو فيها" وكذا ورد عن جمع من السلف.....

النوم: من الآداب الانتباه لعدم النوم واستدعاء النوم أو الجلوس في هيئة تستجلب النوم، قيل: هو من أسباب النهي عن الإحتباء -لو صح- أنه مجلبة للنوم، أو مظنة لخروج الريح، أو مظنة لاكتشاف العورة، ولكن قد يسيطر النوم على الإنسان، فعند ذلك ماذا يفعل؟ يطبق حديث النبي عليه الصلاة والسلام: عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ"(١)

فهناك احتمالان: الأول: أن الحركة تذهب النعاس. الثاني: أن هذا مكان حضرته فيه غفلة، والتحول عن المكان الذي حصلت فيه غفلة طيب، وقد تحول النبي ﷺ عن الوادي الذي ناموا فيه عن صلاة الفجر وطلعت الشمس، وحضر الشيطان، فتحولوا من ذلك المكان.....

الإفساد في المسجد بكل صوره: قال تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"(البقرة ١١٤) ، وقال تعالى" ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ذلك الخزي العظيم" التوبة

وقال تعالى" مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ" التوبة

أخي الحبيب إن المسجد يذكرك فيقول:

أنا مسجد لله مر بساحتي ** دهر طويل وانطوت أعمار
كم زارني التاريخ زورة عاشق ** ولكم تجمع عندي الأبرار
بالأمس تمتلئ القلوب مهابة ** منى وتشرح صدري الأذكار
ويرتل القرآن بين جوانجي ** فجوانحي بهدى الكتاب تنار
وتثير إعجاب السحاب مآذني ** وتحيطني بحنانها الأسوار
كم جاء من يأوي إلى فضمه ** صدري الحنون وزالت الأخطار

أيّها المسلمون، إنما شُرِعت الجماعة في المسجد لمقاصدَ عظمى، منها التعارف والتآلف والتعاوُن والتكاتُف، فتصافَحوا يذهبِ الغِلّ، وتَسَامحوا تذَهب الشحناء، وخُذوا بأيدي بعضكم، وطهّروا قلوبَكم مِن الأحقاد والضغَائِن، واستبدلوا القطيعةَ والجفاء بالصِّلة والمحبة والصَّفاء، وأدّوا حقوق بعضكم على بعض، وليعطِف غنيُّكم على فقيركم وقويّكم على ضعيفِكم، وكونوا عباد الله إخوانًا.

وصلّوا وسلِّموا على خيرِ البريّة وأزكى البشريّة، فقد أمركم الله بذلِك فقال قولاً كريمًا: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "الأحزاب: ٥٦".

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه

اتقان العمل سبيل لرقي الوطن وتقدمه

الحمد لله الذي أحاط ملكه بسياج القدرة والقهر، وتعددت أبسطة رحمته فكان منها البر والجو والبحر، وتسربلت في مكنون غيبه أسرار إيجاده للحصى والدر، وتلوَّنت أطياف رحمانيته بخلقه فكان النفع والضر، ومكن التمييز في إدراك الكائنات معاشها بالحلو والمر، توجهت قلوبنا إليه بالشكر واللسان بالحمد أقر، ورفعنا الأكف إليه ضراعة أن يرزقنا حين البلاء الصبر.

وأشهد أن لا إله إلا الله المنزه عن خواطر العقل وأوهام الفكر، المتفضل بإعلامنا أن من جملة أسمائه البر، المسبغ نعماءه على خلقه سواء ما خفي منها وما ظهر، الممتن على عباده بالدلالة على سبيل الخير وسبل الضرر، الباسط كف رحمته للمستغفرين بالسحَر، بشر المتقين بجنات ونهر، ومقعد صدق عند مليك مقتدر، وحذَّر الكافرين من عذاب نار ترمي بالشرر.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خير البشر، تفضل الله عليه فأجرى على لسانه بيان ما نهى وما أمر، وجعل طاعته وإتباع نهجه سبيلًا إلى جنة ذات أنهار وثمر، وجعل عصيانه ومخالفة أمره سببًا لمسِّ سقر، أسرى به إلى المسجد الأقصى وعلى الأنبياء ظهر، وعرج به إلى السموات العلى فما زاغ البصر، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه السادة الغرر، ما تعاقب الليل والنهار وكلما أشرقت الشمس أو بزغ القمر.

العناصر

أولاً: مفهوم الإتقان

ثانياً: فضل العمل في الإسلام ووجوب إتقانه

ثالثاً: صور الإتقان

رابعاً: الجودة وإتقان العمل عند الأنبياء

خامساً: عوامل جودة المنتج الوطني وأثرها في نهضة الأمة

سادساً: نتائج غياب الإتقان عن حياة المسلمين

الموضوع

أولاً: مفهوم الإتقان

الإتقان هو: الإتيان بالشيء على أكمل حالاته، وهو مأخوذ من قولهم تقن أرضه إذا ساق إليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة.

وهو الإتيان بالأعمال على الوجه المطلوب، وعلى الوجه الذي يكسب به الإنسان ثقة الآخرين في شراء سلعته وصناعته. ويعني أيضًا: إحكام الأمور.

والإتقان عند أهل العلم أن تؤدي العمل على أكمل وجه، الإتقان في التعليم، الإتقان في التجارة، والوظيفة، والمنصب، والمتجر، والمزرعة....

ثانيا: فضل العمل في الإسلام ووجوب إتقانه

وجوب العمل والإنتاج والسعي للرزق حتى قيام الساعة: قال تعالي: " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " (الملك: ١٥)

وقال رسول الله ﷺ " إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر" (١)

ويقول النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" (٢)

ألـم تـر أن الله أوحـى لـمـريـم ** وهزّى إليك الجذع يسّاقط الرّطب
ولو شاء أحنى الجذع من غير هزّه ** إليها ولكن كل شـيء له سـبب

لذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يهتم بالعمل والإنتاج والترغيب فيه فيقول: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إليَّ من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري، وكان إذا رأي فتى أعجبه حاله سأل عنه: هل له من حرفة ؟ فإن قيل : لا. سقط من عينيه .وكان إذا مدح بحضرته أحد سأل عنه : هل له من عمل؟ فإن قيل : نعم .قال : إنه يستحق المدح . وإن قالوا : لا. قال : ليس بذاك . وكان يوصي الفقراء والأغنياء معاً بأن يتعلموا المهنة ويقول تبريرا لذلك:- فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة، وإن كان من الأغنياء. وقال ايضا " إن الله خلق الأيدي لتعمل فإن لم تجد في الطاعة عملا وجدت في المعصية أعمالا "

اتخاذ المهنة للكسب مهما كانت دنيئة فهي خير من المسألة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ فَيَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ" (٣)

وعن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"(٤).

جعل الله تعالي الضرب والسعي في الأرض جهاداً في سبيل الله : قال تعالي:" وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "سوى الله تعالي في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال ، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله"(٥)

وهذا ما أكده الرسول ﷺ لأصحابه. فعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ، قَالَ: " مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ" (٦)

كما قال ﷺ لسيدنا سعد: " إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ" (٧)

العمل عبادة في غير وقت العبادة : لأن كثيراً من الناس يتركون الصلاة بحجة العمل عبادة، لذلك وقَّت الله الصلاة بوقت فقال تعالى:" إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا" (النساء: ١٠٣)، وأمرك أن تترك تجارتك وعملك وتهرع إلى الصلاة، لأن هذا الوقت ملك لله ويحرم فيه بيع أو شراء أو عمل

(١) السلسلة الصحيحة (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح البخاري (٥) تفسير القرطبي (٦) صحيح الترغيب والترهيب (٧) صحيح البخاري

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ "(الجمعة : ٩ – ١١)

قال الإمام ابن كثير في تفسيره :"لَمَّا حَجَر الله عليهم في التصرف بعد النداء بيعاً وشراءً وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عرَاك بن مالك ﷺ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتَك، وصليتُ فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين، لهذا اتفق العلماء ﷺعلى تحريم البيع بعد النداء الثاني. واختلفوا: هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم." .

وكان أحد الصالحين يعمل حداداً فإذا سمع الأذان لا ينزل المطرقة على السندان حتى يستجيب لنداء الله، لأن المؤذن يقول: الله أكبر، أي أكبر مما في يدك.

وقد عاتب الله بعض الصحابة لما انشغلوا بالتجارة وتركوا سماع الخطبة، فروي أن النبي ﷺ بينما هو يخطب في الناس، إذ قدم المدينة عيرٌ تحمل تجارة، فلما سمع الناس بها، وهم في المسجد، انفضوا من المسجد، وتركوا النبي ﷺ يخطب استعجالاً لما لا ينبغي أن يستعجل له، فأنزل الله: " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"، فلا ينبغي للعبد أن ينشغل بالدنيا وما فيها ويترك العبادة، لأن الله سخر كل هذه المخلوقات الكونية لخدمة الإنسان ليستعين بها على طاعة الله لا لتشغله عن عبادته!!!!

فالدين يجعل كل عمل أو إنتاج يقوم به الإنسان عبادة، ما دام يلتزم فيه بما يرضي الله رب العالمين، فالتجارة مثلاً عبادة، إذا بعد الإنسان في أثناء مزاولتها عن الغش والكذب والاستغلال والربا، وكذلك سائر الأعمال الدنيوية الأخرى ما دام الإنسان يبتعد في أثناء مزاولتها عن مساوئ الأخلاق، وهذا حافز للإنسان على إتقان عمله وتحسين سلوكه في الحياة، وتقوية صلته بالله، لأن الدين يروى في سلوك المتدينين به، وهو الذي يعد الإنسان ويجعله صالحاً للسير في الحياة على صراط الله المستقيم، مما يجعله أهلاً لكي يكون خليفة الله في الأرض، فيؤدي رسالته لتعمير الأرض بمنتجه الوطني؛ وإقامة شريعة الله فيها

عباد الله: هذه رسالة أحببت أن أبلغها لإخواني وآبائي الذين يعملون في حقولهم وزراعاتهم وتجاراتهم ومصانعهم – حبّا لهم وإشفاقاً عليهم - أن لا تشغلهم عن ربهم، اللهم إني قد بلّغت اللهم فاشهد يا رب العالمين.

خلق خلقه بإتقان وحُسْن خِلْقَة: قال تعالى: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" "النمل: ٨٨". فكل شيءٍ في هذا الوجود يسير على وجه من الإتقان؛ لأنه صدر عن الله تعالى، وفي تلك الآية إشارة إلى عبيد الله بأن يتخلقوا بخلق الله في خلقه وصفته في الخلق والصناعة.

وقال تعالى : " لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " (التين ، آية : ٤)

وقال تعالى :" صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ " (النمل ، آية : ٨٨)

حب الله لمتقن عمله: عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " (١)

إذا عمل المرء المكلّف مرة ** عملا فإن العيب ألا يحسنه
فقد ذكر المختار أن إلهنا ** يحب لعبد خافه أن يتقنه

إتقان العمل اختبار وبلاء: قَالَ تعالى: "إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلَى الأَرضِ زِينَةً لَهَا لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلاً.)
وَقَالَ تعالى: الَّذِي خَلَقَ المَوتَ وَالحَيَاةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً" "الكهف ٧".
وقال تعالى: (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين)
نهى عن الإهمال واعتبره فساد في الارض: قَالَ جل وعلا: "وَأَحسِنْ كَمَا أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ وَلا تَبغِ الفَسَادَ فِي الأَرضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ" "القصص ٧٧".
وَقَالَ تعالى: "وَلا تُفسِدُوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلاحِهَا وَادعُوهُ خَوفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحسِنِينَ" "الأعراف ٥٦" ۞
قَالَ عز وجل: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ" "البقرة.

ثالثاً: صور الإتقان

أمر النبيّ ﷺ بالإتقان حتى عند ذبح البهائم: قال رسول الله ﷺ "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ" (٢). فإذا كان الإتقان عند ذبح البهيمة مطلوبًا، فإن طلبه أشدّ -وأكثر طلبًا- عند القيام بأيّ عمل دينيًّا كان أو معنويًّا ..
أمر النبي ﷺ بالإتقان عند كفن الميت إذا مات: فقد ورد في صحيح مسلم –رحمه الله- "إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ ". (٣)
فإذا كان الإتقان مطلوبًا عند كفن الميت، وعند دفنه في قبره -كما سبق في قول النبيّ: سووا لحد هذا- فإن طلب الإتقان في غيره أولى وأعظم.
وَكُلّ شرائع وشعائر الإسلام قد أمرت الشريعة فيها بالإتقان، على النحو التالي : أ-الوضوء: فها هو ﷺ بعد أن شرح هيئة الوضوء لأصحابه يخبرهم قائلاً: "هكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ -أَوْ ظَلَمَ وَأَسَاءَ-"(٤)
ب-الأذان: فلا يؤذِّن إلا الأندى صوتًا، فسيدنا بلال ﷺ كان يؤذن وهناك من هو أفضل منه ، وفي ذلك دلالة واضحة على احترام أهل الكفاءة المتقنة في مجالات التعبد... فكيف بمجالات الحياة العامة.
ج-الصلاة : فلا يؤمّ الناس إلا الأتقن قراءة للقرآن فعن عمرو بن سلمة قال كنا بحاضر يمر بنا الناس إذا أتوا النبي ﷺ فكانوا إذا رجعوا مروا بنا فأخبرونا أن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا وكنت غلاما حافظا فحفظت من ذلك قرآنا كثيرا فانطلق أبي وافدا إلى رسول الله ﷺ في نفر من قومه فعلمهم الصلاة فقال يؤمكم أقرؤكم وكنت أقرأهم لما كنت أحفظ فقدموني فكنت أؤمهم وعلي بردة لي صغيرة صفراء فكنت إذا سجدت تكشفت عني فقالت امرأة من النساء واروا عنا عورة قارئكم فاشتروا لي قميصا عمانيا فما فرحت بشيء بعد

(١) صحيح ابن ماجة
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) السلسلة الصحيحة

الإسلام فرحي به فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع سنين أو ثمان سنين " [١]. وفي هذا دليل على احترام الإنسان المتقن قراءة وصلاةً وإن كان صبيًّا صغيرًا.

وهذا الذي أسرع في صلاته ولم يتقنها أمره النبي بإعادتها مرة أخرى، وقال له: كما عند البخاري في صحيحه وعند مسلم أيضًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا" [٢] ، فها هو رسول الله يعلمه إتقان العبادة وحسن أدائها.

د- تعلم القرآن: فإن الإتقان مهم جداً فقد قال -عليه الصلاة والسلام- : ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)) [٣] .

الإتقان في مجالات الحكم والقضاء والرياسة: ففي الحديث الصحيح :"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" [٤] وهذا يسمّى: الإتقان في الفصل بين الناس والمساواة بينهم عند القضاء وعدم محاباة طرف على آخر لأي حسابات أو مجاملات .

وعلى هذا فإننا نلحظ -حتى لا نطيل في الاستدلال- أنّ الإتقان يدخل في كل مجالات الحياة، الدينية والدنيوية، التعبدية والحياتية، في القول والفعل، في الحركة والسكنة، وهذا هو الإسلام.

إن الإتقان في المفهوم الإسلامي ليس هدفاً سلوكياً فحسب، بل هو ظاهرة حضارية تؤدي إلى الرقي والتطور، وعليه تقوم الحضارات، ويعمر الكون.

فالموظف والتاجر والمعلم والطبيب والعامل والمدير والقاضي ورجل الأمن والمسؤول والسائق والنجار وعامل النظافة والمهندسين يجب أن يتقنوا أعمالهم؛ فلا غش ولا خداع، ولا إهمال ولا تقصير؛ لأن العمل في الإسلام عبادة، وهو إذاً أمانة، وقد حذر المولى -سبحانه وتعالى-من ذلك، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

رابعا: الجودة وإتقان العمل عند الأنبياء

قبل أن يكلف الله سيدنا آدم بعمارة الأرض: علَّمه الأسماء كلها فسلط الضوء -له ولذريته- إلى أبرز نقاط القوة لديهم لعمارة الأرض وهو العقل قال تعالي " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ....."

وأخبرهم بأبرز نقاط الضعف التي قد تعوقهم كالدنيا والشيطان قال تعالي (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" فاطر

ووضع أمامهم هدفاً مرحلياً هو عمارة الأرض بشرع الله قال تعالي (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ.... سورة النور:

ورئيساً استراتيجياً هو رضى الله والجنة قال تعالي (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ" سورة التوبة: ١٠٠).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه (٤) صحيح البخاري

سيدنا نوح حرص على بناء سفينة متينة الصنع، على أعلى درجات الجودة، وليتأكد من ضمان الجودة كان إعلامه، قال تعالى: " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا " أي بعناية الله "هود: ٣٧".

سيدنا إبراهيم تدرج في تعريف عبدَة الكواكب بخالقهم: قال تعالى "كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ..." سورة الأنعام: ٧٧٩)، ويستفاد منها التخطيط إشراك المستفيدين في الوصول إلى المنتَج المطلوب بتدرج منطقي.

حرص سيدنا لوط على جودة المجتمع : وأرشَدَ قومه إلى الزواج بالصالحات، فالزواج أحسن من الشذوذ " أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ " "الشعراء: ١٦١٦٦"، لذا حثهم على الزواج من نساء أمته الصالحات ـ وهن ـ " وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ.. " "هود: ٧٨".

سيدنا شعيب يدعو الناس إلى العناية بجودة المقاييس التجارية : قال تعالى: " فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " "الأعراف: ٨٥".

سيدنا موسى يعاتب بني إسرائيل : حين طلبوا تغيير الطعام الجيد، واستبداله بطعام أقل جودة " قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِي هُوَ خَيْرٌ " "البقرة: ٦١".

كان النظام والتنظيم سمة رغم كثرتهم وتنوع أصنافهم: لذا وصفهم القرآن بصفة واضحة في جنود سيدنا سليمان بقوله: " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ " "النمل ١٧"

أي: يمشون مع سيدنا سليمان على ترتيب ونظام، فلا يتقدم أحدهم عن منزلته ولا يتأخر ومعرفته بغياب الهدهد ، كما أن تفقُّد سيدنا سليمان القيادة الناجحة المتابِعة لشؤون الأفراد ومراقبتهم.

أحد الفتية من أصحاب الكهف: رغم الجوع الشديد إلا أنه لم يمنعه جوعه من التذكير بأولوية البحث عن أطيب الطعام وأجوده، فقال مخاطباً إخوته مبيناً أن الجودة أولاً " فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ " "الكهف.

صاحب الجنتين : هداه الله إلى زراعة كل بستان بأجود طريقة " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا، كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا " "الكهف: ٣٣٣". فالنهر دائم الجريان في وسط البستان؛ للري المستمر، والنخل على الحواف؛ لصد الرياح والغبار، ومعروشات الأعناب تشكل سقفاً فوق الزرع؛ فتحجب ما زاد عن حده من أشعة الشمس وتحفظ الحد المطلوب من الرطوبة التي يحتاجها الزرع، حينئذ يُخرج كل بستان أفضل ثمره وزرعه.

الإتقان في التخطيط عند سيدنا يوسف: قال تعالى" قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه ...بكيدهن عليم (٥٠) .

الإتقان عند سيدنا داوود: قال تعالى :(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) الانبياء وقال له :"أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ" (١١) سورة سبأ

تقي كل الجسد، ولا تضيق على لابسها، "وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ" فالمسمار بحسب الحلقة، فلا تجعل المسامير دقاقاً فتفلت، ولا غلاظاً فتكسر الحلق، قدّر في السرد، اجعله على قدر الحاجة، هذه العملية الإتقانية في مسألة الصناعة اللازمة للجهاد، كانت من شأن داود -عليه السلام- ، وفي هذا درس عظيم لهذه الأمة .

خامساً: عوامل جودة المنتج الوطني وأثرها في نهضة الأمة

زيادة المراقبة لله تعالى في جميع الأعمال والتصرفات، واستحضار عظمته: يقول الله تعالى مبيّنًا أنه عليم خبير، يسمع ويرى، ويعلم خافية الأعين ويراقب العبد، ومن ثمّ ينبغي للعبد أن يستحضر هذا المعنى فيجدّ ويجتهد في كل حركاته وأعماله،

قال سبحانه: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" "المجادلة: ٧". وصدق الرسول الكريم حين قال -كما في الحديث المتفق عليه -لما سأله جبريل عن الإحسان قال: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[١]

الترتيب ومراعاة الأولويات في كل الأمور، والتوازن في الحياة العامّة والخاصّة: وقد ثبت أن النبي ضبط لهؤلاء النفر الثلاثة الذين وفدوا إلى بيته يسألون عن عبادته، وقالوا ما قالوا، حتى نصحهم وأمرهم بالتوازن والإتقان ومراعاة الأولويات، ولا ننسى -بالتأكيد- ما نصح به سلمان أبا الدرداء بقوله له: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ سَلْمَانُ"[٢]

استشعار المسؤولية عن الأمة في الدنيا واستشعار السؤال يوم القيامة أمام الله: قال الله تعالى: "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" "التوبة: ١٠٥". فالله هو الذي يرى، وهو الذي سيحاسب، وهو الذي سنقف بين يديه جميعًا فرادى لا معنا شيء من الدنيا مهما علت قيمته، ولن ينفعنا حينها أحد مهما كان؛ قال عزّ وجلّ: "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" "الأنعام: ٩٤". ويقول أيضًا سبحانه: "وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ" "الصافات: ٢٤" ويقول عزّ من قائل جلّ في عُلاه: "وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا" "مريم: ٩٥" فلنستحضر كل هذه الآيات العظيمة، ولنستشعر حجم المسؤولية التي سنحاسب عليها يوم القيامة -نسأل الله تعالى أن يخفف عنا وأن يعفو عنا وعنكم جميعًا يا رب العالمين .

تذكّر قصص الصالحين المتقنيين: كيف أن الله تعالى أكرمهم بعفوه وعطائه وعظيم ثوابه، اقرأ إن شئت وتأمّل في قصة الصديق يوم أن ذهب للمرأة العمياء ليكنس لها بيتها، ويطبخ لها، ويصلح من أمرها، وهي لا تعرفه... وهذا عمر الفاروق العظيم، الذي كان يحمل الطعام إلى امرأة لها أطفال في أقصى المدينة، فلما أكلت وأطفالها، قالت له: يرحمك الله، كنت أوْلى بهذا الأمر -تقصد الخلافة والإمارة- من عمر بن الخطاب، وهي لا تعرف أنّه أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب!!.. وهذه الفتاة الصالحة التي نصحت أمها بألا تخلط اللبن بالماء، حتى وإن كان الحاكم والإمام لا يراها وأمها؛ فيكفي أن الله يراها، وأتقنت عملها، فكافأها الله تعالى بأن أنبت من ذريتها خليفة عادلاً حكم الأرض بالخير وفعل الخير في الغير، فكان نتيجة إتقانها، وثمرة أمانتها -إنه عمر بن عبدالعزيز-!!. إن القراءة في مثل هذه النماذج لتجعلنا نستحث الهمّة للتخلق بأخلاقهم، فلنتشبه، فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم؛ إنّ التشبّه بالكرام فلاحُ!

القراءة عن عالم النحل والنمل والعنكبوت خاصة: لننظر كيف تتقن مخلوقات الله تعالى عملها ووظائفها في الحياة، فخلية النحل لا يُمكّن فيها إلا للعاملين المجدّين المُتقِنين، يقول د. عائض القرني :ففي عالم

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري

النَّحْل "لطفُ اللهِ يسري، وخيرُه يجرِي، وعنايتُه تلاحقُ تلكم الحشرة الضئيلة المسكينة، تنطلقُ من خليّتها بتسخيرٍ من الباري، تلتمسُ رزقهَا، لا تقعُ إلا على الطيبِ النقيِّ الطاهرِ، تمصُّ الرحيقَ، تهيمُ بالورودِ، تعشقُ الزَّهْر، تعودُ محمَّلةً بشرابٍ مختلفٍ ألوانُه فيه شفاءٌ للناسِ، تعودُ إلى خليتِها لا إلى خَلِيَّة أُخرى، لا تضلُّ طريقَها، ولا تحارُ في سُبلِها"، وأمّا عَالِم النّمل: ما أرْوع انضباطه وإتقانه لأعماله، بل وتجده يتفنن في تخزين غذائه بما يعطيه القدرة على مقاومة أعباء الحياة، والعنكبوت: يرسم وينسج خيوطه بإتقان وبفنّ رائع للغاية... إنّ الإنسان وهو المخلُوق المكرّم من ربه تعالى، ينبغِي أن يكون أكرم خلُقًا وقيمًا من المخلوقات الأخرى؛ فقيمتنا ليست في الإنسانية فقط؛ بل فيما نحسنه من أعمال ومهام؛ فكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - :-ﷺ"وقيمة كل امرئ ما كان يحسنه".

دوْر المؤَسّسات التربويّة والتعليميّة والرسمية في تنشئة أجيال الأمة على الإتقان نظريا وتطبيقيًّا، وذلك بزرع الرغبة في قلوبهم نحو الإتقان، والعمل على تكريم ومكافأة المتقنين، مكافأة مادية أو معنوية، كما كان يفعل رسول الله -ﷺ- مع أصحابه الكرام، ولا يكون هذا إلا إذا كان الناصح والمربي قدوة في هذا السلوك، ورحم الله من قال: إذا كنت إمامي فكن أمامي!! وكيف يستقيم الظل والعوْد أعْوج!! ولا بُدّ من وضع خطط واضحة ذات أهداف واضحة يتم تجنيد كل وسائل المجتمع لخدمة ذلك.

أن ينال كل عامل حقه فقط: عَن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيّ – ﷺ – قَالَ: اِستَعمَلَ النَّبيُّ – ﷺ – رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا مَا لَكُم وَهَذَا أُهدِيَ إِلَيَّ. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنَى عَلَيهِ ثم قَالَ: أَمَّا بَعدُ، فَإِنِّي أَستَعمِلُ الرَّجُلَ مِنكُم عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلاَّنِي اللهُ، فَيَأتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَا لَكُم وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهدِيَت لِي! أَفَلا جَلَسَ في بَيتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتى تَأتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِن كَانَ صَادِقًا؟! وَاللهِ لا يَأخُذُ أَحَدٌ مِنكُم شَيئًا بِغَيرِ حَقِّهِ إِلاَّ لَقِيَ اللهَ يَحمِلُهُ يَومَ القِيَامَةِ، فَلا أَعرِفَنَّ أَحَدًا مِنكُم لَقِيَ اللهَ يَحمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، وَلا بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَو شَاةً تَيعَرُ " ثم رَفَعَ يَدَيهِ حَتى رُئِيَ بَيَاضُ إِبطَيهِ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ هَل بَلَّغتُ؟ "(١).

البعد عن الظلم والغش وتوسيد الأمر إلى غير أهله والاحتكار والرشوة والواسطة وحرمان العمال من حقوقهم والإساءة إليهم وبيع السلع المعيوبة .....

حال الأمة الآن : إنّ أمم الأرض قد وعت الدرس، فبعد فشل كثير من الأمم وتأخرها، أيقنت أن المكان والمكانة، والقيمة والقامة للعاملين المجدّين المتقنين، وصارت الصناعة المتقنة هي صاحبة البيع والشراء، والسحب والإقبال ..

أما سألنا أنفسنا لماذا يُقبل الناس –إذا أرادوا شراء سلعة مّا- على صناعة بلد معين؟

أما سألنا أنفسنا: لماذا تقدمت اليابان وتميزت صناعاتها، رغم أنها مُزّقت وضُربت بالنووي؟

أما نظرنا من حولنا: أين واقع الأمّة من الصناعات المشهود لها بالإتقان، في أيّ مجال؟

إننا بحاجة ماسة إلى أن نراجع أنفسنا اليوم في مهامنا ووظائفنا وحرفنا وأعمالنا؛ نراجع لنترقّى ونتقدّم؛ فلا مكان ولا مكانة لإنسان تافه -يعيش عالة على غيره- بين الأمم المتقدمة -اللهم إلا التسوّل والخدمة والتبعية والاستعباد- وهذا مما لا يليق بحال من الأحوال بخير أمّة أخرجت للناس .فأتقن عملَك؛ -أخي المسلم- فإن الناقد بصير، فإن عملت العمل لنفسك عاد الخير عليك، وإن كان عائدًا على غيرك؛ فقد أشعت خيرك على غيرِك، وإن رآك غيرُك تتقن عملك يعلّم النّاس الإتقان والعودة إلى الدين الذي علّمك وعوّدك ذلك.

---

(١) متفق عليه

سادساً: نتائج غياب الإتقان عن حياة المسلمين

لا شك أيها الإخوة أنّ غياب هذه القيمة عن حياة أبناء الأُمّـة يجرّ ويلات كثيرة، تعود بالأثر السلبي والسيئ على الأفراد والمجتمعات، بل قل: على الإسلام نفسه، وهو بريء بالتأكيد من تقصير المسلمين.

ومن بين آثار غياب الإتقان عن حياة المسلمين ما يلي :

الإساءة إلى الدين وتشويه صورته وتسويق صورة سيئة عن المسلمين وبلاد المسلمين وإنتاج المسلمين، فتصير الصناعة الخاصة بنا رديئة، ومن ثمّ يساء إلى الدين الذي ننتمي إليه، ولا شك أن مسؤولون عن جزء كبير من هذا التسويق السيئ للإسلام.

تأخر النصر والتمكين: فالنصر يا إخوة لا يتنزّل على الكسالى والخاملين، ولا يتنزّل على المُفَرِّطين؛ بل لا يتنزل إلا على العاملين المصلحين المُجِدّين المُجيدين المحسنين، وصدق الله إذ يقول: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" "الروم: ٤٧" ومن أوائل صفات المؤمنين أنهم يعملون الصالحات، قال سبحانه: "وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" "آل عمران: ٥٧" والتفريط في العمل ظلم وإساءة.

تسلّط أعداء الأُمّة على الأُمّة وأبنائها: فانظر -رحمني الله وإياك- إلى حال الغرب الآن، وكيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه -بعد أن كانوا يتعلمون من الأمّة وعلمائها يومًا من الأيام، ولكن استطاعوا أن ينهضوا ويطوّروا وينتجوا -استطاعوا أن يستغلوا الطاقات، ويوظفوها ويتقنوا أعمالهم بعد غفلة وفشل منهم، وصدق شيخنا الغزالي –رحمه الله- حين قال: "الناس رجلان: رجل نام في النوم، وآخر استيقظ في الظلام"... وبالمناسبة فإنّ تسلّط الأعداء على الاقتصاد أعطاهم قوة في التسلّط على القرارات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والإعلامية والتجارية .

التخلّف الحضاري وغياب التقدّم للمسلمين ومن ثم التبعية للغير، والسير في ركاب الآخرين من الفائقين المتميزين .

انتشار الفوضى، وفقدان النظام، ومن ثم شيوع الظلم والاستبداد وضياع الحقوق.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا

الحمد لله العفو الغفور، لا تَنقضي نعمه، ولا تحصى على مر الدهور، وسع الخلائق حِلمه مهما ارتكبوا من شرور، سبقت رحمته غضبه من قبل خلق الأيام والشهور، يتوب على من تاب ويغفر لمن أناب ويجبر المكسور.

وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الظلمات والنور، خلق سبع سموات طباقًا ما ترى فيها من تفاوت أو فطور، أنزل من السماء ماء فمنه أنهار وآبار وبحور، وفي الأرض قطع متجاورات منها الخصبة ومنها البور، جعل الليل لباسًا والنوم سباتًا وفي النهار نشور، ميز الأشياء بأضدادها فبالظل عُرف الحَرُور، ولولا الأعمى ما اعتبر البصير.. ولولا الحزن ما عُرف السرور، ولولا السقيم ما شكر السليم.. ولولا السَّفه ما مُدح للعقل حضور، ولولا القحط ما طُلب الرخاء.. ولولا الخوف ما كان للأمان ظهور، ولولا الظلم ما كان للعدل فضيلة.. ولولا الفِسْق ما كان للطائعين أجور، ولولا القُبح ما مُدح الجمال.. ولولا الحمائم ما توحَّشت الصقور، ولولا النقص ما عُرف الكمال.. ولولا الجبن ما انتصر الجَسُور، ولولا الطمع ما رجونا، ولولا الخوف ما انتهينا، ولولا الله ما اهتدينا، وإلى الله ترجع الأمور.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله كامل النور، المرفوع ذكره في التوراة والإنجيل وكذلك في الزبور، المزمل بالفضيلة، والمدثر بالطهر والعفاف، والمبرأ من الشرور،

ما كان سبابًا، وما كان صخابًا، ولا دعا بالويل أو الثبور، ما كان خداعًا، وما كان مرتابًا، ولا سلب بالحيلة أهل الدثور، ما لبس الحرير، ولا شيدت لسكناه القصور، ما هيئت له الوسائد، وما مدت لأجله الموائد، ولا امتلأت بألوان طعامه القدور، ما جمع له المال، وما استذل أعناق الرجال، ولا هدمت ببطشه القرى والدور، ما اصطكت بالرعب منه أسنان، وما ارتعدت من هيبته الأبدان، ولا امتلأت بالخوف منه الصدور، ما زيفت له الحقائق، وما رفعت لتحيته البيارق، إذا تكلم وعى سامعوه، وإذا عمل قلَّده تابعوه، بالإخلاص وليس من أجل الظهور، هو الرحمة المهداة، وهو النعمة المسداة، ولو تبِعْنا سنَّته ما اختلطت علينا الأمور، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا بدر البدور، وعلى الصحب والآل ومن تبِع، وقِنا بحبهم كل الشرور.

العناصر

أولا: تعريف الوفاء
ثانيا: فضل الوفاء بالعهد
ثالثاً: أهل الوفاء بالعهد
رابعاً: مجالات الوفاء بالعهود
خامسا: حال الأمة في نقض العهد وأسبابه

الموضوع

أولا : تعريف الوفاء

معنى الوفاء لغةً: الوفاءُ ضد الغَدْر، يقال: وَفَى بعهده وأَوْفَى. بمعنى، ووفى بعهده يفي وفاءً، وأوفى: إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.

معنى الوفاء اصطلاحًا: الوفاء هو: (ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء) .

وقيل: (هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه، والخروج مما يضمنه، وإن كان مجحفًا به). ومعنى الوفاء بالعهد : امتثال ما أمر الله به ورسوله، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله .

ثانيا: فضل الوفاء بالعهد

أمر الله به : قال الله تعالى"وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا "الإسراء

أي: أوفوا بالعهد الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملون بها فإن كلا من العهد والعقد مسؤول عنه صاحبه: هل وفى به أم لا؟

وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة لمن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. " سهم إبليس وقوسه " لعبد الملك القاسم

وقال تعالى: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" "النساء: ٥٨" .

وجوب الالتزام بالعهد: قال تعالى : "فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ "البقرة

عن شداد بن أوس - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال: "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل، وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة" [١]

من خصال العبودية: " العبودية في أربع خصال : الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر عن المفقود[٢]

الأجر العظيم عند الله: قال تعالى "وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"

السؤال عنه يوم القيامة: قال الله -تبارك وتعالى -: " وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا " (الإسراء)

من صفات أهل الجنة المكرمون: قال تعالى(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)"المعارج: ٣٢"

وقال في سورة (المؤمنون) في صفات المؤمنين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون:(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)"المؤمنون: ٨"

من علامات الصادقين المتَّقين : قال تعالى:(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)"البقرة: ١٧٧".

قال تعالى:(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"

ثالثا: أهل الوفاء بالعهد

الوفاء من صفات الله تعالى: قال تعالى": قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠)"

الوفاء من صفات الأنبياء: أ-ابراهيم عليه السلام: قال تعالى" وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى"

ب-إسماعيل -عليه السلام: قال تعالى(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) . سورة مريم

ج-محمد ﷺ: جعل علي بن ابي طالب ينام في فراشه ليرد الأمانات إلى أصحابها.

---

[١] صحيح البخاري

[٢] الزهد الكبير للبيهقي

وعن حذيفة: أن المشركين أخذوه وأباه فأخذوا عليهم أن لا يقاتلوهم يوم بدر فقال رسول الله ﷺ : فذكره . وعن مصعب بن سعد قال: أخذ حذيفة وأباه المشركون قبل بدر فأرادوا أن يقتلوهما فأخذوا عليهما عهد الله وميثاقه أن لا يعينان عليهم فحلفا لهم فأرسلوهما فأتيا النبي ﷺ فأخبراه فقالا إنا قد حلفنا لهم فإن شئت قاتلنا معك فقال: فذكره بلفظ : نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم . وحدثنا أبو الطفيل : حدثنا حذيفة بن اليمان قال : ما منعني أن أشهد بدرا إلا أن خرجت أنا وأبي حسيل قال : فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمدا فقلنا : ما نريده ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لتنصرفن من المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال : انصرفا نفي لهم ... . الخ(١)

الوفاء مِن صفات المؤمنين: قال تعالى "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ"

أ-أبو بكر: عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أَعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا فَلَمْ يَجِى مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيأْتِنَا فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِي: كَذَا وَكَذَا فَحَثَى لِي حَثْيَةً، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا "(٢)

لما كان النبي - ﷺ - أولى الناس بمكارم الأخلاق أدى أبو بكر مواعيده عنه، ولم يسأله البينة على ما ادعاه.

ب-زوجة نبي الله أيوب عليه السلام: يقول الشيخ عائض القرني: الوفاء غالٍ فأين الأوفياء : من أعظم العارفين بالله ، والمستسلمين لقضائه ، والراضين بحكمه ، نبي الله أيوب – عليه السلام – فقد ابتلي بضرٍ في جسده وماله وولده ، حتى لم يبق من جسده مغرز إبرةٍ سليما سوى قلبه ، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه ، غير أن زوجته حفظت ودّه لإيمانها بالله ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة ، لا تفارقه صباحاً ولا مساء إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه ، فلما طال المطال واشتد الحال ، وتم الأجل المقدر ، تضرع إلى رب العالمين ، وإله المرسلين ، وأرحم الراحمين ، وناداه : " أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " ، فعند ذلك استجاب له ، وقبل دعوته ، ولبى نداءه ، فأمره أن يقوم من مقامه ، وأن يضرب الأرض برجله ، ففعل ذلك ، فأنبع الله عيناً ، وأمره أن يغتسل منها ، فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها ، فأذهبت ما كان في باطنه من السوء ، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً ، وذلك كله ثمرة الصبر ، ونتيجة الاحتساب ، وفائدة الرضى (٣)

ومِن عجائبِ الوفاءِ : أتى شابَّان إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان في المجلس، وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمامه، قال عمر: ما هذا؟ قالا: يا أمير المؤمنين، هذا قتل أبانا، قال: أقتلت أباهم؟ قال: نعم قتلته، قال: كيف قتلتَه؟ قال: دخل بجمله في أرضي، فزجرته فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجرًا وقع على رأسه فمات، قال عمر: النفس بالنفس، لا بد أن تُقتل كما قتلت أباهما، وانظروا إلى سيدنا عمر لم يسأل عن أسرة هذا الرجل، هل هو من قبيلة قويَّة أو ضعيفة؟ هل هو من أسرة معروفة ولها أهميَّة في المجتمع؟ كل هذا لا يهم عمر - رضي الله عنه - لأنه لا يجامل أحدًا على حساب شرع الله، ولو كان ابنه القاتل لاقتصَّ منه.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي رفع السماء بلا عمد أن تتركني ليلة؛ لأذهب إلى زوجتي

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣)فوائد من كتاب أسعد امرأة في العالم لعائض القرنى

وأطفالي في البادية، فأُخبِرُهم بأنك سوف تقتلني ثم أعود إليك، والله ليس لهم عائلٌ إلا الله ثم أنا، قال عمر: مَن يكفلك أن تذهب إلى البادية ثم تعود إليَّ؟ فسكت الناس جميعًا؛ إنهم لا يعرفون اسمه ولا داره ولا قبيلته، فكيف يكفلونه؟ وهي كفالة ليست على مائة دينار، ولا على عقار، ولا على ناقة، إنها كفالة على الرقبة أن تُقطع بالسيف.

فسكت الناس وعمر مُتأثر؛ لأنه وقع في حيرة، هل يقدم فيقتل هذا الرجل وأطفاله يموتون جوعًا هناك؟ أو يتركه فيذهب بلا كفالة فيضيع دم المقتول؟ وسكت الناس ونكَّس عمر رأسه والتفت إلى الشابَّين: أتعفوان عنه؟ قالا: لا، مَن قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين، قال عمر: مَن يكفل هذا أيها الناس؟ فقام أبو ذر الغفاريّ بشيبته، وقال: يا أمير المؤمنين، أنا أكفله، قال عمر: هو قَتْل، قال: ولو كان قاتلاً! قال: أتعرفه؟ قال: ما أعرفه، قال: كيف تكفله؟ قال: رأيت فيه سِمات المؤمنين فعلمت أنه لا يكذب، وسيَفِي بعهده إن شاء الله، قال عمر: يا أبا ذر، أتظن أنه لو تأخَّر بعد ثلاث أني تاركك؟ قال: الله المستعان يا أمير المؤمنين، فذهب الرجل وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ، يُهيِّئ فيها نفسه، ويُودع أطفاله وأهله، وينظر في أمرهم بعده ثم يأتي ليُقْتَص منه؛ لأنه قتل، وبعد ثلاث ليالٍ لم ينسَ عمر الموعد، وفي العصر نادى في المدينة: الصلاة جامعة، فجاء الشابَّان، واجتمع الناس، وأتى أبو ذر وجلس أمام عمر، قال عمر: أين الرجل؟ قال: ما أدري يا أمير المؤمنين! وتلفَّت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمرُّ سريعة على غير عادتها، وقبل الغروب بلحظات، إذا بالرجل يأتي، فكبَّر عمر وكبَّر المسلمون معه، فقال عمر: أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك.

قال: يا أمير المؤمنين، والله ما عليَّ منك ولكن عليَّ من الذي يعلم السرَّ وأخفى، ها أنا يا أمير المؤمنين، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية، وجئتُ لأُقتل، وخشيت أن يُقال لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس، فسأل عمر بن الخطاب أبا ذر: لماذا ضمنته؟ فقال أبو ذر: خشيت أن يُقال: لقد ذهب الخير من الناس، فوقف عمر وقال للشابَّين: ماذا تَرَيَان؟ قالا وهما يبكيان: عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه ووفائه بالعهد، وقالوا: نخشى أن يُقال: لقد ذهب العفو من الناس، قال عمر: الله أكبر، ودموعه تسيل على لحيته.

وَفاءُ العَهدِ من شِيَمِ الكرامِ ** ونقضُ العَهدِ من شِيَمِ
وعندي لا يُعَدُّ من السَّجايا ** سِوَى حِفظِ المَوَدَّةِ
وما حُسنُ البِداءَةِ شرطَ حُبٍّ ** ولكن شَرطُهُ حسنُ
وليسَ العهدُ ما ترعاهُ يوماً ** ولكن ما رعَيتَ على
نَقَضتمْ يا كرامَ الحيِّ عهداً ** حَسِبناهُ يدومُ لألفِ عامِ
وكنّا أمسِ نطمعُ في جِوارٍ ** فصرنا اليومَ نقنعُ
جَرَى عهدُ الثّقاتِ على فعالٍ ** وعهدُ الغادرينَ على كلامِ
أنا الخِلُّ الوفيُّ وإنَّ نفسي ** تَفي حقَّ الصَّديقِ على
أراعي حقّهُ ما دامَ حيّاً ** وبعدَ وفَاتِهِ حقَّ العِظامِ

رابعا: مجالات الوفاء بالعهود:

الوفاء بعهد الله: اعلم علمني الله وإياك... أن الله اخذ علينا العهود والمواثيق وامرنا بالوفاء بها ونهانا

عن نقضـها: و أول هذه العهود الإيمان به وإفراده بالعبودية ولا نشـرك به أحد، فقد اخذ الله عليك العهد والميثـاق في عـالم الذر وقد أقررت بذلك يقول سـبحانه (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) "الأعراف: ١٧٢".

وعن أنس -ﷺ -قال: قال رسـول الله ﷺ " يقول الله تعالى أهون أهل النار عذاباً لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أيسر من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك "[١]

فمن آمن بالله وعبده حق عبادته فعلم علم اليقين أنه لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فتوكل واستعان واستغاث ونذر وأحب وأبغض لله فقد أوفى بعهد الله تعالى، ومن أحب غيره أو اعتقده في غيره أنه ينفع ويضر فنذر وخاف واستعان به من الولي أو النبي فقد نقص عهد الله من بعد ميثاقه.

ومن الأمثلة على ذلك

أ-إبراهيم -عليه السلام -فهو إمام الحنفاء وإمام الأوفياء يقول سبحانه وتعالى (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) "النجم" يقول ابن كثير - رحمه الله - قال سعيد بن جبير - " وفي " أي بلغ جميع ما أمر به، وقال ابن عباس " وفي " لله بالبلاغ، وقال سعيد بن جبير " في " ما أمر به، وقال قتادة " وفي " طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قلبه ويشهد له قوله تعالى (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) "البقرة: ١٢٤".

ب-وفاء أنس بن النضـر -ﷺ :- عن أنس بن مالك - ﷺ - قال: غاب عمي أنس بن النضـر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين لئن أشـهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصـنع، فلما كان يوم أحد انكشـف المسـلمون فقال: اللهم أعتذر إليك مما صـنع هؤلاء - يعني أصـحابه - وأبرأ إليك مما صـنع هؤلاء - يعني المشـركين - ثم تقدم فاسـتقبله سـعد بن معاذ فقال: يا سـعد بن معاذ الجنة، ورب الكعبة إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما أصنع، قال أنس: فوجدنا به بضـعاً وثمانين ضـربة بالسـيف وطعنة برمح أو رمية بسـهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)"الأحزاب: "[٢]

ج-وفاء أعرابي: هذا أعرابي آمن بالنبي - ﷺ - وبايعه على الجهاد في سـبيل الله فعن شـداد بن الهاد - ﷺ - أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبيﷺ - - فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي - ﷺ - أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي - ﷺ - سبياً فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال ما هذا؟ قالوا: قسـم قسـمه لك النبي - ﷺ - فأخذه فجاء به إلى النبي - ﷺ - فقال: ما هذا؟ قال: " قسـمته لك "، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنني اتبعتك على أن أرمي ها هنا - وأشـار إلى حلقه - بسـهم فأموت فأدخل الجنة فقال " إن تصـدق الله يصـدقك " فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي - ﷺ - أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه " ثم كفنه النبي - ﷺ - في جبة النبي - ﷺ - ثم قدمه فصـلى عليه، فكان فيما ظهر من صـلاته " اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك "[٣]

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح الترغيب والترهيب

الوفاء مع رسـول الله ﷺ: اعلم علمني الله وإياك: أن العبد إذا نطق بشـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وجب عليه أن يفي بمضمون تلك الشهادة لأن الشهادة إقرار وتعهد من العبد أن لا إله سوى الله تعالى الذي أخذه علينا في عالم الذر، والآن نقف مع الوفاء بعهد رسوله ﷺ فاعلم زادك الله علماً: أن الوفاء مع النبي - ﷺ - إنما يكون بطاعته وإتباعه والتمسك بسنته والعض عليها بالنواجذ فإن طاعته من طاعة الله يقول سبحانه وتعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) "النساء: ٨٠" بل إنه سبحانه جعل طاعته من موجبات الهداية فقال سبحانه (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) "النور: ٥٤".

واعلم أنك لن تحقق الوفاء بعهد الله إلا إذا حققت الوفاء مع نبيه -ﷺ- لذا قال النبي - ﷺ - كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" (١)

الوفاء مع الناس: اعلم زادك الله علماً أن الوفاء بعهد الله ورسوله يقتضي الوفاء مع عباد الله ولقد أمرنا سبحانه بذلك في كتابه فقال سبحانه (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ *وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) "النحل"

فالله سبحانه أمرنا بالوفاء سواء كانت هذه العهود بين المسلم وربه أو كانت بينه وبين رسوله - ﷺ - كالتي كانت بين النبي والأنصـار، أو كانت بينه وبين أخيه المسـلم، أو كانت بينه وبين الكافرين فالآية عامة تشمل جميع تلك العهود والمواثيق.

وعهد الله: هو العهد الذي يوثق باسمه ويقام تحت سلطانه ونقض العهد ونكثه وعدم الوفاء به، والذي يعاهد قد جعل الله هو الضامن لما كفل من عهد...

والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس وبدون هذه الثقة لا تستقر الحياة ولا يعم الرخاء ولا يسود الأمن والسلام.

وإنه لجرم عظيم أن يعطي الإنسان عهداً باسم الله ويتخذ من هذا الاسم الكريم مدخلاً إلى ثقة الناس به واطمئنانهم إليه، ثم يكون منه غدر وخيانة.

وتأمل أخي المسلم إلى ذلك المثل الذي ضربه الله للعهود ولمن نقضها، حيث أنه سبحانه شبه الذي ينقض العهود بامرأة خراق إلا عقل لها ولا رأى لها فهي تغزل حتى إذا أتمت غزلها نقضته مرة أخرى فهل يرضى المسلم العاقل أن يكون مثل تلك المرأة الحمقاء؟!

ثم أوضح سبحانه أنه يختبرنا بتلك العهود فقال (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ) "النحل: ٩٢"

قال ابن جرير أي بأمره إياكم بالوفاء بالعهد (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) "النحل: ٩٢" فيجازى كل عامل بعمله من خير وشر.

واسمع إلى تلك الوصية الربانية التي يوصيك الله فيها بالوفاء بالعهد وينهاك أن تنقض العهد من أجل عرض من الدنيا قليل فيقول سبحانه (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) "النحل: ٩٥، ٩٦

الوفاء للزوجة: اعلم علمني الله وإياك: أن العهود التي ينبغي لك الوفاء بها مع عباد الله كثيرة منها: الوفاء بعقد الزواج والوفاء بشروطه والوفاء للزوجة وكذا الزوج فإنه من أسمى العقود والعهود وقد

---

(١) صحيح البخاري

سماه سبحانه وتعالى ميثاقاً غليظاً وحث على الوفاء به فقال سبحانه (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا *وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) ، فليكن الزوج وفيّا لزوجته يحسن صحبتها ويعرف حقها فهي وصية النبي - ﷺ - لجميع الأزواج فقال استوصوا بالنساء خيراً " فكم خدمتك زوجتك وكم سهرت من أجلك، وكم شقيت معك، وكافحت لتبني حياتك ومستقبلك، فاعرف لها فضلها واحفظ لها جميلها، وكن وفيا لها، لا تغدر بها ولا تخنها ولا تضيعها.

واقتد بالنبي - ﷺ - فلقد كان المثل الأعلى في الوفاء لأزواجه تزوج خديجة - رضي الله عنها - فأقام معها خمساً وعشرين سنة لم يتزوج عليها حتى ماتت، وكان بعد موتها يذكرها بالجميل ويثنى عليها ويبر أهلها وخلائلها وفاء لها، حتى غارت عائشة - رضي الله عنها " ما غرت على أحد من نساء النبي - ﷺ - - ما غرت على خديجة - رضي الله عنها، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها ربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد"(١)

وفاء الزوجة لزوجها: ولتكن المرأة وفيه لزوجها، فإن فضله عليها عظيم، وحقه عليها كبير، حتى قال النبي - ﷺ - لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو أنه من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسه ما أدت حقه"(٢)

فحسب المرأة أن تحاول أن تقترب من الكمال وإن لم تبلغه حسبها أن تجتهد في الوفاء لزوجها وإن لم تف بحقه ولتحفظ المرأة زوجها في نفسها وماله ولتجتهد في تجميل صورتها وتحسين هيئتها لذا قال النبي - ﷺ - " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب -الجنة إن شئت "(٣)

ومن أروع أمثلة الوفاء من الزوجة ما حفظه التاريخ لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان - رحمها الله - حيث أن زوجها عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين رغبها بالتبرع بحليها إلى بيت مال المسلمين فتبرعت به، ثم لم يلبث عمر أن مات، ولم يترك لها ولا لأولادها شيئاً، فجاء مسئول بيت المال، فقال لها: إن حليك ومجوهراتك كلها موجودة احتفظت بها لك لمثل هذا اليوم، ولم أودعها بيت المال وقد جئت استأذنك لآتيك بها فقالت: لقد تبرعت بها لبيت المال طاعة لأمير المؤمنين في حياته، وما كنت لأطيعه حياً واعصيه ميتاً (٤)

الوفاء بالدين والوفاء بموعده: فالمسلم يجب عليه أن يتصف بصفة الوفاء مع إخوانه ويحذر من مخالفة الوعد ونقض العهد. لأن الله نهانا عن إخلاف الموعد وعدم الوفاء بما نقول بل جعل ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الآثام فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) "الصف: ٢، ٣"

فالذي يخلف الوعد فيه صفة من صفات المنافقين قال رسول الله ﷺ" أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر "(٥)

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح ابن ماجة
(٣) مشكاة المصابيح
(٤)جوامع الكلم في القرآن
(٥) صحيح البخاري

وعن أبى هريرة عن رسول الله - ﷺ -: أنه ذكر أن رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار قال ائتني بالشهود أشهدهم عليك قال: كفى بالله شهيدا قال: فأتني بكفيل قال: كفى بالله كفيلا قال: فدفعها إليه إلى أجل مسمى: فخرج في البحر وقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها الدنانير وصحيفة منه إلى صاحبها ثم سد موضعها ثم أتى بها البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنى تسلفت من فلان ألف دينار وسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألني شهودا فقلت: كفى بالله شهيدا فرضى بك وقد جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أجد مركبا وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذى كان سلفه رجاء أن يكون مركبا قد جاء بماله فإذا هو بالخشبة فأخذها لأهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل فأتاه بألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه فقال: هل كنت بعثت إلى بشيء قال: نعم قال: فإن الله عز وجل قد أدى عنك فانصرف بالألف دينار راشدا" [1]

الوفاء بالعهود للأعداء: ومن صور الوفاء التي حث عليها الله وأمر بها الوفاء مع العدو وعد الغدر والخيانة، يقول المولى سبحانه وتعالى (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) "التوبة: ٤".

ويقول صاحب المنار " والآية تدل على أن الوفاء بالعهد من فرائض الإسلام ما دام العهد معقوداً، وعلى أن العهد المؤقت لا يجوز نقضه إلا بانتهاء وقته، وأن شرط وجوب الوفاء به علينا محافظة العدو المعاهد لنا عليه بحذافيرها من نص القول وفحواه و الحنه المعبر عنها في هذا العصر بروحه فإن نقض شيئاً ما من شروط العهد أو أدخل بغرض ما من أغراضه عدَّ ناقضاً له إذ قال (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا) "التوبة: ٤" ولفظ شيء أعم الألفاظ وهو نكرة في سياق النفي فيصدق بأدنى إخلال بالعهد "

خامسا: حال الأمة في نقض العهد وأسبابه

- نقض العهد مع الله تعالى؛ بهجر طاعته، واتِّباع سبُل الغواية، والإعْراض عن الهداية، والانحِدار في جرف المعْصية، واتباع الأهواء والشَّهوات، وخذْلان دينِه حين المطالبة بالنُّصرة، وموالاة أعدائه، ومحاربة أوليائه، ونحو ذلك ممَّا يضادّ الإيمان وكماله، ويظهر على قول الإنسان وعمله.
- خلْع يد الطَّاعة عن سنَّة رسول الله - ﷺ - واستِدْبار أمرِه ومُقابلته بالإعراض عن العمَل، بالإضافة إلى التولِّي عن أرض معركةٍ طُلِب فيها نُصرة سنَّته وهدْيه - ﷺ.
- نقض العهد مع الزَّوجة والأوْلاد، بالتَّقصير في الحقوق وعدم أدائها، وعدم رعايتهم في دينهم وأخلاقهم، وتعريضِهم للفتن السلوكيَّة والأخلاقيَّة، وتيْسير سبُل المعاصي لهم في ظاهِرهم وباطنهم، ممَّا يعدُّ خيانة للأمانة، ونقضًا لإبرام التَّربية والتَّهذيب والرِّعاية، وإخفاقًا في اختبار أعدَّه الله - تعالى - ليبلوَ به وفاء مدَّعي الإيمان؛ مصداقًا لقوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) "الأنفال".
- ما يقع فيه الكثير من المعلّمين مع تلاميذِهم، من عدَم الوفاء بميثاق التَّربية والتَّعليم، فترى التَّقصير في التَّدريس، وعدم حسن العرْض للموادّ، وقضاء وقت الحصَّة الدّراسيَّة فيما لا يفيد الطَّالب، فضلاً عن تقْصير المعلِّم في رعاية الطَّالب ونُصْحه وإرْشاده، فلا جرم أن يكون الطَّالب على شاكلة أستاذِه أيضًا

---

[1] صحيح البخاري

منغمسًا في نقْض العهد، وقطْع أوصال الطَّاعة والولاء، والاحترام والتَّقدير، والشُّكْر والعرفان والتَّكريم، وصدَق الله - سبحانه -: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

• ما نراه ونشاهده من صنيع الموظَّفين في كثير من الدَّوائر الحكوميَّة من تقصير في الأعمال، وعدم القيام بِمصالح النَّاس، والبطْء في إنهاء الإجراءات، والتَّشديد والتَّعسير والتَّلميح للرَّشاوى من طرف خفيّ، فإنَّ هذا من نقْض العهْد مع العمل وميثاق الشَّرف.

فانظر - رحِمني الله تعالى وإيَّاك - إلى هذه الآفة القديمة الجديدة التي تفشَّت وانتشرتْ وأظلَّت بغبارها الأسود على معاملات المسلمين، واتّفاقاتهم في شتَّى الميادين، ممَّا يؤدِّي إلى التَّأخُّر في ذيل الرَّكب، والعجْز عن اللّحاق بحضارة سلَفِنا ومجْدِهم.

ولأنّ كلَّ داء له أسباب عرَفها مَن عرفها وجهِلها مَن جهلها، فإنَّ هذا المرض العضال حريّ بأن نبحث عن أسبابه ودوافعه، ونُحاول وضْع اليد على موطن الجرح مع حُسن تشْخيص؛ للقضاء عليه والتخلُّص من أعراضه وبقائه، وإذا أخفق المرْء في علاجه، فلا أدْنى من تَحجيمه وتقْويضه، إمَّا في الفرد وإمَّا في المجتمع.

فمن الأسباب التي يُمكن أن تكون الدَّافع لنحْو هذا السّلوك الخبيث:

أصْل الجبلَّة والخلقة؛ فإنَّ الإنسان ظلوم جهول، فظُلْمه بسبب جهْلِه، فأمَّا الظلم فالانتِقاص، وخُلْف الوعد انتِقاص، وأمَّا الجهل فنقْص، وهو متوافق مع مفهوم نقض العهد.

عدم التحلّي والتزيُّن بزينة الرّسالة، وضوء النبوَّة، وجواهر إكليل السنَّة، ولآلئ القرآن الكريم.

عدم التصوّر السليم؛ فإنَّ المرء لو تصوَّر قُبْح هذا الصَّنيع عقلاً لما أقْدم عليه، فضلاً عن تصوّر قبْحِه شرعًا.

ضعف الهمَّة الدَّافعة إلى التَّغيير والتحوّل من حالٍ إلى حال، وهذا عنصر يَحتاج لبحث بمفرده؛ فإنَّ دفع الهمَّة يحيطه جملة من العوامل لتشخيصه ثمَّ استئصاله؛ كالرّكون لأصْل الطَّبع، والاستِسْلام للفتور، والتَّأثّر بالبيئة المحيطة المثبطة، بالإضافة إلى تسلُّل روح اليأس في بعض الأحايين.

الهوى والشَّهوة؛ فالهوى يحثُّ على مخالفة مستقيم المنقول والمعْقول، والشَّهوة تدفع لهضْم حقِّ الآخرين في سبيل إشْباع الرَّغبات الشَّخصيَّة والأغراض الخاصَّة.

فهذه جملة من الأسباب الَّتي يجب على المرْء الوقوف معها، والتخلّي عنها، والتحلّي بضدِّها؛ ليتخلَّص من خُلُق ذميم لا يليق بعباد الله الموحّدين، وعلاجها يسير بأمر الله - تعالى - من خلال ربْط النَّفس بخالقها وبارئِها وشرْعِه ووحْيه، والتشبُّع من القرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّة، والتشبّه بالعالمين العامِلين من سلفنا الصالح - ﷺ - وإدْراك مدى خطورة هذا الأمر على المجْتمعات وكيانها، وأنَّه هضمٌ لحقوق الآخرين في صورة لا تُفْضي إلاَّ إلى خسران مبين على الخاصَّة والعامَّة، فيجب أن تُمحى من مُجتمعاتِنا المسلمة.

خامساً: عقوبة نقض العهد

البغض الشديد لناكث العهد: قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون "الصف. المقت: أشد البغض. وفي الآية وعيد شديد لمخالف الوعد، وناكث العهد.

من علامات النفاق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ

أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ " [١] ، وزاد في رواية " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ " [٢] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله - ﷺ - قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" [٣]

والنفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو نوعان: اعتقادي، ... وعملي. فالاعتقادي: هو النفاق الأكبر، وصاحبه مع الكفار مخلد معهم في النار. قال الله تعالى: "المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم" "التوبة (٦٧، ٦٨) " . وقال تعالى: "إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يرآؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا" "النساء (١٤٢) " إلى آخر الآيات.

والنفاق العملي: هو النفاق الأصغر وهو من كبائر الذنوب.

يقول الشيخ عائض القرني في: كما تدين تُدان عجباً لنا ! نريدُ من الناسِ أن يكونوا حلماء ونحنُ نغضبُ ، ونريدُ منهم أن يكونوا كرماء ونحن نبخلُ ، ونريد منهم الوفاء بحسن الإخاءِ ، ونحن لا نؤدي ذلك "[٤]

كبيرة من الكبائر: قال ابن حجر الهيتمي : عدم الوفاء بالنذر سواء أكان نذر قربة أم نذر لجاج وعد هذا ظاهر لأنه امتناع من أداء حق لزمه على الفور ، فهو كالامتناع عن أداء الزكاة ، إذ الصحيح عندنا أن النذر يسلك به مسلك واجب الشرع في أحكامه فكذلك يسلك به مسلك الواجب في عظيم إثم ترك ما يترتب عليه من أن تركه كبيرة وفسق [٥]

جعل الله تعالى ناقض العهد بمنزلة الحيوانات : قال تعالى: " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ " "الأنفال: ٥٥ - ٥٨".

من صفات أهل النار: كما في قوله - جلَّ وعلا -: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) "الرعد: ٢٥"

من صفات الفاسقين الخارجين عن طاعة الله وشريعته: قال تعالى(وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) "البقرة: ٢٦ - ٢٧"، وجعله الله - تعالى - من صنيع المنافقين كما في آية التَّوبة: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) "التوبة: ٧٥ - ٧٧".

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح البخاري
(٤)كتاب لا تحزن
(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر - ابن حجر الهيتمي.

الإيثار خلق إسلامي وقيمة إنسانية

الحمد لله العلي الكبير، يخلُق ما يشاء ويختار، وما كان للإنسان في الخلق تخيير، رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات ليبلوهم، فهذا غني وذاك فقير، خلق الشر وقدره، وخلق الخير وقدره، وما لأحد في الأمور تدبير، أرسل رسله تترى،(وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)"فاطر: ٢٤"، فمَن أراد الهدى رُزق في سبيله التسخير، ومن اختار الضلالة وجد في طرقها التيسير، نحمَده تبارك وتعالى الحمد الكثير، ونعوذ بنور وجهه الكريم من الخسف والتدمير، ونسأله النصر والولاية؛ فهو نعم المولى ونعم النصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله العليم القدير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير،(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)"الأنعام: ١٠٣"، يُحوّل ولا يَتحول، ويغيّر ولا يعتريه تغيير، يبدأ الخلق ثم يعيده، (وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) "التغابن: ٧"، كتب السعادة لمن أطاعه ووقاه عذاب السعير، وحقت على الكافرين الشقاوة، وما زادهم غير تخسير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، النور المبين ﷺ والسراج المنير، أُعطيَ مجامع الكلم فما أخطأ التعبير، أنزل الناس منازلهم فوقر منهم الكبير، وخاطبهم على قدر عقولهم ورحم منهم الصغير، ما رد منهم سائلًا قطُّ، بل جاد بالقليل وبالكثير، هجر الفواحش كلها، وعفَّ عن الحَرام وهو صغير، ذاق طعم اليُتْم فما حسد ولا حقد على من لبس الحرير، لبس من الثياب الخشن وما نام على الوثير،

وربط الأحجار على بطنه وما شبع من خبز الشعير، دعا قومه لنجاتهم فتطاول عليه كل مَهِين وحقير، ودارت الأيام دورتها وبرك الطغاة بروك البعير، فأشار إليهم إشارة راحم ولم يعتب ولم يطلب التبرير، ومسح الجراح برأفة ودموع ندمهم على الخدود غزير، فالتأم شمل الجميع وقد علا صوت المؤذن على صوت النفير، الله أكبر الله أكبر الله أكبر فوق كل كبير.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى أصحابه ما تردد نفَس بين شهيق وزفير، وكلما عسعس الليل وتنفس الصبح وفاح من الورود عبير.

العناصر

أولاً: تعريف الإيثار ودرجاته ثانياً: فضل الإيثار

ثالثاً: مواقف خالدة في الإيثار

رابعاً: بعض الوسائل التي تعين على اكتساب الإيثار وترسيخه

الموضوع

أولا: تعريف الإيثار ودرجاته

الإيثار خير دثار، وأفضل شعار، ودليل على رسوخ الإيمان والثقة بما عند الرحمن، وهو علامة حب المرء لإخوانه، وبرهان على سلامة النفس من دغل الأثرة والجشع والأنانية، فالمؤمن الحقيقي والمحب والصادق لإخوانه هو الذي يجود بما في يديه وهو محتاج إليه، يجوع ليشبع غيره، ويكد ليرتاح إخوانه، ويسهر لينام أحبابه.

الإيثار لغة: الإيثار لغة مصدر من آثر يؤثر إيثاراً بمعنى التقديم والاختيار والاختصاص، ومن ذلك قولهم: استأثر بالشيء: استبد به وخص به نفسه، واستأثر الله بفلان إذا مات ورجي له الغفران، وآثر على نفسه بالمد من الإيثار وهو الاختيار، ومنه الأثرة بمعنى التقدم والاختصاص، ويستعار (الأثر) للفضل والإيثار للتفضيل، وآثرت فلانا عليك بالمد فأنا أوثره.

الإيثار اصطلاحاً: (الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الأخوة).

وقال ابن مسكويه: (الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه)

قال القرطبيّ: الإيثار هو تقديم الغير على النّفس في حظوظها الدّنيويّة رغبة في الحظوظ الدّينيّة، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبّة، والصّبر على المشقّة فهو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس على حاجته، برغم احتياجه لما يبذله، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا.

الفرق بين الإيثار والسخاء والجود: ذكر ابن القيم رحمه الله فروقاً بين كل من السخاء والجود والإيثار مع أنها كلها أفعال بذل وعطاء، قال ابن القيم رحمه الله: وهذا المنزل – أي الإيثار-: هو منزل الجود والسخاء والإحسان وسمي بمنزل الإيثار لأنه أعلى مراتبه فإن المراتب ثلاثة:

إحداها: ألا ينقصه البذل ولا يصعب عليه فهو منزلة السخاء.

الثانية: أن يعطي الأكثر ويبقي له شيئاً أو يبقى مثل ما أعطى فهو الجود.

الثالثة: أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه وهي مرتبة الإيثار

درجات الإيثار: لقد قسم بعض العلماء الإيثار إلى مراتب ودرجات، فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

الأولى: أن تُؤْثِرَ الخلقَ على نفسك فيما لا يخْرُمُ عليك دِينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يُفسد عليك وقتًا، يعني أن تُقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل: أن تطعِمهم وتجوع، وتكسوهم وتعرَى، وتسقيهم وتظمأ، بحيثُ لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلافٍ لا يجوز في الدين، وكلُّ سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثِر به أحدًا، فإن آثرت به فإنما تُؤْثِر الشيطان على الله وأنت لا تعلم.

الثانية: إيثارُ رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن ، وإيثار رضا الله عز وجل على غيره، هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلْق، وهي درجة الأنبياء، وأعلاها لِلرسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا ﷺ، وعليهم، فإنه قاومَ العالم كُله وتجرد للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومةُ لائم، بل كان همُّه وعزْمُه وسعيه كله مقصورًا على إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه؛ حتى ظهر دين الله على كل دين، وقامت حجته على العالمين، وتمت نعمتُهُ على المؤمنين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاد، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، فلم ينل أحدٌ من درجةِ هذا الإيثار ما نالَ، صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وقد جرت سنة الله التي لا تبديل لها أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته: أن يُسخط عليه من آثر رضاه، ويخذُله من جهته، ويجعل محنته على يديه، فيعود حامدُهُ ذامًّا، ومن آثر مرضاته ساخطًا، فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل، وهذا أعجز الخلقِ وأحمقهم.

قال الشافعي رحمه الله: " رضا الناس غايةٌ لا تدرك فعليك بما فيه صلاحُ نفسك فالزمهُ"، ومعلومٌ أن لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره، ولقد

أحسن من قال:

فليتك تحلُو والحياةُ مريرَةٌ ** وليتك ترضى والأنامُ غِضَابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ** وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صحَّ منك الودَّ فالكلّ هينٌ ** وكل الذي فوق التراب تراب

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلمت الإيثار إليه، فإذا آثرت غيرك بشيء؛ فإن الذي آثره هو الحق لا أنت فهو المؤثر على الحقيقة، إذ هو المُعطي حقيقةً.

ثانياً: فضل الإيثار

من كمال الإيمان: وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "(١)

أمر به النبي ﷺ: عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة فجعل يضرب يمينا وشمالا فقال رسول الله ﷺ : " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له " قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل " (٢)

الِاهْتِمَامُ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْإِيمَانِ: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ "(٣)

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (٤)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:" بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ؛ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ. قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ."(٥)

أنهم المفلحون في الدنيا والآخرة: قال الله تبارك وتعالى: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "الحشر: ٩"

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح مسلم

قال الطبري: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَهُوَ يَصِفُ الأَنْصَارَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ. مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يَقُولُ: وَيُعْطُونَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالَهُمْ إِيثَارًا لَهُمْ بِهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. يَقُولُ: وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ إِلَى مَا آثَرُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ(١)

وقال ابن كثير: أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك(٢)

ويقول ابن تيمية: (و أما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة فإنه ليس كل متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يحب مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة) .

الوصول إلى البر: قال الله تعالى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ "آل عمران: ٩٢".

يقول السعدي: يعني: (لن تنالوا وتدركوا البر، الذي هو اسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها. فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورقتها، ومن أدل الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلت النفوس على قوة التعلق بها، فمن آثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالا وأخلاقا، لا تحصل بدون هذه الحالة) (٣).

محبة الله تعالى: عن أبي هريرة- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله قال: "من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به، ويده الّتي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي بها . وإن سألني لأعطينّه، وإن استعاذ بي لأعيذنّه، وما ترددّت عن شيء أنا فاعله ترددّي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته" (٤)

معنى قوله: "آذنته بالحرب: أي أعلمته بها ،"كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها" : قال الحافظ في الفتح: وقد استشكل كيف يكون البارئ جل وعلا سمع العبد، وبصره ... إلخ. والجواب من أوجه: أحدها: أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى: كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح وقال الخطابي: هذه أمثال، والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها، بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله، وإلى هذا نحا الداودي ومثله الكلاباذي (٥).

يبقى جزاؤه عند الله تعالى: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ ". (٦)

---

(١) تفسير الطبري
(٢) تفسير ابن كثير
(٣) تفسير السعدي
(٤) صحيح البخاري
(٥) فتح الباري
(٦) متفق عليه

إيثار الميت ورثته بماله: عن أبي هريرة- ﷺ- عن رسول الله ﷺ، قال: أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَيُّكُمْ مَا تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيْعَةً فَادْعُونِي فَأَنَا وَلِيُّهُ وَأَيُّكُمْ مَا تَرَكَ مَالاً فَلْيُؤْثَرْ بِمَالِهِ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانَ "(١).

ما نقص مال من صدقة: قال تعالى " ما عندكم ينفد وما عند الله باق"

وعن عائشة أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : " ما بقي منها ؟ " قالت : ما بقي منها إلا كتفها قال : " بقي كلها غير كتفها " (٢)

إيثار الآخرة على الدنيا: قال تعالى" فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)"

وقال تعالى" قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)"

تيسير الله عليه في الآخرة : عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ....." (٣)

الوقاية من النار ودخول الجنة: قال تعالى"وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)"الإنسان

عن عائشة-رضي الله عنها- أنّها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كلّ واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقّت التّمرة الّتي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الّذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: "إنّ الله قد أوجب لها بها الجنّة أو أعتقها بها من النّار") (٤)

الإيثار خُلق الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام: فإيثار رضا الله عز وجل على غيره ولو أغضب الخلق كلهم هو درجة الأنبياء وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، فإبراهيم عليه السلام سأل ربه الولد الصالح، فوهب له إسماعيل عليه السلام، فامتحنه الله بذبحه، فما كان من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا أن استسلم لأمر ربه فأقدم على ذبح ولده - الذي رزق به على كبر وهو وحيده حينذاك - إيثاراً لمحبة الله على محبة الولد، فكافأه الله سبحانه وتعالى عندما أراد تنفيذَ هذا الفعل بأن فداه بذبح عظيم. قال تعالى: "وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩)رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.....

علّق الإمام ابن القيم على هذه الآيات فقال: "لم يكن المقصودُ ذبحَ الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب، فلما بادر الخليل إلى الامتثال، وقدم محبة الله على محبة ولده، حصل المقصود فرُفع الذبح وفُدي الولد بذبح عظيم.

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم

النهى عن الشـــح: عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ" (١)

الشـــح: أشـــد البخل وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع حرص، وقيل: البخل، في أفراد الأمور وأحادها، والشح عام، وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف. انتهي. (فإن الشح أهلك من كان قبلكم) كان سببًا في هلاكهم حرصوا على الدنيا (حملهم على أن سفكوا دماءهم) سفك الدم صبّه، (واستحلوا محارمهم) صيَّروا ما حرم الله عليهم حلالاً.

وقال تعالي(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) "الحشر: ٩".

الشيطان يعد بالفقر: قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) "البقرة"

ثالثاً: مواقف خالدة في الإيثار

يوسف عليه السلام: قال تعالى: "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ (٨٩) قالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ (٩١) قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)"يوسف.

ولقد سجل التاريخ بأحرف من نور مواقف خالدة للمسلمين بلغوا فيها المرتبة العالية والغاية القصوى من الإيثار:

الرسول الله ﷺ: أخذ رسول الله ﷺ مِن جميع الأخلاق أوفر الحظِّ والنَّصيب، فما مِن خُلُقٍ إلَّا وقد تربَّع المصطفى ﷺ على عرشه، وعلا ذِروة سَنَامه، ففي خُلُق الإيثَار كان هو سيّد المؤثرين وقائدهم، بل وصل الحال به ﷺ أنَّه لم يكن يشبع -لا هو ولا أهل بيته- بسبب إيثاره ﷺ، قال ابن حجر: (والذي يظهر أنَّه ﷺ كان يؤثر بما عنده، فقد ثبت في الصَّحيحين أنَّه كان -إذا جاءه ما فتح الله عليه مِن خيبر وغيرها مِن تمر وغيره- يدَّخر قوت أهله سنة، ثمَّ يجعل ما بقي عنده عُدَّة في سبيل الله تعالى، ثمَّ كان مع ذلك -إذا طرأ عليه طارئ أو نزل به ضيف- يشير على أهله بإيثارهم، فربَّما أدَّى ذلك إلى نفاد ما عندهم أو معظمه)

وعن سهل بن سعد، قال: ((جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم، هي الشَّملة منسوج في حاشيتها. قالت: يا رسول الله، إنّي نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النَّبيُّ ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنَّها إزاره، فقال رجل مِن القوم: يا رسول الله، اكسنيها. فقال: (نعم). فجلس النَّبيُّ ﷺ في المجلس، ثمَّ رجع فطواها، ثمَّ أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إيَّاه، لقد علمت أنَّه لا يردُّ سائلًا. فقال الرَّجل: والله ما سألته إلَّا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه))(٢)

وعن أبي هريرة- ﷺ- أنّه كان يقول: الله الّذي لا إله إلّا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الّذي يخرجون منه فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلّا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثمّ قال: "يا أبا هرّ" قلت: لبّيك رسول الله قال: "الحق"

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري

ومضى. فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح فقال: "من أين هذا اللّبن؟" قالوا: أهداه لك فلان- أو فلانة- قال: "أبا هرّ" قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: "الحق إلى أهل الصّفّة فادعهم لي" . قال- وأهل الصّفّة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها- فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللّبن في أهل الصّفّة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللّبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللّبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدّ فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: يا أبا هرّ، قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: "خذ فأعطهم" . فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النّبيّ ﷺ وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسّم فقال: "أبا هرّ" ، قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: "بقيت أنا وأنت" ، قلت: صدقت يا رسول الله. قال: "اقعد فاشرب" ، فقعدت فشربت. فقال: "اشرب" ، فشربت فما زال يقول: "اشرب" . حتّى قلت: لا والّذي بعثك بالحقّ ما أجد له مسلكا. قال: "فأرني" فأعطيته القدح فحمد الله وسمّى وشرب الفضلة)[١]

لا يأوون: قال ابن حجر: "والأكثر إلى بدل على" والمعنى ليس لهم أهل ولا مال يأوون إليه.

ضيف رسول الله: فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن: " ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: " من يُضيف هذا ؟ " فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك (أوقديه) ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: " ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما، فأنزل الله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)"الحشر:"[٢]

أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لما طُعِن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﷺ قال لابنه عبد الله: (اذهب إلى أُمِّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فقل: يقرأ عمر ابن الخطَّاب عليك السَّلام، ثمَّ سلها أن أُدْفَن مع صاحبيَّ. قالت: كنت أريده لنفسي، فلأوثرنَّه اليوم على نفسي. فلمَّا أقبل، قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهمَّ إليَّ من ذلك المضجع، فإذا قُبِضت فاحملوني، ثمَّ سلِّموا، ثمَّ قل: يستأذن عمر بن الخطَّاب، فإن أذنت لي فادفنوني، وإلَّا فردُّوني إلى مقابر المسلمين)[٣]

ابن عمر : مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا -أول ما جاء العنب- فأرسلت صفيَّة -يعني امرأته- فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتَّبع الرَّسول السَّائل، فلمَّا دخل به، قال السَّائل: السَّائل. فقال ابن عمر: أعطوه إيَّاه. فأعطوه إيَّاه. ثمَّ أرسلت بدرهم آخر، فاشترت عنقودًا، فاتَّبع الرَّسول السَّائلُ، فلمَّا دخل، قال السَّائل: السَّائل. فقال ابن عمر: أعطوه إيَّاه. فأعطوه إيَّاه. فأرسلت صفيَّة إلى السَّائل، فقالت: والله إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثمَّ أرسلت بدرهم آخر فاشترت به، واشتهى يومًا سمكةً، وكان قد نَقِهَ مِن مرضٍ فالتُمِسَت بالمدينة، فلم توجد حتى وُجِدَت بعد مُدَّةٍ، واشْتُرِيَت بِدرهم ونصفٍ، فشُوِيَت وجيء بها على رغيف، فقام سائلٌ بالباب، فقال ابن عمر للغلام لفَّها برغيفها، وادفعها إليه. فأبى الغلام، فردَّه وأمره بدفعها إليه، ثمَّ جاء به فوضعها بين يديه، وقال: كُلْ هنيئًا -يا أبا عبد الرَّحمن-، فقد أعطيته درهمًا وأخذتها. فقال: لفَّها وادفعها إليه، ولا تأخذ منه الدِّرهم[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح البخاري (٤) تاريخ دمشق لابن عساكر

جابر بن عبد الله: عن جابر بن عبد الله- ﷺ- قال: إنّا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النّبيّ ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: "أنا نازل" ثمّ قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيّام لا نذوق ذواقا فأخذ النّبيّ ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت في النّبيّ ﷺ شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشّعير حتّى جعلنا اللّحم بالبرمة . ثمّ جئت النّبيّ ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافيّ قد كادت أن تنضج. فقلت: طعيّم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قال: "كم هو؟" فذكرت له فقال: "كثير طيّب" قال: "قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التّنّور حتّى آتي، فقال: "قوموا" . فقام المهاجرون والأنصار فلمّا دخل على امرأته. قال: ويحك جاء النّبيّ ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: "ادخلوا ولا تضاغطوا" . فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللّحم ويخمّر البرمة والتّنّور إذا أخذ منه، ويقرّب إلى أصحابه ثمّ ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتّى شبعوا وبقي بقيّة. قال: "كلي هذا وأهدي فإنّ النّاس أصابتهم مجاعة" (١)

ومعنى : الكدية: القطعة الشديدة الصلبة من الأرض ، معصوب: مربوط ، كثيبا: رملا. أهيل: غير متماسك. وأهيم بمعنى أهيل. العناق: أنثى المعز. البرمة: القدر، الأثافي: الحجارة التي توضع عليها القدور.

الأنصار يعرض أحدهم على أخيه من المهاجرين أن يناصفه أهله وماله فيأبى المهاجر ويقول: " بارك الله لك في أهلك ومالك ".

أبو طلحة : عن أنس بن مالك- ﷺ- قال: (قال أبو طلحة لأمّ سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصا من شعير ثمّ أخرجت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه، ثمّ دسّته تحت يدي ولا تثني ببعضه ثمّ أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه النّاس فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: "آرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم. قال: "بطعام؟" قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: "قوموا" فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتّى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أمّ سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالنّاس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتّى لقي رسول الله ﷺ: فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمّي يا أمّ سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ، وعصرت أمّ سليم عكّة فأدمته ، ثمّ قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثمّ قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم، فأكلوا حتّى شبعوا ثمّ خرجوا، ثمّ قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم، فأكلوا حتّى شبعوا ثمّ خرجوا، ثمّ قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتّى شبعوا ثمّ خرجوا، ثمّ قال: "ائذن لعشرة" فأكل القوم كلّهم حتّى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا)(٢)

ومعنى" ولا تثني ببعضه: أي لفتني به. يقال لاث العمامة على رأسه أي عصبها، والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه ... إلخ.

هلمي ... إلخ: أحضري الطعام الذي عندك. وعصرت أم سليم عكة فأدمته: أي صيرت ما خرج من العكة له إداما، والعكة بضم المهملة وتشديد الكاف إناء جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبا والعسل

الأشعريين : عن أبي موسى الأشعريّ- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الأشعريّين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثمّ اقتسموه بينهم في إناء واحد

(١) صحيح البخاري (٢) متفق عليه

بالسّويّة، فهم منّي، وأنا منهم")[1]. ومعنى أرملوا: أي فني طعامهم.

سحرة فرعون: قال تعالى: "قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقى (٧١) قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا (٧٢)" طه.

من فوائد (الإيثار)

(١) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٢) طريق موصّل إلى محبّة الله ورضوانه.

(٣) حصول الألفة والمحبّة بين النّاس.

(٤) دليل سخاء النّفس وارتقائها.

(٥) مظهر من مظاهر حسن الظّنّ بالله.

(٦) علامة على حسن الخاتمة.

(٧) الإيثار دليل علوّ الهمّة والبعد عن صفة الأثرة الذّميمة.

(٨) الإيثار يجلب البركة وينمّي الخير.

(٩) الإيثار من علامات الرّحمة الّتي توجب لصاحبها الجنّة ويعتق بها من النّار.

(١٠) الإيثار طريق موصّل إلى الفلاح لأنّه يقي الإنسان من داء الشّحّ.

رابعا: بعض الوسائل التي تعين على اكتساب الإيثار وترسيخه:

أ-رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومَعاليها: فإنَّ من أفضلِ أخلاقِ الرجلِ وأشرفِها وأعلاها خُلُق الإيثار، وبحسب رغبته فيها يكون إيثارُه. فكلما رغب العبد أن يزداد من مكارم الأخلاق ومَعاليها عليه أن يُبادرَ إلى التَّخَلُّق بهذا الخلق العظيم.

ب-مَقْتُ الشُّحّ: فإن العبد إذا مَقَتَ الشُّحَّ وأبغضَه التزم الإيثارَ وأحبَّه، فإنه يرى أنه لا خلاصَ له من هذا المقت البغيض (الشح) إلا بخلق الإيثار.

جـ-تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضِهم على بعض، فإن عُظِّمَت الحقوق عندنا قمنا بواجبها، ورعيناها حقَّ رعايتها، واستعظمْنا إضاعتها، وأصبح الغني منا يرعى الفقير، والقوي يحرص على الضعيف، وعلمنا أننا إن لم نَبْلُغْ درجةَ الإيثار لم نُؤَدِّها كما ينبغي، فنجعل إيثارنا احتياطاً لأدائها.

د-المواظبة على تَكَلُّفِ الإيثارِ مرةً بعد مرة: حتى تَأْلَفَهُ النفس وتعتادَه ويصيرَ لها طبعاً وسَجِيَّة، وهذا يستلزم التَجَمُّل بالصبر، كالمريض الذي يصبر على تعاطي الدواء المر. فإن تحمّلنا المشقة التي يحتاجها الإيثار يصبح فيما بعد خلقاً نكتسبه نتيجة هذا التجمُّل والتَصَبُّر الذي نحتاج إليه في معاملتنا مع الناس.

هـ-إدمان مطالعة فضائل الإيثار، وترديدها على القلب: وجمع الهمة على تحصيل الإيثار، والسعي الحثيث في التحلي به.

و-المواظبة على العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة: كالصلاة التي قال الله سبحانه وتعالى في شأنها:"...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ... "العنكبوت.

---

(١) متفق عليه

فهذه الواجبات المفروضة والمندوبات التي جاءنا بها النبي ﷺ تكون عوناً للمسلم على التخلُّق بهذا الخُلق العظيم.

ز-لُزومُ الصِّدقِ وتَحَرِّيه، وتَجَنُّبُ الكذب: لأن الصدق يهدي إلى البر، قال ﷺ: "عليكم بالصدق؛ فإنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة"(١). والإيثار من جملة البر.

ح-الاقتداء بالمثل الأعلى للبشرية: يكفينا أن نأخذ مثلاً وقدوةً سيدَنا رسول الله ﷺ، ومطالعة سيرته العطرة وشمائله الكريمة، فقد كان عليه الصلاة والسلام خيرَ من يُؤْثِرُ الناس، وخيرَ من يقدِّم لهم العونَ والمساعدة، وقد ضرب لنا ﷺ أمثلة كثيرة في حياته، وهو الذي أعرضَ عن دنياه، ولم يسترسل بها، وكان زاهداً فيها، مع أن الله سبحانه وتعالى أنزلَ عليه سيدَنا جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له: "يا محمد! إن شئتَ أن يُسيِّرَ اللهُ معكَ الجبال حيثُ شئت فعل". فقال ﷺ: "بل أجوع يوماً فأصبر، وأشبع يوماً فأشكر".

هذا هو خلق الإيثار، وهذه هي النماذج العظيمة من حياة سيدنا رسول الله ﷺ.

ثم استحضار إيثار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ثم استحضار إيثار من تَبِعهم من أهل العلم والإيمان.

ط-تقوية رابطة الأخوة في الله: التي تُوَلِّد في نفس المسلم أصدقَ العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار والرحمة والعفو عند المقدرة.

ي-النفرة من أخلاق اللئام: والتحوُّل إلى الصحبة الصالحة؛ لأن الطباع سراقة، وفي حديث قاتل المئة نفس أن العالِم قال له: "... ومن يحول بينك وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبدِ الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء..."(٢)

فأمره باعتزال بيئته الفاسدة التي تَصُدُّ عن الخلق الحسن، والتحول إلى الصحبة الصالحة التي تعينه على الخير.

أقوال وحكم في الإيثار.

قال أحدهم: لَا تُوَاخِلَنَّ جَائِعًا إِلَّا بِالْإِيثَارِ، وَلَا تُوَاخِلَنَّ غَنِيًّا إِلَّا بِالْأَدَبِ، وَلَا تُوَاخِلَنَّ ضَيْفًا إِلَّا بِالنَّهْمَةِ وَالِانْبِسَاطِ

وقال أبو سليمان الدارني: لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له .- وقال أيضاً: إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي

وقال أبو حفص: الإيثار هو أن يقدم حظوظ الإخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة.

وقال بعضهم: الإيثار لا يكون عن اختيار، إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك، ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب ذي معرفة.

وقال يوسف بن الحسين: من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منها الإيثار، لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه، إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق؛ فمن وصل إليه فهو أحق به، فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه.

عجبتُ لبعضِ النّاسِ يبذلُ ودَّه ** ويمنعُ ما ضمَّت عليه
إذا أنا أعطيتُ الخليلَ مودَّتي ** فليس لمالي بعدَ ذلك مانعُ

المالُ للرَّجلِ الكريمِ ذرائعٌ ** يبغي بهنَّ جلائلَ الأخطار

(١) متفق عليه
(٢) متفق عليه

والنّاسُ شتى في الخِلَالِ وخيرُهم ** مَن كان ذا فضلٍ وذا إيثارِ

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فضل الحج

الحمد لله الخافض الرافع، حجب الجن عن غيبه بعد أن كان لهم في السماء مواضع، أنزل القرآن نورًا يتلى فإذا الناس محجوب وسامع، إذا قرئ على العليل ذهبت عن جسمه المواجع، وإذا استمع له الحزين هان في عينيه كل ضائع، نحمده تبارك وتعالى على كل حال وواقع، ونعوذ بنور وجهه الكريم من العوائق والموانع، ونسأله أن يحفظ علينا العقول والأبصار والمسامع، ونرجوه أن يكون عنا ضد الحاقدين والحاسدين هو المدافع.

وأشهد أن لا إله إلا الله الضار النافع، جعل في السماء بروجًا والنجوم لها مواقع، ومن الرياح لواقح ومنها المدمر ذو الفظائع، ومن الجبال غرابيب سودٌ وحمرٌ وبيضٌ نواصع، وفي البحار أمواج مهلكات وفيها طعام ولؤلؤ وقواقع، وفي الأرض صخر وحجر ومدر وفيها الجوهر اللامع، ومن النبات حلو ومرٌّ ومن السموم نواقع، ومن الدواب وحوش كاسرات، وفي البهائم ركائب ومنافع، ومن الطيور حاملات رسائل، ومن الطيور فواسق ونوازع، ومن الناس أهل للمعروف، ومنهم من في الشر ضالع، ومن الأيام إسعاد ومبشرات، ومنها بالفتن والشرور طوالع، أمور حارت البرية فيها، ونور الحق للظلمات قاشع، فالخير مراد في الأمور لذاته، والشر في بعض الأمور براقع.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الذي أقض للمشركين المضاجع، ولد يتيمًا فقيرًا فزهدت فيه المراضع، وشب عفيفًا كريمًا وأترابه في اللهو لهم مراتع، رعى الأغنام صغيرًا، وعمل في التجارة أجيرًا، وظهر من بركته البدائع.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ما دام للنجوم مغارب ومطالع، اجعل صلاتنا عليه وديعة يا من لا تضيع عنده الودائع.

العناصر

أولا: فضل الحج ثانياً: أهميته

ثالثاً: آثاره رابعاً: صور من رحمة الرسول ﷺ في الحج

خامساً: بشرى لمن عجز عن الحج

الموضوع

أولا: فضل الحج

ركن من أركان الإسلام: عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : " يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا " فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال : " لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم " ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " (١)

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان " (٢)

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه

هو من أفضل الأعمال والقربات عند الله: عن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله". قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". قيل: "ثم ماذا؟" قال: "حج مبرور"(١)

الحج يعدل الجهاد في سبيل الله وينوب عنه لمن لا يقدر عليه ومن لا يُكلف به: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: "لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور" ، وفي رواية: قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: "لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حجٌ مبرور". فقالت عائشة: فلا أدعُ الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ " (٢).

الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" (٣)

الحج المبرور سبب لغفران الذنوب: عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه"(٤).

وعَن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: لَمَّا جعل اللهُ الإسلامَ في قلبي أتيْتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ ابسُطْ يمينَك لأبايعَك؛ فبسط يدَه فقبضْتُ يدي. فقال: مالك يا عَمرو؟ ! . قال: أردتُ أن أشترطَ . قال : تشترطُ ماذا ؟ قال: أن يُغفَرَ لي . قال : أما علمتَ يا عَمرو ! أنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قبلَه ، وأنَّ الهجرةَ تهدِمُ ما كان قبلَها ، وأنَّ الحجّ يهدِمُ ما كان قبلَه ؟ ! (٥)

الإكثار من الحج والعمرة ينفيان الفقر : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة "(٦)

الحاج وافد على الله، ومن وفد على الله أكرمه الله: عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال "الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم"(٧)

فريضة الحج دائمة مستمرة حتى بعد ظهور الفتن العظام : عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ "ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج و مأجوج "(٨)

فإذا قبض الله أرواح المؤمنين في آخر الزمان ولم يبق على الأرض إلا شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء توقف الحج، قال رسول الله ﷺ : "لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت"(٩)

التعجيل بالحج: وجب على كل مسلم مستطيع أن يتعجل الحج، فقد يأتي يومٌ يَعْجَزُ فيه عن الحج: "من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة". "(١٠)

الحج زاد يتقى به العبد سخط ربه وناره ويطمع في جنته التي أعدها للمتقين: أمر الله تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين والكف عن أموالهم سؤالاً واستشراقا وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين وزيادة قربة لرب العالمين وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع .

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه فهو زاد التقوى الذي هو زاد دار القرار والموصل لأكمل لذة وأجل نعيم دائماً وأبداً .

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح البخاري
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح الترغيب والترهيب
(٧) صحيح ابن ماجة
(٨) صحيح ابن ماجة
(٩) صحيح ابن ماجة
(١٠) صحيح الجامع

وبهذا يلتقي الحج مع سائر العبادات في أنه زاد يتقى به العبد سخط ربه وناره ويطمع في جنته التي أعدها للمتقين ، فهذه أيام الحج وأشهره واستعداد الناس للخروج إليه فسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

نفي الفقر والذنوب: ربما يخاف العبد ألا يرزقه الله بمال يعلم به ولده أو يزوج به ابنته أو يقيم به بعض شأنه إن هو أنفق هذا المال في الحج مع أن الأصل هو العكس

فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة "[1]

ولا شك أن هذا الفهم متابعة للشيطان في وسوسته ومجانبة للحكمة في التصرف في المال وظن سيئ بالله سبحانه فتدبر قوله سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ "

فأى باب أطيب من الإنفاق في أداء فريضة الله في الحج فهل يتعظ أولو الألباب ولا يتابعوا الشيطان يخوفهم الفقر، ألا يجدوا ما ينفقون في تعلم أو زواج إذا أنفق في الحج ،فالعجب لمن يؤمن بالله رازقاً ثم يخاف إن أنفق ماله في فرائض الله أن يبخل عليه الله بالمال ينفقه فيما أحل الله.

انجذاب القلوب إليه: جعل القلوب تنجذب وتتوق إلى بيت الله الحرام، وتهوي إليه بالملايين من كل أنحاء العالم بسبب دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام عندما قال:(فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)سورة ابراهيم

وقد تعلق قلب رسول الله- ﷺ- به، كما تعلق به قبل ذلك قلب أبيه إبراهيم عليه السلام فجعله قبلة للمسلمين يتعبد إلى الله بالتوجه إليها إلى يوم الدين إكرامًا لنبيه قال تعالي:(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)سورة البقرة.

أن الله تكفل بحفظ بلده الحرام: فما قصدها ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأبرهة الحبشي، وكتب الأمان لمن دخلها قال تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)، مؤكدًا أنه لا يجوز في الحرم قتل طير أو حتى قطع شجرة، فضلًا عن استهداف الأبرياء والآمنين فيه.

امتثال العبد لأوامر سيده وإن لم يفهم المقصود منها: أفعال الحج من الإحرام والطواف والسعي ورمى الجمار والوقوف بعرفة ومزدلفة من الأفعال ما ينبئ عن امتثال العبد لأوامر سيده وإن لم يفهم المقصود من هذه الأوامر إنما يتعين عليه الامتثال ويلزمه الانقياد من غير سؤال عن المقصود ولا طلب الفائدة والمعنى من هذه الأفعال لذا كان من تلبيته ﷺ (لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً لبيك إله الحق

ويقول تعالى : " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" البقرة.

---

(1) السلسلة الصحيحة

يقول السعدي في تفسيره : يجب أن تعظموا الإحرام بالحج وخصوصاً الواقع في أشهره وتصونوه من كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية خصوصاً عند النساء وبحضرتهن ، والفسوق وهو : جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام والجدال وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة لكونها تثير الشر وتوقع العداوة . والمقصود من الحج الذل والانكسار لله والتقرب إليه بما أمكن من القربات والتنزه عن مقارفة السيئات فإنه بذلك يكون مبروراً . والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة . وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان فإنه يتغلظ المنع عنها في الحج .

انه في شهر من الأشهر الحرم : والأشهر الحرم أربعة، هي : ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب.

وقد ذكرها الله تعالى إجمالاً في قوله: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (التوبة : ٣٦)

وعن أبي بكرة ﷺ قال : خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال : " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " (١)

وإنما قال – ﷺ -: ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان؛ لأن ربيعة كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبًا، وكانت مضر تحرم رجبًا نفسه، ولهذا قال النبي – ﷺ -: "الذي بين جمادى وشعبان" تأكيدًا وبيانًا

وجوب الحج عند الاستطاعة: إن من لم يحج بيت الله الحرام مع القدرة عليه فقد حرم خيراً كثيراً

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ قال: " قال اللهُ: إنَّ عبدًا صحَّحْتُ له جسمَه ووسَّعْتُ عليه في المعيشةِ يمضي عليه خمسةُ أعوامٍ لا يفِدُ إليَّ لَمحرومٌ " (٢)

وقال تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا" "آل عمران: ٩٧".

يقول صاحب محاسن التأويل : فعلى كل مستطيع الحج يجد إليه السبيل بأى وجه كانت الاستطاعة .

قال : وروينا عن عكرمة أنه قال : الاستطاعة : الصحة . وقال الضحاك : إذا كان شاباً صحيحاً ليس له مال فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى نُسكه . فقال له قائل : أكلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه ؟ قال : لا بل ينطلق إليه ولو حبواً ، قال :فكذلك يجب عليه حج البيت

وقال مالك : الاستطاعة على إطاقة الناس ، الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي . وآخر يقدر على المشي على رجليه .

وقالت طائفة : الاستطاعة الزاد والراحلة

ويقول القاسمي أيضاً في قوله تعالى : " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "

هذه الآية الكريمة حازت فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه.

فمنها: الإتيان بـــ (اللام وعلى) في قوله : " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ " يعنى أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته .

---

(١) متفق عليه (٢) السلسلة الصحيحة

ومنها: أنه ذكر " النَّاسِ" ثم أبدل عنه " مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " وفيه ضربان من التأكيد أحدهما: أن الإبدال تثنية المراد وتكرير له. والثاني: إن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين

ومنها: قوله: " وَمَنْ كَفَرَ" مكان من لم يحج تغليظاً على تارك الحج

ومنها: ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان

ومنها: قوله: " عَنِ الْعَالَمِينَ " ولم يقل عنه . وما فيها من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع .

ثانيا: أهميته

تعظيم البيت فإنه من شعائر الله وتعظيم لله: قال تعالى: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين (٩٦) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً "آل عمران"

وقال تعالى: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب "الحج: ٣٢".

تحقيق الألفة والوحدة: يجتمع المسلمون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم في صعيد واحد، يدعون

ربًا واحدًا، ويتوجهون لبيت واحد، فتتوحد الأهداف والغايات، وتصبح الأمة على قلب رجل واحد؛ قال رسول الله ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر"[١]

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم ألا لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده "[٢]

فالحج يعرض لمظاهر قوة المسلمين وشوكتهم واجتماع جندهم وإظهار شريعتهم، قال تعالى" وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا" .

موافقة ما توارثه الناس عن إمام الحنفاء إبراهيم وولده إسماعيل، ودعا إليه محمد ﷺ : وتذكُّر هذه المواقف والمقامات قال تعالى" وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (١٢٨) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم "البقرة: ١٢ ١٢٩".

وقد كان النبي ﷺ يقول للناس في حجة الوداع: "قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم"[٣]

ويقول: "خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا"[٤]

إعلان التوحيد الذي بعث الله به رسله وإظهاره في الأقوال والأفعال: ففي التلبية يقول الحاج: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك ؛ وقد كان أهل الجاهلية يلبون بالشرك فيقولون: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح الجامع (٣) مشكاة المصابيح (٤) صحيح مسلم

وفي سائر المواقف والمشاعر يتجرد العبد في توحيده وطاعته لله عز وجل ومبايعته للنبي ﷺ، فيسير ويقف حيث أمره الله، ويحلق شعره، وينحر أو يذبح هديه حيث أمره الله وشرع له ، ويتابع في ذلك كله رسول الله ﷺ .

ثالثا: آثاره

المنافع المادية والمعنوية: قال تعالى :(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ...) الحج: ٢٨

ولفظة المنافع تشمل وجود المصلحة كلها المادية والمعنوية، من تجارة وعلم، ولقاء بالأحبة وتبادل خبرات في السياسة والاقتصاد والإعلام.

وجاء في سياق آيات الحج (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ...) "البقرة: ١٩٨"، ولا يتنافى كل ذلك مع نية الحج وأداء النسك الذي هو الأصل والدافع للقدوم - ولكن يسر الدين وسماحته لم تمنع الناس من قضاء مصالحهم وتحقيق مكاسبهم من خلال موسم الحج.

تدريب للمسلم على النظام: إن الالتزام بأداء المناسك في موسم الحج في أوقات محددة من اليوم والليلة، تدريب للمسلم على النظام، لكيلا يكون أسير حياة يومية روتينية لا يتحمل تغييرها، ففي ذلك خروج على الإلف والعادة لإخضاع نفسه للنظام وأحكام الشريعة.

التذكير بالفراق الأكبر: تعرض الحاج إلى مفارقة الأهل والأولاد والأوطان يذكره بالفراق الأكبر الذي لا عودة بعده إليهم، فيأخذ العبرة ويستعد لذلك اليوم.

تذكيره بأنه يتجرد من كل متاع الدنيا: إن خروجه متجرداً من زينته وثيابه، ولباسه الإحرام تذكير له بما يحمله معه من متاع الدنيا عند مفارقته لها للقاء ربه.

وقوفه بعرفة يذكره بالموقف الأكبر يوم الحشر: قال تعالى"(وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً)الكهف

تحويل العادات السيئة إلى عادات حسنة: إن تغير حاله أثناء سفر الحاج وابتهاله لربه، وتقديمه القرابين لربه، وتمسكه بآداب الحج وأحكامه واجتنابه لمحظورات الإحرام والنسك (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) كل ذلك يؤثر على نفسه وسلوكه، وربما تحولت إلى عادات حسنة وأخلاق حميدة تلازمه طيلة حياته بعد أن تذوقها ووجد حلاوتها خلال موسم الحج.

رابعا: صور من رحمة الرسول ﷺ في الحج

أن الله فرض الحج في العمر مرة واحدة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا ". فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ. حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ. وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: " ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ (١)

أن الله تعالى لم يفرض الحج إلا على المستطيع: قال تعالى: ((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

(١) صحيح مسلم

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧).)) آل عمران.

جواز الإنابة عن الغير فى الحج: بشرط أن يكون حج عن نفسه أولا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: "مَنْ شُبْرُمَةُ؟ " قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: "حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: "حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ"(١)

رفع الحرج في ترتيب أعمال يوم النحر: فالهدى النبوي العملي في يوم النحر على الترتيب التالي:

أن يرمى الجمرات.

أن ينحر الهدى.

أن يحلق أو يقصر.

الطواف بالبيت.

السعي بين الصفا والمروة.

فعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ من أن رسول الله ﷺ وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَطَفِقَ نَاسٌ يَسْأَلُونَهُ فَيَقُولُ الْقَائِلُ: مِنْهُمْ يَا رسول الله ﷺ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ أَنَّ الرَّمْيَ قَبْلَ النَّحْرِ فَنَحَرْتُ قَبْلَ الرَّمْيِ فَقَالَ رسول الله ﷺ : "فَارْمِ وَلا حَرَجَ" قَالَ: وَطَفِقَ آخَرُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ أَنَّ النَّحْرَ قَبْلَ الْحَلْقِ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ فَيَقُولُ: "انْحَرْ وَلا حَرَجَ" قَالَ: فَمَا سَمِعْتُهُ يُسْأَلُ يَوْمَئِذٍ عَنْ أَمْرٍ مِمَّا يَنْسَى الْمَرْءُ وَيَجْهَلُ مِنْ تَقْدِيمِ بَعْضِ الأُمُورِ قَبْلَ بَعْضٍ وَأَشْبَاهِهَا إِلا قَالَ رسول الله ﷺ "افْعَلُوا ذَلِكَ وَلا حَرَجَ"(٢)

النوم في المزدلفة: من دلائل رحمة النبي ﷺ أيضًا بالحجاج أنه نام في المزدلفة من بعد وصوله وصلاته للمغرب والعشاء جمعًا، وذلك إلى صلاة الفجر ولم يَرِدْ عنه أنه صلى هذه الليلة قيامًا ولا صلى وترًا

فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسْبِغِ الْوُضُوءَ فَقُلْتُ لَهُ الصَّلاَةَ. قَالَ " الصَّلاَةُ أَمَامَكَ ". فَرَكِبَ فَلَمَّا جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِى مَنْزِلِهِ ثُمَّ أُقِيمَتِ الْعِشَاءُ فَصَلاَّهَا وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا"(٣)

وهذا من رحمته ﷺ بالمسلمين، فهو يعلم مدى المشقة التي كانت في يوم عرفة والدفع من عرفة إلى المزدلفة، فأراد أن تكون سُنَّته التي يقلده فيها مَن في المزدلفة هي النوم الهادئ المريح غير المقطوع باستيقاظ أو صلاة!!

ترك المزدلفة قبل الفجر لرمي الجمرات رحمة بالضعفاء: أيضًا من دلائل رحمة النبي ﷺ في الحج أنه أَذِنَ للضعفاء أن يتركوا المزدلفة ليلاً قبل الفجر لكي يدركوا الجمرات قبل الازدحام، تقول عائشة رضي الله عنها: "نَزَلْنَا الْمُزْدَلِفَةَ فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ ﷺ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَطِيئَةً فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ فَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رسول الله ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ"(٤)

رمي الجمرات بحصى صغير: فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ رَأَيْتُ النَّبِىَّ -ﷺ- رَمَى الْجَمْرَةَ بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ(٥)

والخذف : الحصى الصغير في حجم حبة الفول ،وهذا الحجم الصغير حتى لا يؤذي إنسانًا بطريق الخطأ..

---

(١) صحيح سنن أبي داود
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم

إن تتبع رحمة النبي ﷺ في حجته يصعب، لأن ذلك يتطلب منا أن يتناول الحجة بكاملها، فقد كانت كلها رحمة، وهذا ليس مستغربًا مع كون الحج مشقة، لأن الله تعالى ما كلَّف أمرًا إلا ووضع في الإنسان من الطاقة والقدرة ما يمكِّنه من فعله، فإذا كان المُطَبِّق والمُعَلِّم مثل رسول الله ﷺ في رحمته ورأفته صار الأمر ميسورًا وسهلاً إن شاء الله، وصلَّ اللهُمَّ على الذي قُلْتَ في حقه: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" "الأنبياء: ١٠٧".

خامساً: بشرى لمن عجز عن الحج

توجد عدة أمور لو فعلها المسلم لكان له أجراً كبيرا كأجر الحاج والمعتمر نذكر بعضا منها

الجلوس لذكر الله من الفجر حتى طلوع الشمس: قال رسول الله ﷺ : "من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة، تامة ، تامة"(١)

الخروج لصلاة مكتوبة أو لصلاة الضحى: عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين "(٢)

حضور مجالس العلم: عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال " من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته "(٣)

العمرة في رمضان: عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " إن عمرة في رمضان تعدل حجة "(٤)

أيها الأحباب: من فاته التجرد من الملابس بالإحرام.. فليزهد في الدنيا وليترك الحرام، ومن فاته أن يلبي بلسانه... فليلزم وليلبِّ بجنانه، ومن فاته أن يطوف ببيت الرحمن.. فليطف بقلبه في رياض القرآن، ومن فاته السعي والمبيت بمنى.. فليسعَ في الخير وليبت طائعًا ها هنا، ومن فاته الوقوف بعرفة.. فليقم لله بحقه الذي عرفه، ومن فاته الذبح بمنى... فليذبح هواه ها هنا وقد نال المنى ، ومن فاته رمي الجمار.. فليعصِ شيطانَه وليُزل عن كاهله الأوزار، ومن فاته أن يحلق شعره بالأمواس.. فليُزل ما في قلبه من أدناس ، ومن فاته الذكر والدعاء بالمشعر الحرام.. فعليه بهما بالسحر والناس نيام.

إليك إلهي قد أتيتُ ملبياً ** فبارك إلهي حجتي ودعائيا
قصدتك مضطراً وجئتك باكياً ** وحاشاك ربي أن ترد بكائيا
كفاني فخراً أنني لك عابد ** فيا فرحتي إن صرتُ عبداً
أتيتُ بلا زاد وجودك مطمعي ** وما خاب من يهفو لجودك
إليك إلهي قد حضرتُ مُؤمّلاً ** خلاصَ فؤادي من ذنوبي ملبياً

اللهم هيئ لنا حج بيتك الكريم وتقبل منا ومن سائر المسلمين وارفع عنا الآثام والذنوب وتقبل منا واقبلنا يا رب العالمين إنك على كل شيء قدير

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح الجامع (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح الجامع

الحج مدرسة أخلاقية

الحمد لله ذي الفضل والإنعام على الجميع، يخلق ويرزق ويستر ويحمد الصنيع، يُطعم ويسقي، ويجبُرُ ويشفي الوجيع، يُعز ويغني وينصر ويرفع الوضيع، يكفي ويؤوي ويكسو ويكلأ الرضيع، يعفو ويصفح، ويَمحو الخطأ الشنيع، نحمده تَبارك وتعالى ونشكره على النعم كيلا تَضيع، ونسأله الثبات على الإيمان والدين فإن أقبلت الدنيا لا نبيع، ونرجوه حسن الخاتمة وأن يلحقنا بالسابقين من أصحاب البقيع.

وأشهد أن لا إله إلا الله النور الهادي البديع، شهادة نقر بها مختارين كي ندخل الحصن المنيع، من اعتقدها أمن العذاب ونجى عند الحساب ونال الشرف الرفيع، ومن أنكرها ضاع وظمئ وجاع ولم يطعم إلا الضريع، هل تنكر العيونُ مَن حفظها بالجفون؟ أم تنكر الأمعاء خروج الرجيع، وهل تنكر السماء مَن زينها بالنجوم؟ أو ينكر السحابُ صوت الرعد الفظيع، هل تملِك الشمس حبس ضيائها؟ أو تخرق النجوم مدارها؟ أو يأبى القمر أن يطيع، إذا رأيت السماء أمطرت، ورأيت الأرض أنبتت، وشبع الحمل الوديع، وإذا رأيت الزهور تفتحت، وسمعت الطيور غردت، وأقبل بعد الشتاء ربيع، وإذا رأيت نعيم الدنيا إلى زوال، ودوام الحال من المحال، وموت الأحبة بغير توديع، إذا حاولت أن تغير من الأمور واقعًا، أو تجد للموت عنك دافعًا، ففشلتَ الفشل الذريع، فاعلم أن للوجود بارئًا للأمور مدبرًا، واحذر عقابه السريع.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الخاتم والشفيع، مبعوث للإنس والجان، منور للأكوان، مبين التشريع، مذكر غير ملوم، علمه مطابق للمعلوم، من أصل سنته التفريع، خُلقه القرآن، تشديده الحنان، يعظ من غير تقريع، يوقظ الضمائر، ويطهر السرائر، ويقدم بسلوكه التشجيع، يؤلف بين قلوبهم، ويستغفر لذنوبهم، ويتعهد برعايته الجميع، أمره بين أصحابه نافذ، يعفو ولا يؤاخذ، ولو وصَلَ الأمر للتشنيع، هو ولي من لا ولي له، حفي بمن أقبل عليه، ليس من خلقه الترويع، هو للمحب حبيب، وللعليل طبيب، يداوي الشهوات بالتجويع، هو أولى بالمؤمن من نفسه، وأحب إليه من نفسه، وإلا ففي العقيدة ترقيع، الصلاة عليه في الملأ حتمية، وهي لأمته هدية، تذهب عن القلب الصقيع، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى أصحابه بقدر ما في الخلق من تنويع، وارزقنا شفاعته، وأوردنا حوضه، واحشرنا تحت لوائه، إنك بنا بصير، ولدعائنا مجيب وسميع.

العناصر

أولاً: دعوة الإسلام إلي حسن الخلق ثانياً: أثر العبادات في تهذيب الأخلاق

ثالثاً: الحج مدرسة الأخلاق

الموضوع

أولا: دعوة الإسلام إلي حسن الخلق

مجمل رسالة النبي ﷺ تدعو إلي حسن الخلق: قال رسول الله ﷺ " إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاقِ"[1]

وقد وقف العلماء عند هذا الحديث قائلين: لماذا حصر النبي بعثته في مكارم الأخلاق مع أنه بعث بالتوحيد والعبادات وهي أرفع منزلة وأهم من الأخلاق؟!!

والجواب: أن التوحيد والعبادات شرعت من أجل ترسيخ مكارم الأخلاق بين أفراد المجتمع، فالغاية

(1) السلسلة الصحيحة

والحكمة الجليلة من تشريع العبادات هي غرس الأخلاق الفاضلة وتهذيب النفوس؛ كما هو معلوم في الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها.

الأخلاق الحسنة هي شِعار المؤمنين، وحِلية المحسنين: عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ؟ فَقَالَ : الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ " (١) ، و قال ﷺ " خياركم أحاسنكم أخلاقًا " (٢)

ومن ثم فما من شئ أثقل في ميزان العبد من حسن أخلاقه ورقى سلوكه ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ " (٣)

سبب لدخول الجنة في الآخرة: فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ" (٤)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟! عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ" (٥)

اقرب الناس مجلسا من رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا"(٦)

أثقل شئ في ميزان المؤمن يوم القيامة: وعَنْ أَبِي الدرداء -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ -ﷺ " مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ اَلْخُلُقِ" (٧)

الدعوة إلي الله بالأخلاق الحسنة: قال تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)النحل

قال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران

دليل علي كمال الإيمان: قال ﷺ" أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا-"(٨)

قال الفيروز آبادي -رحمه الله تعالى)اعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق؛ زاد عليك في الدين

قال رسول الله ﷺ" لا يَزني الزَّاني حينَ يَزني وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَشرَبُ الخَمرَ حينَ يَشرَبُ وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَسرِقُ حينَ يَسرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَنتَهِبُ نُهبَةً يَرفَعُ النَّاسُ إلَيهِ فِيهَا أَبصَارَهُم حِينَ يَنتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ " (٩)

وَقَالَ - عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -: " وَاللهِ لا يُؤمِنُ، وَاللهِ لا يُؤمِنُ، وَاللهِ لا يُؤمِنُ " قِيلَ: مَن يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الَّذِي لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ " (١٠)

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (١١).

وسئل ﷺ : أيكذب المؤمن ؟ قال: (لا) ثم تلا قوله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) السلسلة الصحيحة
(٦) صحيح الترغيب والترهيب
(٧) صحيح الجامع
(٨) صحيح سنن أبي داود
(٩) متفق عليه
(١٠) صحيح البخاري
(١١) متفق عليه

وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) النحل ١٠٥.

وَقَالَ ﷺ " ثَلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعتَمَرَ وَقَالَ إِنِّي مُسلِمٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخلَفَ، وَإِذَا اؤتُمِنَ خَانَ " (١).

الكلمة الطيبة: قال تعالى (وقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)البقرة ٨٣

وقال تعالى (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً)الإسراء ٥٣

وعن عدي بن حاتمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ؛ ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثَلاَثًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ " (٢)

غفران الذنوب ودخول الجنة : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ؛ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ" (٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ" (٤)

أساس اختيار الزوجة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ " (٥).

في البيع والشراء: قال تبارك وتعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ٣).

ويحث على السماحة واللين في البيع والشراء، كما قال ﷺ " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا ، إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى " ا(٦) .

ويحذر من أكل أموال الناس بالباطل ،ومن الغش، والتدليس فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) النساء ٢٩

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : " مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ " ، قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّ ، فَلَيْسَ مِنِّي " (٧) .

حث الإسلام على طيب النفس وحسن سلوكها وعدم إيذاء الناس بقول أو فعل: قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ "الحجرات: ١١٢".

وقال رسول الله ﷺ " لَيسَ المُؤمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الفَاحِشِ وَلا البَذِيءِ "(٨)

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح البخاري
(٧) صحيح مسلم
(٨) صحيح سنن الترمذي

رد الإساءة بالحسنى: قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)

" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ "؛ لما نزلت قال رسول الله ﷺ: "ما هذا يا جبريل؟" قال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك."(١)

ولذلك ضرب بالأحنف بن قيس المثل في الحلم والصفح ، فقيل له: كيف وصلت إلى هذه المنزلة؟ فقال: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضّلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه.

الأخلاق هي المؤشّر على استمرار أمَّة ما أو انهيارها: فالأمة التي تنهار أخلاقُها يوشك أن ينهارَ كيانُها، قال تعالى -: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) "الإسراء: ١٦" يقول الشاعر: إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

نهى الله تعالى عن الرفث والفسوق والجدال أثناء الحج: قال تعالى " فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ"، ومعنى الرفث هو اسم جامع لكل لغو وفجور الكلام، كالحديث بشأن النساء أو الجماع أو معهن بصورة لا تليق بالآداب الشرعية، ومعنى الفسوق : الفسوق هو الخروج من كل طاعة، والوقوع في أي معصية، كالكذب والغيبة والنميمة وقول الزور والشتم والقذف وغيرها.

ومعنى الجدال: والجدال هو الخصومة والمشادة في الكلام والحديث ولو مع الرفاق فضلاً عن غيرهم

ضياع الأخلاق بمثابة ضياع للعمل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ "(٢)

وعن أبي هريرة قال : قيل للنبي ﷺ : يا رسول الله ! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق وتؤذي جيرانها بلسانها ! فقال رسول الله ﷺ : لا خير فيها ؛ هي من أهل النار . قال : وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار (من الأقط) ولا تؤذي أحدا . فقال رسول الله ﷺ : هي من أهل الجنة (٣)

ومعني (أتوار : جمع تور بالمثناة : إناء من صفر وأثوار بالمثلثة وهو الصواب جمع ثور : وهي قطعة من الأقط وهو لبن جامد مستحجر)

ثانيا: أثر العبادات في تهذيب الأخلاق

أ-الصلاة: قال تعالى(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) العنكبوت ٤٥

فالصلاة بسجودها وركوعها وأذكارها تطهر النفس من التكبر ، وتذكر النفس بالاستقامة على أمر الله سبحانه وتعالى ، وتذكرها دائما بوقوفها للحساب يوم القيامة ، فتنهى صاحبها عن الفحشاء وسوء الأخلاق.

ب-الصيام: قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة ١٨٣. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ " (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير (٢) السلسلة الصحيحة (٣) السلسلة الصحيحة (٤) متفق عليه

ففيه تعويد للنفس على ضبط شهوتَي البطن والفرج، و الرقى إلى درجة التقوى ، كما انه سبب مباشر لضبط سلوك الإنسان والرقى بأخلاقه ،فلا معنى لظاهر الصيام إن لم تتأدب النفوس و تطهر القلوب.

ج-الصدقات: قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) التوبة ١٠٣.

فهي تطهير للنفس البشرية من رذيلة البخل والشح والطمع والجشع، ودليل على تعاون المسلم وحرصه على أخيه المسلم، إذ يواسى الفقراء ،و يسد حاجتهم ،و يساعد البؤساء منهم و المحرومين، ويقيم المصالح العامة التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها.

د-الحج: قال تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) البقرة ١٩٧ ، وقال تعالى (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) الحج ٣٠

فحث على حفظ القلب والجوارح في قوله (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) كما شدد على حفظ اللسان فقال (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)

الحج يبث القيم الأخلاقية الأصيلة في النفوس البشرية ،وكيف أن له التأثير في تربية النفس الإنسانية وتكوين شخصية إسلامية تقوم على أسس إيمانية متمتعة بسلوك طيبة ، إذ أن الحج مدرسة أخلاقية مباركة لتهذيب النفوس وتزكية القلوب وتقوية الإيمان، يتخرج فيها المؤمنون المتقون، وينهل من معينها المبارك عباد الله الموفقون ؛ فالمتدبر في القران الكريم يرى أن الله تعالى ربط بين الحج والأخلاق والسلوكيات.

فقد يظن الإنسان أن السفر إلى البقاع المقدسة رحلة مجردة عن المعاني الخلقية، بل أنت مأمور بضبط الأخلاق أثناء الزحام، كما يجب عليك اجتناب الرفث والفسوق والجدال والخصام في الحج، فضلاً عن غرس قيم الصبر وتحمل المشاق والمساواة بين الغني والفقير والتجرد من الأمراض الخلقية.

إن العبادات لا يمكن أن تؤتى ثمرتها المرجُوّة إلا إذا ظهر أثرها في سلوك المرء وأخلاقه وتعامله مع الآخرين، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، ومن لم ينهه حجه وصومه عن اللغو والرفث والفسوق فما انتفع بحج ولا بصيام .....وهكذا

ثالثا: الحج مدرسة الأخلاق

الإخلاص: قال -تعالى -: " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)" ، وقال تعالى "وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ"

وقال تعالى " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ "

التوكل على الله ولأخذ بالأسباب فمن يخرج من بيته إلى الحج يخرج معتمدا على ربه متوكلا عليه مفوضا أمره إليه، طالبا منه وحده العون والتوفيق والهداية لعلمه بأن الأمور كلها بقضائه وقدره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : " لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا " صحيح سنن ابن ماجه.

والتوكل على الله من صفات المؤمنين قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) الأنفال ٢

ومن التوكل على الله الأخذ بالأسباب فهو ملازم للتوكل ومن تمامه ليس بينهما فارق أو تنافر،وقال أبو مسعود كان أهل اليمن أو ناس من أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فأنزل الله سبحانه (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) (١)

وها هو عمر بن الخطاب - حين لَقِيَ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ،جاءوا بغير زاد فَقَالَ : " مَنْ أَنْتُمْ ؟ " . قَالُوا : نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ ، قَالَ : " بَلْ أَنْتُمُ الْمُتَكِلُونَ ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الأَرْضِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ " (٢).

التواضع: فالحاج حينما يخلع ملابسه ويلبس إزاراً ورداءً؛ فإنه يعلن بذلك عن تواضعه وانكساره لله رب العالمين. والتواضع صفة محمودة تدل على طهارة النفس وتدعو إلى المودة والمحبة ونشر الترابط بين الناس ونبذ الحسد والبغض والكراهية من قلوبهم وفوق هذا كله فإن التواضع دليل على محبة الله؛ دل عليه قوله - تعالى (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لقمان . ، وعَنْ أبي هريرة ﷺ أَن رسول الله ﷺ قال" ما نَقَصَتْ صَدقَةٌ من مالٍ، وما زاد اللَّه عَبداً بِعَفوٍ إلاَّ عِزّاً، ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ "(٣)

الصبر: الناظر في فريضة الحج يرى أنها تجمع بين جميع مجالات الصبر ،ومن ذلك:

أ- الصبر علي طاعة الله : وذلك بأداء مناسك الحج من إحرام ومبيت في مني والمزدلفة ووقوف بعرفة ورمي جمرات وذبح أضحية وحلق وطواف وسعي وتحلل وغيره من الأمور التي يتطلبها أداء الفريضة علي الوجه الأكمل والمشروع طمعا في تحقيق الجزاء الأوفى في قوله ﷺ " ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ(٤)

ب- الصبر علي المعاصي : وذلك بإجتناب الرفث والفسوق والجدال بالباطل وغيرها من السلوكيات السيئة والأخلاقيات غير الكريمة تطبيقا لقول الله تعالى (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)البقرة ١٩٧

ج- الصبر علي مفارقة الأهل والأوطان وتحمل التكاليف والنفقات طمعا فيما عند الله من الثواب والخيرات فقد قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) سبأ ٣٩

د- الصبر علي المتاعب والمشاق البدنية في الحل والترحال والانتقال من بلد إلي بلد ومن مشعر إلي آخر ومن مكان إلى مكان .

التقوى خير زاد: (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) البقرة.

وهي خير لباس: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) الأعراف.

وهي خير ميراث: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً) مريم.

وهي خير تركة لمن بعدك: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً) النساء.

توثيق الوحدة والروابط الإسلامية: فمن منافع الحجّ العظيمة تقوية الروابط الإسلامية وتوثيق هذه الصلات من وحدة وأخوة بين المسلمين ؛ فالحج موسم عظيم، تتجسد فيه وحدة المسلمين في أبهى مظاهرها وأجمل حللها، حيث تذوب الفوارق، وتتلاشى الحواجز، اذ يجتمع المسلمون من أقطار الأرض

(١) صحيح البخاري (٢) السلسلة الصحيحة (٣) السلسلة الصحيحة (٤) صحيح مسلم

حول البيت العتيق يبتغون رحمة العزيز الغفار؛ ربهم واحد، ودينهم واحد، وقبلتهم واحدة ،وهدفهم واحد، وشعار الجميع (لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيك) خضوعاً وانقياداً وامتثالاً.

فالحج يشعرنا أمة الإسلام بوحدتنا التي من الله تعالى بها علينا حين أكرمنا بهذا الدين العظيم، وهذا النبي الذي دعا إلى الله تعالى فأجابه أبو بكر العربي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فصهرهم الإسلام في بوتقة واحدة حتى صار شعار الواحد منهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ** إذا افتخروا بقيس أو تميم

إنه الشعور بالانتماء لهذه الأمة؛ الانتماء الذي جعل سلمان الفارسي حين سئل: ابن من أنت؟ يقول: أنا ابن الإسلام

إنها الوحدة الحقيقة، فمهما اختلفت اللغات، ومهما تعددت الجهات، ومهما تنوعت الجنسيات، فديننا واحد، وربنا واحد، وقبلتنا واحدة، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى؛ فنحن أمة الوحدة والتضامن والأخوة، رغم أنف كل من حاول تشتيت هذه الأمة، قال تعالى(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) الأنبياء ٩٢

فالوحدة مقصد عظيم من مقاصد الإسلام ،تنوعت أساليب القرآن والسنة في الدلالة على وجوبه ،قال تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً...)آل عمران ١٠٣.

فحرى بنا أن نتعلم هذا الدرس العظيم؛ إذ أن المتأمل في أحوالنا اليوم يجد أن هذا الأمر(الوحدة) من أهم الأمور التي تمس واقعنا المعاصر، وذلك نظرا لأننا نرى أن العنصرية، أو القبلية قد أطلت برأسها تريد أن تفرق جماعتنا، وتشتت صفوفنا تحت مسميات زائفة، رفضها الإسلام وأبطلها؛ قال تعالى (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام ١٥٣.

إن التعاضد والاتحاد يصنع النصر المحقق والقوة المرهوبة ،وينهض بالأمم والحضارات، أما التنازع والاختلاف يضعف الأقوياء ويهلك الضعفاء، فليست ثمة قضية أجمع عليها المسلمون قديما وحديثا مثلما أجمعوا على خطورة التفرق والتنازع، وأن الاجتماع قوة تتضاءل إلى جانبها كل القوى المتفرقة وان التفرق ضعف لا يضاهيه ضعف ، لذلك نهى الإسلام عن الفرقة ،فقال تعالى (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) الأنفال ومن ثم كان لزاما علينا أن نحقق معاني الوحدة والأخوة بالتكافل والتراحم والتعاون على الخير، ودفع كل شر ،والعمل على رفعة ديننا والحفاظ على وطننا، وعدم الانقياد خلف دعاة الهدم والفرقة.

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى ** خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً ** وإذا افترقن تكسرت أفرادا

اللهم إنا نسألك أن ترزقنا حج بيتك الحرام وان تجعل حجنا مبرورا وذنبنا مغفورا الله آمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة

الحمد لله.. أحمد الله ربي بتبتُّل.. فللحمد في الأرض والسماء ذيوع..فما من صائح ولا مهل أو مهلل.. إلا وله حرف لتسبيحه موضوع، وكذا الملائكة حول عرش مكلل.. بالنور تسبيحها في السماء مسموع، حتى الجوامد والسواكن وكل مهمل.. ذراتها في دورانها طاعة وخشوع، فيا غافلًا عن نشيد الكون، ليتك مبلِّل جبينك يومًا بفيض من دموع، فالذكر إذنٌ بالرضا من محمل.. لقلوب الذاكرين بحب مشتاق ولوع، لو ذقت طعم الحب ما كنت بمؤجل ذكر الحبيب، ولو حوطتك من السباع جموع.

وأشهد أن لا إله إلا الله، غير معطل لصفاته العليا بكل تأدب وخضوع، فمن الدلائل والبينات لكل متأمل صراخ الوليد باكيًا إذا أحس الجوع، وسعي الذئب متلهفًا غير متمهل على طعام لصغاره هو عنه ممنوع، وارتزاق الطير عفوًا غير متأثل بما هو له فوق الثرى موضوع، وركض النهم جشعًا ركض متوصل إلى الحتوف كمعصوب العين مدفوع، وسعي الفهم مهلًا سعيَ متوكل على الإله، قانعًا بنصيبه غير هلوع، يسأل سؤال متأدب بتجمل.. لا متعجِّل ولا مستغن بعقله مخدوع، فالرزق وإن بدا أنه بتوسل مقدَّر مقسوم يلائم كل مصنوع..فأرجو الإله داعيًا برجاء مؤمل.. بخشوع قلب على الإيمان مطبوع، وإياك والسعي على الدنيا بتبذل.. فنصيبك منها واصل إليك غير مقطوع.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، مرتلٌ مصدق لتوراة الكليم وإنجيل المطهر المرفوع..نبراس الخلائق بالشريعة والحقيقة متزمل.. صابر على الأذى بغير ضعف أو خنوع..مجادل الغافلين بالتي هي أحسن، متوصِّل إلى البلاغ الأمثل بغير وهن أو خضوع..مقاتل بالسيف والرمح والعزم، متوكل مؤمِّن لمن استجاره بغير غدر أو رجوع، محرم لما حرم الإله في الشرع، ومحلل لما أحل مثال للمؤمنين بربهم متبوع،

قائم بالليل ساجد وراكع متبتل.. نسمات أنفاسه شبع لأرواحنا من جوع، مغفور الذنب مشروح الصدر متذلل راغب إلى الرب، ذِكره في السما مرفوع، لين الكف باسم الثغر وجهه متهلل.. جواد بالخير كالريح غير منوع، يا سائلًا عن شوقنا إليه متعجّبًا، تمهَّل؛ فالحب مشتعل كالجمر بين الحنايا والضلوع، ويا منكرًا لتبرك الصالحين بآثاره، تعقل.. أما علمت أن تبرك أصحابه ببصاقه مشروع، ويا راكبًا فرس الجحود مكابرًا، ترجَّل عن عنادك؛ فالمحبوب قمر والأنبياء شموع.

العناصر

أولا: فضل عشر ذي الحجة

ثانياً: بعض العبادات المشروعة فيها

الموضوع

أولاً: فضل عشر ذي الحجة

الأيام المعلومات: قال تعالى: " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ " (سورة الحج : الآيتان ٢٧ -٢٨) .

قال ابن عباس: الأيام المعلومات هي أيام العشر من ذي الحجة والأيام المعدودات هي أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة.

ولا شـــك ولا ريب أن الليـالي إذا أطلقت دخلت فيها الأيام تبعا وإذا أطلقت الأيام دخلت فيها كذلك الليالي تبعا.

أقسم الله بها: قال تعالى"" وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ". وقد أورد الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية قوله : " وقوله : " وَلَيَالٍ عَشْرٍ " ، هي ليالي عشر ذي الحجة ، لإجماع الحُجة من أهل التأويل عليه " (١)

وأكد ذلك ابن كثير في تفسيره لهذه الآية بقوله : " والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباسٍ وابن الزبير ومُجاهد وغير واحدٍ من السلف والخلف (٢).

ولا شك أن قسمُ الله تعالى بها يُنبئُ عن شرفها وفضلها .

أنـها من الأشـــهر الحرم : ولحرمـة هذه الأيام ومكانتها وعظمهما عند الله تعالى؛ قال جل وعلا (إِنَّ عِدَّةَ الشُّـهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَـرَ شَـهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) التوبة .

أنـها أفضل الأيام: عن جابر ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من أيامٍ أفضل عند الله من أيامَ عشر ذي الحجة ". قال : فقال رجلٌ : يا رسـول الله هن أفضـل أم عِدتهن جهاداً في سـبيل الله ؟ قال : " هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله " (٣)

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ " ما من أيام العمل الصـالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعني أيام العشـر قالوا يا رسـول الله ولا الجهاد في سـبيل الله قال ولا الجهاد في سـبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " (٤)

أتم الله فيها النعمة وأكمل فيها الدين : قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) سورة المائدة

وعن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشـــر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فقال عمر إني لأعلم المكان الذي نزلت فيه واليوم الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله ﷺ في عرفات في يوم جمعة (٥)

فيها فريضة الحج الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام .

فيها (يوم التروية) وهو اليوم الثامن من ذي الحجة الذي تبدأ فيه أعمال الحج .

فيها (يوم عرفة) وهو يومٌ عظيم يُعد من مفاخر الإسلام ، وله فضائل عظيمة ، لأنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، ويوم العتق من النار ، ويوم المُباهاة

فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-أنها قالت : عن رسول الله ﷺ قال : " ما من يومٍ أكثر من أن يُعتق الله عز وجل فيع عبداً من النـار ، من يوم عرفـة ، وإنـه ليدنو ثم يُبـاهي بهم الملائكـة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ " (٦) وعن أنس بن مالك قال : وقف النبي ﷺ بعرفات وقد كادت الشـمس أن تؤوب فقال يا بلال أنصـت لي الناس فقام بلال فقال أنصـتوا لرسـول الله ﷺ فأنصـت الناس فقال معشـر الناس أتاني جبرائيل عليه السلام آنفا فأقرأني من ربي السـلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشـعر وضـمن عنهم التبعات فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا رسـول الله هذا لنا خاصـة قال هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة فقال عمر بن الخطاب ﷺ كثر خير الله وطاب" (٧)

---

(١) تفسير الطبري
(٢) تفسير ابن كثير
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح مسلم
(٧) صحيح الترغيب والترهيب

وعن عائشة قالت : إن رسول الله ﷺ قال : " ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء " (١)

فيها (ليلة جَمع) وهي ليلة المُزدلفة التي يبيت فيها الحُجاج ليلة العاشر من شهر ذي الحجة بعد دفعهم من عرفة .

أن فيها يوم النحر : وهو يوم العاشر من ذي الحجة ، الذي يُعد أعظم أيام الدُنيا كما روي عن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ قال إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر قال عيسى قال ثور وهو اليوم الثاني وقال وقرب لرسول الله ﷺ بدنات خمس أو ست فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ فلما وجبت جنوبها قال فتكلم بكلمة خفية لم أفهمها فقلت ما قال: قال من شاء اقتطع (٢)

جعلها الله ميقاتاً للتقرُب إليه سبحانه بذبح القرابين كسوق الهدي الخاص بالحاج ، وكالأضاحي التي يشترك فيها الحاج مع غيره من المسلمين .

أنها أفضل من الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان : سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل ؟ فأجاب : " أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان ، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة "

مناسبةً سنويةً مُتكررة تجتمع فيها أُمهات العبادات: كما أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله : " والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أُمهات العبادة فيه ، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج .... ولا يتأتى ذلك في غيره "

ثانياً: بعض العبادات والطاعات المشروعة في الأيام العشر:

مما لا شك فيه أن عبادة الله تعالى والتقرب إليه بالطاعات القولية أو الفعلية من الأمور الواجبة والمطلوبة من الإنسان المسلم في كل وقتٍ وحين ؛ إلا أنها تتأكد في بعض الأوقات والمناسبات التي منها هذه الأيام العشرة من شهر ذي الحجة ، حيث أشارت بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى بعض تلك العبادات على سبيل الاستحباب ، ومن ذلك ما يلي :

كثرة العمل الصالح: عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة " قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : " ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء " (٣)

التوبة وكثرة الاستغفار: إذ إن مما يُشرع في هذه الأيام المباركة أن يُسارع الإنسان إلى التوبة الصادقة وطلب المغفرة من الله تعالى ،

وأن يُقلع عن الذنوب والمعاصي والآثام ، ويتوب إلى الله تعالى منها طمعاً فيما عند الله سبحانه وتحقيقاً لقوله

تعالى : " وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (سورة النور : من الآية ٣١) .

ولأن التوبة الصادقة تعمل على تكفير السيئات ودخول الجنة بإذن الله تعالى لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له

وعن الأغر المزني ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة "(٤)

---

(١) صحيح مسلم (٢) مشكاة المصابيح (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح مسلم

الإكثار من ذكر الله : سبحانه وتعالى ودعائه وتلاوة القرآن الكريم لقوله تبارك و تعالى : " وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ " (سورة الحج : الآية ٢٨).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض السلف كانوا يخرجون إلى الأسواق في هذه الأيام العشر ، فيُكبرون ويُكبر الناس بتكبيرهم ، ومما يُستحب أن ترتفع الأصوات به التكبير وذكر الله تعالى سواءً عقب الصلوات ، أو في الأسواق والدور والطرقات ونحوها .

كما يُستحب الإكثار من الدعاء الصالح في هذه الأيام اغتناماً لفضيلتها ، وطمعاً في تحقق الإجابة فيها

المحافظة على الصلاة: يستحب التبكير إلى الفرائض، والإكثار من النوافل فإنّها من أفضل القربات.

روى ثوبان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "عليك بكثرة السجود لله فإنّك لا تسجد لله سجدة إلاّ رفعك إليه بها درجة، وحط عنك بها خطيئة" (١)وهذا في كل وقت.

الإكثار من صلاة النوافل : لكونها من أفضل القُربات إلى الله تعالى إذ إن " النوافل تجبر ما نقص من الفرائض ، وهي من أسباب محبة الله لعبده وإجابة دعائه ، ومن أسباب رفع الدرجات ومحو السيئات وزيادة الحسنات وقد حث النبي ﷺ على الإكثار منها قولاً وعملاً ، وهو ما يؤكده الحديث الذي روي عن ثوبان ﷺ أنه قال : سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : " عليك بكثرة السجود لله ؛ فإنّك لا تسجد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجةً ، وحطَّ عنك بها خطيئةً " (٢)

الإكثار من الصدقات المادية والمعنوية : لما فيها من التقرب إلى الله تعالى وابتغاء الأجر والثواب منه سبحانه عن طريق البذل والعطاء والإحسان للآخرين ، قال تعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ"

ولما يترتب على ذلك من تأكيد الروابط الاجتماعية في المجتمع المسلم من خلال تفقد أحوال الفقراء والمساكين واليتامى والمُحتاجين وسد حاجتهم . ثم لأن في الصدقة أجرٌ عظيم وإن كانت معنويةً وغير مادية

فعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : " على كل مسلم صدقة " . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : " فليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق " . قالوا : فإن لم يستطع ؟ أو لم يفعل ؟ قال : " فيعين ذا الحاجة الملهوف " . قالوا : فإن لم يفعله ؟ قال : " فيأمر بالخير " . قالوا : فإن لمي فعل ؟ قال : " فيمسك عن الشر فإنه له صدقة " (٣)

الصيام : لكونه من أفضل العبادات الصالحة التي على المسلم أن يحرص عليها لعظيم أجرها وجزيل ثوابها ، ولما روي عن صيام النبي ﷺ في هذه الأيام المُباركة ؛ فقد روي عن هُنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : " كان رسول الله ﷺ يصوم تسعَ ذي الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيامٍ من كُلِ شهر ، أول اثنين من الشهر والخميس "(٤)

صيام يوم عرفة: عن أبي قتادة ﷺ قال سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة ؟ قال : يكفر السنة الماضية والباقية " (٥) لكن من كان في عرفة حاجاً فإنّه لا يستحب له الصوم، لأنّ النبي ﷺ وقف بعرفة مفطراً.

قيام الليل : لكونه من العبادات التي حث النبي ﷺ على المُحافظة عليها من غير إيجاب ، ولأنها من العبادات التي تُستثمر في المناسبات على وجه الخصوص كليالي شهر رمضان المُبارك ، وليالي الأيام

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح سنن أبي داود
(٥) صحيح مسلم

العشـــر ونحوها. ثم لأن قيام الليل من صـــفات عباد الرحمن الذين قال فيهم الحق ســـبحانه : " وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً " (سورة الفرقان :الآية ٦٤) . لأنهم يستثمرون ليلهم في التفرغ لعبادة الله تعالى مُصلين مُتهجدين ذاكرين مُستغفرين يسألون الله تعالى من فضله ، ويستعيذونه من عذابه.

الدعاء: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير [١]

زيارة المسجد النبوي: وهي من الأعمال الصالحة المُستحبة للمسلم لعظيم أجر الصلاة في المسجد النبوي فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " صلاةٌ في مسجدي هذا ، خيرُ من ألف صلاةٍ في غيره من المساجد ؛ إلا المسجد الحرام " [٢]

ولما يترتب على زيارة المسلم للمسجد النبوي من فرصة زيارة قبر النبي ﷺ وصاحبيه ﷺ والسلام عليهم وما في ذلك من الأجر والثواب

عدم أخذ شيء من الشعر والبشر والظفر إذا أراد أن يضحي وذلك من أول العشر إلى حين ذبح الأضحية عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها ، قالت : قَالَ رسولُ اللهِ - ﷺ - : ((مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلاَلُ ذِي الحِجَّةِ ، فَلاَ يَأْخُذَنَّ من شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّيَ)) [٣].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ " إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا "[٤].

ومن أخذ شيئًا من شعره وظفره فعليه بالتوبة والاستغفار ولا فدية عليه وأضحيته صحيحة مقبولة بإذن الله، وهذا لا يعم الزوجة ولا الأولاد، ولكنه خاص بمن يريد أن يضـــحي وهو رب الأســـرة أو من اشترى أضحية بماله ولو كان امرأة، ولا يشمل النهي لمن كان وكيلاً عن غيره في ذبح الأضحية أو من يطبق وصـــية غيره؛ فإن النهي لا يشـــمله. ويشـــمل النهي كذلك من وكل غيره فإنه ما دام أنه يريد أن يضحي فإن النهي متوجه إليه، ومن أراد الأضحية وأراد الحج أيضًا فعليه بأن يمسك عن أخذ الشعر والظفر، وعند أداء نسك العمرة فيشرع له أن يأخذ من شعره ليتحلل فقط ويبقى ممسكًا حتى يذبح أضحيته على الراجح من أقوال أهل العلم، وصدق الله إذ يقول: "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ" "الحج: ٣٠"، وقال سبحانه: "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ" "الحج: ٣٢".

ذبح الأضاحي لأنها من العبادات المشروعة التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى في يوم النحر أو خلال أيام التشريق ، عندما يذبح القُربان من الغنم أو البقر أو الإبل ، ثم يأكل من أُضحيته ويُهدي ويتصدق ، وفي ذلك كثيرٌ من معاني البذل والتضحية والفداء ، والاقتداء بهدي النبوة المُبارك .

البعد عن المعاصي فكما أن الطاعات أسباب الود القرب من الله تعالى؛ فالمعاصي سبب البعد والطرد ، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ."[٥].

إصلاح ذات البين فعلى كل مسلم متخاصم أو متشاحن مع أخيه المسلم؛ أن يبادر بإصلاح ذات البين حتى ترفع الأعمال؛ لذلك أخبرنا النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن الشحناء والبغضاء والخصام سبب لمنع المغفرة والرحمات والبركات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) متفق عليه

الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"(١)

وبين ﷺ أن الخصام والشحناء يحلق الحسنات بل الدين كله فقال" دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ "(٢)

فبادر أنت بالخير إذا أعرض عنك أخوك وكن أنت الأخير ، فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" (٣)

للكعبة البيت الحرام قلوبنا ** تصفو وتظهر شوقها المكتوما
طاف العباد بها وصلوا خشعا ** وترنموا بتلاوة ترنيما
تجردوا في كل شي عندما ** جاءوا وقد نالوا الثواب كريما
لبوا نداء الحق بالقلب الذي ** سمع الأذان في السماء رخيما

ألا يا باغي الخيرات أقبِل ** إلى ذي الحجَّة الشهر
به العشر الأوائل حين هلت ** أحب الله خيرا للأنام
بها النفحات من فيض ونور ** إله العرش ذكرا للأنام
بها النحر الذي قد قال فيه ** ما حيلتي في هذه أو ذاكا
بها الميلاد يبدأ من جديد ** إذا ما القلب طُهر من
وبالحسنات فرج كل ذنب ** إذا شئت الوصول إلى المرام
ألا يا باغيَ الخيرات أقبل ** فإن الشهر شهرٌ للكرام
إذا استهواك شيطانٌ فادبر ** ولا تركنْ إلى الفعل الحرام

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد ** سِرْتُم جُسُوما وسِرْنَا نحن
إنّا أقَمْنَا على عُذْرٍ وعَنْ قَدَرٍ ** ومن أقام على عُذْرٍ

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) متفق عليه

فضل يوم عرفة والدروس المستفادة من حجة الوداع

الحمد لله حقًّا فهو الودود خفي الألطاف، المنان بنعم متعددة الألوان والأصناف، الكريم.. المجيب.. المؤمِّن لكل من ارتاع وخاف، اللطيف في بلائه ولو كان من العبد إسراف، القريب المحب لمن دعاه بإلحاح وإلحاف، نحمده تبارك وتعالى ونسأله النجاة مما نخشى ونخاف، ونعوذ بنور وجهه الكريم من الجدل والإسفاف، ونرجوه الصلاح والاستقامة دون مواربة أو التفاف، وأن يُجنِّبنا بفضله الفساد والإتلاف.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حق وإنصاف، شهادة شهدت بها شخوصنا وظلالنا والأعضاء منا والأطراف، شهادة أقرت بها الطيور، والأسماك في البحور، وكذا اللآلئ والأصداف، هي نشيد الموجودات، ومن أجلها قامت السموات، والإقرار بها كافٍ وشاف، هي نور البصائر، وبحقيقتها قوام الأعراض والجواهر، وإنكارها ظلم وإجحاف، هي نفي وإثبات، تدلُّ على وحدانية الذات، مع تعدد الأوصاف، دليلها عبير الورود، ونسيمها أنفاس الوجود، وبالدفاع عنها عز الأسلاف.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المتحقِّق بكمال الأوصاف، عفيف اللسان، فائق الحنان، سريع الانعطاف، سامق القمم، متعدد الهمم، موطأ الأكناف، عظيم خُلقه، وحْيٌ نطقه، جعل رزقه تحت ظل الرمح والأسياف، وطيء الفراش، بسيط اللباس، عيشه الكفاف، مركبه البعير، سريره الحصير، يلبس النعل والخفاف، بالقناعة قد أمر، وبالزهد قد اشتهر، وما امتلأت بطعامه الصحاف، محسن إذا أسَر، عفوٌّ إذا قدَر، لا ينقض الأحلاف، ابتُلي بفقد الأولاد فصبر، ورحب بالموت إذ حضر، كأنه يوم الزفاف، كلامه در منظوم، ولمساته تسعد المحروم، وريقه شهد صاف، حوضه زلال ورواء، وكأسه سلسل وشفاء، وشفاعته للجمع إسعاف، سيد الكل والجميع، وأول متكلم وشفيع، ليس في ذا شك ولا خلاف، أمرنا بالصلاة والسلام عليه، والتأدب في الوقوف بين يديه، وغضِّ الصوت بلا استخفاف.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأشراف، فوق ما خطه قلم مادح أو أضاف، وكلما سعى عبد إلى البيت أو طاف، وطالما كان في الكون أضواء وأطياف .

العناصر

أولاً: فضل يوم عرفة ثانياً: نص خطبة حجة الوداع

ثالثاً: الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

الموضوع

أولاً: فضل يوم عرفة

أحد أيام الأشهر الحرم : قال الله-عز وجل- : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) "سورة التوبة : ٣٦". والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب ويوم عرفه من أيام ذي الحجة.

أحد أيام أشهر الحج: قال الله - عز وجل- : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) "سورة البقرة : ١٩٧" وأشهر الحج هي : شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة.

أحد الأيام المعلومات التي أثنى الله عليها في كتابه : قال الله -عز وجل- : (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) "سورة الحج ٢٨". قال ابن عباس ﷺ : الأيام المعلومات : عشر ذي الحجة.

أحد الأيام العشر التي أقسم الله بها منبها على عظم فضلها وعلو قدرها: قال الله - عز وجل- : (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) "سورة الفجر ٢". قال ابن عباس ﷺ: إنها عشر ذي الحجة قال ابن كثير: وهو الصحيح.

إنه يوم أقسم الله به: والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، فهو اليوم المشهود في قوله تعالى: (وشاهد ومشهود) "البروج: ٣"

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (اليوم الموعود : يوم القيامة، واليوم المشهود : يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة..) (١)

وهو الوتر الذي أقسم الله به في قوله: (والشفع والوتر) "الفجر: ٣"

قال ابن عباس: الشفع يوم الأضحى، والوتر يوم عرفة، وهو قول عكرمة والضحاك.

أحد الأيام العشرة المفضلة في أعمالها على غيرها من أيام السنة: قال النبي ﷺ: (ما من عمل أزكى عند الله - عز وجل- ولا أعظم أجرا من خير يعمله في عشر الأضحى قيل: ولا الجهاد في سبيل الله - عز وجل- ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله - عز وجل- إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء) (٢)

أن يوم عرفة هو من أفضل الأيام عند الله: أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، وهذا ما اخبر عنه الصادق المصدوق سيدنا محمد - ﷺ -؛ فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُنَّ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ)) (٣)

أكمل الله فيه الملة، وأتم به النعمة: قال عمر بن الخطاب –ﷺ- : إن رجلا من اليهود قال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال : أي آية؟ قال: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) " سورة المائدة ٥". قال عمر – ﷺ- : قد عرفنا ذلك اليوم الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة" (٤).

وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها، ولان الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم - عليه السلام - ونفى الشرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد.

وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال تعالى لنبيه - ﷺ -: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) "الفتح: ٢".

أنه اليوم الذي أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم: عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بِنَعْمان- يعني عرفة- وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذّر، ثم كلمهم قِبَلا، قال: (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) "الأعراف "(٥)

---

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح ابن حبان
(٤) صحيح البخاري
(٥) السلسلة الصحيحة

صيام يوم عرفة يكفر ذنوب عامين: عن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (يكفر السنة الماضية والسنة القابلة) [١] وهذا لغير الحاج وأما الحاج فلا يسن له صيام يوم عرفة لأنه يوم عيد لأهل الموقف.

إنه يوم العيد لأهل الموقف : عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق هن عيدنا أهل الإسلام هن أيام أكل وشرب) [٢]

عظم الدعاء يوم عرفة : يوم عرفة يرجى إجابة الدعاء فيه فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [٣]

فعلى المسلم أن يتفرغ للذكر والدعاء والاستغفار في هذا اليوم العظيم، وليدع لنفسه ولِوالديْه ولأهله وللمسلمين...

كثرة العتق من النار فيه: عن عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِى بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ ". [٤]

مباهاة الله بأهل عرفة أهل السماء : وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة السماء فيقول انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثا غبرا "[٥]

كثرة تكبير الله فيه: فقد ذكر العلماء أن التكبير ينقسم إلى قسمين : التكبير المقيد الذي يكون عقب الصلوات المفروضة ويبدأ من فجر يوم عرفة قال ابن حجر –رحمه الله- : ولم يثبت في شيء من ذلك عن النبي ﷺ حديث وأصح ما ورد عن الصحابة قول علي وابن مسعود ﷺ أنه من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام منى) وأما التكبير المطلق فهو الذي يكون في عموم الأوقات ويبدأ من أول ذي الحجة حيث كان ابن عمر وأبو هريرة ﷺيخرجون إلى السوق يكبرون ويكبر الناس بتكبيرهما) والمقصود تذكير الناس ليكبروا فرادى لا جماعة .

فيه ركن الحج العظيم: عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " الحج عرفة من أدرك عرفة ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج أيام منى ثلاثة أيام فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه "[٦]

إنه موقف مصغر عن موقف الحشر: حيث يقف الناس في عرفات مجردين من كل شيء، فالكل واقف أمام رب العزة عز وجل.

يتجلى هناك موقف الإنسانية والأخوة والمساواة، فلا رئيس ولا مرؤوس، ولا حاكم ولا محكوم، ولا غني ولا فقير، ولا أمير ولا مأمور، ولا أبيض ولا أسود ولا أصفر، الكل عبيد لله، الكل يناجي ربه العظيم لينالوا مغفرته ورضوانه.

أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف: عن عائشة _رضي الله عنها_ عن النبي ﷺ قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟) [٧]

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثا غبراً) [٨]

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح ابن حبان (٣) صحيح سنن الترمذي (٤) صحيح مسلم (٥) صحيح ابن حبان (٦) صحيح الجامع (٧) مشكاة المصابيح (٨) صحيح الترغيب والترهيب

ثانياً: نص خطبة حجة الوداع

قال رسول الله ﷺ (أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها

وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل فهو اول ما أبدأ به من دماء الجاهلية

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطاع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم

أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن ان لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت فذكر لي أن الناس قالوا اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ اللهم اشهد [١].

يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : فيبلغ الشاهد الغائب" [٢]

إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث " . تحقيق الألباني :حسن صحيح الولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله "[٣]

ولما فرغ من خطبته نزل عليه قوله تعالى: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأسْلاَمَ دِيناً "المائدة ٣".

وعندما سمعها عمر ﷺ بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان. [٤]

---

(١) صحيح فقه السيرة. قال الامام الالباني (صحيح معظمه في صحيح مسلم)

(٢) السلسلة الصحيحة

(٣) مشكاة المصابيح

(٤) صحيح البخاري

سبب تسميتها بهذا الاسم: وإنما سُمِّيت بحَجَّة الوداع؛ لأنه لم يَحج بعدها، فكأنه ودَّعهم بهذه النصائح الجليلة، حيث لم يَمكث - ﷺ - بعدها سوى ثلاثة أشهر - في أشهر الأقوال - حتى توفَّاه الله.

ثالثاً: الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

سماع جميع الحاضرين بدون مكبرات صوت وعددهم مائة وأربعون ألفاً: فعن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع أصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد ثم نزل الناس بعد ذلك (١)

وكان عددهم حوالي مائة وأربعون ألفاً

حُرمة الدماء والأموال : عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - خطب الناس يوم النحر فقال :" يا أيُّها الناس ، أيُّ يومٍ هذا ؟ " قالوا :يومٌ حرامٌ ، قال : " وأيُّ بلدٍ هذا ؟ " قالوا : بلد حرام ، قال : " فأيُّ شهر هذا؟ " قالوا : شهر حرام ، قال : " فإنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا"- فأعادها مرارًا - ثم رفع رأسه فقال : " اللهمَّ هل بلغْتُ ؟ اللهم هل بلغت " قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده إنَّها لوصيَّتُه إلى أمَّتِه ، " فليُبَلِّغْ الشاهدُ الغائبَ ، لا تَرجِعوا بعدي كفَّارًا يَضرب بعضكم رقابَ بعض " (٢)

فقد بيَّن النبيُّ - ﷺ - حُرمة الدماء والأموال، ووضَّح لنا أن هذه الحُرمة تُساوي حُرمة اليوم والشهر والبلد، ومعلومٌ أن حُرمة البلد الحرام - وهو مكة - حُرمةٌ عظيمة، وحُرمة الشهر الحرام - وهو شهر ذي الحجَّة - حرمة عظيمة؛ فالله - سبحانه وتعالى - جعَل عدَّة الشهور اثنَي عشر شهرًا، منها أربعة أشهر حرم، فالأَشهُر الحرُم هي: ذو القِعدة، وذو الحَجَّة، والمُحرَّم - ثلاثة أشهر مُتواليات - ورجب، فهذه أربعة أشهر حرُم لها حُرمَة عظيمة، فحُرمة الدِّماء والأموال حُرمة شديدة وعَظيمة، ولو تدبَّر الناس هذا الكلام، لَمَا تعدَّى أحد على أحد، ولَمَا سُفكَت الدماء، ولَمَا خُطفَت الأموال، ولما سُرقَت، ولَما اغتُصبَت، ولَعاش الناس عيشةً هنيئةً فيها سعادتهم الدُّنيوية قبل الأُخرويَّة، فهذا التحريم يجعل الإنسانَ يعمل ألف حِساب قبْل أن يتعدَّى على غَيره ليَسفك دمه أو ليأخُذ ماله دون وجْه حقٍّ، ولأمِن الناس على دمائهم وأموالهم، ولما عاشوا في رعْب وخَوف، ويقول النبي - ﷺ - في الحديث الصحيح: ((لا يَحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنَّفس، والثيِّب الزاني، والتارك لدينه المُفارِق للجَماعة))(٣)

فقتْل النفس بغير حقٍّ حرام، فقد جاء في كتاب الله - عز وجل - قولُه تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ) "الأنعام: ١٥١"، فقتْل النفس حرام بالكتاب والسنَّة.

فكيف يتجرَّأ بعض الناس ويَسفِكون الدماء، ويَهدِمون بُنيان النفس، وقد حرَّم الله - عز وجل - ذلك وحرَّمه رسولُ الله - ﷺ -؟!

وكان النبي - ﷺ - إذا أرسل جيشًا أوصاهم ألا يَقتلوا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة ولا طفلاً صغيرًا، فحتى القتال في سبيل الله - عز وجل - فيه حقْن الدماء، فالذي لا يُحارِب لا يُقتَل، هذا مع الكفار، فما بالُنا بحُرمة دماء المسلمين؟

فاتقوا الله - أيها الناس - (وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا)

(١) صحيح سنن أبي داود (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه

اتقوا الله - سبحانه وتعالى - في دماء المسلمين؛ فسوف تُحاسَبون عن كل نفس قُتلتْ بغير حقٍّ، سوف تُســـألون، واذكر - أيها القاتل - حالك عندما تَحمل رأسَ المقتول في يدك يوم القيامة، ويقول المقتول: سلْه يا رب فيمَ قتَلني؟ فماذا أنت قائل؟ وما هي إجابتك؟ يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم الحسرة والنَّدامة، (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) "الحج: ٢".

فيا أيها الناس، حرِّموا الدماء واتقوا الله في الدماء، وحرِّموا الأموال واتقوا الله في الأموال، ولا يأخذ أحد مالاً إلا بحقِّه؛ فالله - عز وجل - سوف يسأل كل صاحب مال مِن أين اكتسبَه؟ وفيمَ أنفقه؟ وليستعدَّ كلٌّ منا للسؤال عن المال مِن أين اكتسبه؟ (ما هي إجابته؟) وفيمَ أنفقَه؟ (ما هي إجابته)؟

وأيما جسْـــم نبَت مِن ســـحْت فالنار أولى به، فكيف يَعلم الناسُ هذا ويأخُذون الأموال بغير حقٍّ، وتَزيد الحرمة عندما يأخذ بعض الناس الأموال بغير حقٍّ، ليس من المال الخاص؛ بل من المال العام مِن أموال الدولة، التي هي حقٌّ لكل واحد في الدولة، فحُرمة المال الخاص وحُرمة المال العام تجعلنا نتقي الله - عز وجل - في كسْب الأموال وتحصيلها.

وضَع النبي -ﷺ- كلَّ شيء مِن أمر الجاهلية: فقال: ((ألا وإنَّ كل شيء مِن أمر الجاهلية موضوعٌ تحت قدميَّ هاتَين))، فكل شيء مِن أمر الجاهليَّة باطل، فالإسلام قد أبطَل أمور الجاهليَّة

فلا كِبر، ولا بطَر، ولا أشَـــر، ولا لوأْد البنات (دفنهنَّ أحياء)، ولا فضْـــل لقبيلةٍ كذا على قبيلةٍ كذا، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ودماء الجاهلية موضـــوعة، ومِن عدل النبي - ﷺ - أنه لم يَحكُم على الناس بما لم يحكُم به على نفسِـــه، ونتعلم مِن ذلك أننا لا بدَّ أن نُنفِّذ أوامر الله - عزَّ وجلَّ - وأوامر النبي - ﷺ - قبل أن نأمُر غيرَنا، لا بدَّ أن نلاحظ أنفســـنا أولاً؛ حتى نكون مُنصـــفين، وحتى لا نكون مِن الذين قال الله - تعالى - فيهم: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) "البقرة: ٤٤".

فبيَّن النبي - ﷺ - أن أول دمٍ يَضعه دم ابن ربيعة

وأيضًـــا بيَّن أن الربا موضـــوع وباطل، وأول ربًا يضـــعه - ﷺ - ربا العباس بن عبدالمطَّلب؛ فالرِّبا باطل وحرام والله - عز وجل - قد حرّم الربا؛ يقول تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) "البقرة: ٢٧٥"

ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) "البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩"، فهذا وعيد شديد لمَن لم يَنتهِ عن الرِّبا.

عن جابر قال: قال رسول - ﷺ -: ((لعن الله آكل الربا وموكله و شاهديه و كاتبه هم فيه سواء)) [1]

فآكِل الربا مَلعون، واللعنَةُ: هي الطرد مِن رحمة الله - عز وجل - فعلينا بتقوى الله - ســـبحانه وتعالى - وأكْل الحلال، والبُعد عن أكل الحَرام، والبُعد عن التعامل بالربا الذي يُطرَد آكِلُه من رحمة الله تعالى.

التحذير من الذنوب والمعاصـي: لأن الذنوب والمعاصـي هي سـبب كل وباء نعيش فيه على المسـتوى الخاص أو المستوى العام، فعدم بركة الوقت سببه المعاصي، وعدم بركة الرزق وتسلط اليهود علينا، وضيق الصدور، وتقطيع الأرحام، ونشوز الزوجات، وكل ما نحن فيه من هم وغم ونكد سببه المعاصي، وقد ســـخروا منا يوم أن وقع الزلزال وخرجت بعض الأقلام الإســـلامية تكتب وتقول: إن ســـبب ذلك هو المعاصـي، واستهزأوا وسخروا، وقالوا: إنما هي كوارث طبيعية وظروف مناخية، ونسـي القوم ان الله تعالى بين أن أثر الإيمان والتقوى والاستغفار في حصول الخير لأهل الأرض، والتكذيب والمعاصي اساس

---

[1] صحيح الجامع

للذل والعذاب فقال –تعالى-:"وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" الأعراف ٩٦"

وهذا رجل من السلف كان يسير في الطريق فقابله رجلاً سيء الخلق فسبه ولعنه وتطاول عليه، فقال له: انتظر، ثم دخل إلى مسجد بجواره فتوضأ وصلى ركعتين ثم خرج يقول له: ما سلطك الله علي إلا بذنب ارتكبته، نعم فالله تبارك وتعالى لا يسلط هذا السفيه على الصالح إلا بسبب ذنب، فعاد الرجل يصلي ويستغفر

وكان السلف يقولون: كنا نعرف المعصية في خلق الزوجة والدابة، بمعنى: أن الزوجة لا تطيع، فإن وجدت ذلك فراجع نفسك إن كنت تقياً، ولا ترتكب المعاصي والذنوب، وكذلك الدابة، وتأمل يا مسلم ماذا فعلت المعاصي بالأقوام السابقة، ما الذي أغرق فرعون؛ إنها المعصية، ما الذي خسف بـ قارون الأرض؛ إنها المعصية، ما الذي أرسل على ثمود الريح؛ إنها المعصية "فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ" "الحاقة ٥ ـ ٧".

والخلاصة: أن سبب البلاء الذي نعيش فيه المعاصي التي نقترفها ونجاهر بها ليل نهار.

المُعامَلة الحسَنة مع النساء: يقول النبي - ﷺ -: ((فاتَّقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمة الله))، فأمرنا النبي - ﷺ - بتقوى الله تعالى في النساء، وعلَّمنا أن نؤدي الحقوق التي علَينا قِبَل النساء، وبيَّن لنا - عليه الصلاة والسلام - أن أصل الفروج حرام بقوله: ((واستحللتُم))، فالأصل أن الفروج حرام، ولا يحلُّ منها إلا ما أحله الله - تعالى –

وقد أمَرنا الله - تعالى - بغضّ الأبصار؛ فقال - عزَّ وجل -: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) "النور: ٣٠ ـ ٣١".

فالأمر بغضّ البصر الذي هو بَريد الزنا يدلُّ على تحريم الفروج؛ حيث منع ما يُتوصَّل به إليه، والله - عزَّ وجل - قال: (وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) "الإسراء: ٣٢".

وبيَّن - عز وجل - المحرَّمات من النساء في كتابه العزيز، وبيَّنها رسول الله - ﷺ - في الأحاديث الصَّحيحة.

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - أحلَّ لنا الزواج مِن النساء، فقد أمَرنا الرسول - ﷺ - بتقوى الله - تعالى - في النساء والإحسان إليهنَّ، فعلى الأزواج أن يُحسِنوا في إطعامهن، وكسوتهنَّ، وأن يُعاشِروهنَّ بالمعروف

يقول الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) "النساء: ١٩"

وكان النبي - ﷺ - خير الناس لأهلِه، وهو قُدوتنا - ﷺ.

ونُلاحِظ مِن خلال الخُطبَة الجامِعة أن على النساء ألا يوطِئنَّ فرُش الرجال أحدًا يَكرهه الزوج، وبيَّن - عليه الصلاة والسلام - أن هذا حقٌّ للرجال على النساء، فإن خالَفتْ ذلك، فهي تستحقُّ الضرب غير المُبرِّح، فالضرب هنا ليس للتعذيب وليس للانتقام، ولكن للتقويم؛ حتى يفهم الناس السنَّة على حقيقتِها.

الاعتصام بالقرآن والسنة: فقد بيَّن النبي - ﷺ- أن اعتصامنا بالكتاب والسنَّة فيه النجاة مِن كل شرٍّ وسوء، فإذا أراد المسلمون الثبات على الهداية، فعليهم أن يتمسَّكوا بالقرآن والسنَّة، والقرآنُ الكريم والسنَّة المشرَّفة فيهما سعادة مَن تمسَّك بهما في الدارَين (الدنيا والآخِرة).

يقول الله - عز وجلَّ -: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) البقرة.

ويقول عزَّ وجل: (الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) "إبراهيم: ١".

والنبي - ﷺ - قد بيَّن لنا كل شيء؛ فما كان فيه خير لنا، فقد أمَرنا به، وما كان فيه شرٌّ لنا، فقد نهانا عنه.

وسبحانه الله العظيم! جعَل الدِّين يُسرًا، ففي أحكام الشريعة كل التيسير.

ونُلاحظ أن الله - سبحانه وتعالى - ذكَر آيةً عظيمة في القرآن الكريم يجب علينا أن نتدبَّرها، وقد ذكرها - عز وجل - بعد الأمر بالصيام، فقال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) "البقرة: ١٨٥"

ففي أحكام الله - عزَّ وجل - اليُسر على الخَلق.

فعلينا أن نتمسَّك بكتاب الله - عز وجل - وبسنَّة رسول الله - ﷺ - حتى نَثبُت على الهداية، على الصِّراط المستقيم - إن شاء الله تعالى.

الإخوة في الله: الإخوة في الله التي ندرت في زمننا هذا، يقول ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [1]

ومعيار الإخوة في الله هو: (أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك)، فهل منا من يحب لأخيه ما يحب لنفسه، أم منا من يخطط لدمار أخيه؟

أهدى رجل من السلف ذراع شاة لأخيه، فأخذ الرجل الذراع وقال: من هو أحوج مني إليه؟ لي أخ يحتاج إليه فأعطاه له، والثالث أخذ الذراع وقال: من أحوج إليه مني؟ لي أخ فأعطاه له، وظل الذراع يدور بينهم حتى عاد إلى الأول، إنه الإيثار الذي عدم هذه الأيام.

وأنتم أيضاً تقرؤون عن الذين احتضروا في معركة من المعارك، فجاء الساقي إلى الأول ليسقيه، فرفض وقال: اذهب إلى أخي الذي بجواري فإنه أشد حاجة مني إلى الماء، وهذا عند الاحتضار! والثاني يقول له: اذهب إلى من بجواري فإنه أحوج إلى الماء مني، وظل يدور بينهم حتى وصل إلى الأخير، ثم قال: عد به إلى الأول، فجاء إلى الأول فوجده قد فارق الحياة، وكذلك الثاني والثالث، فماتوا جميعاً دون أن يشربوا شيئاً، إنه الإيثار والأخوة الصادقة، فأين هي الآن؟ نسأل الله العفو والعافية.

المساواة بين الناس : الإسلام رسالة عالية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعاً لا فرق بين عربي وأعجمي قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) "الفرقان: ١"

---

[1] صحيح الترغيب والترهيب

دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية، وأعلن الأخوة الإسلامية قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات.

فالإسلام يقرر المساواة بين البشر، فهم سواسية كأسنان المشط، لا تفاضل بينهم إلا على أساس التقوى والعمل الصالح، وما يقدم كل منهم لربه ولنفسه ووطنه ومجتمعه الإنساني..

فالإسلام دين المساواة، والمجتمع الذي يقوم أفراده على قدم المساواة هو مجتمع يشع منه الاطمئنان والأمان، والمحبة والتعاون على البر والتقوى، أما إذا انعدمت المساواة فى مجتمع نتج عنه الصراع وظهرت الطبقية، وتزعزعت الثقة بين الناس.

شهادة المسلمون على ما قاله النبي ﷺ : بعدما بيَّن رسول الله - ﷺ - ما بيَّن في خطبته، قال للصحابة: ((وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟!)) قالوا: "نشهد أنك قد بلَّغتَ رسالات ربك، وأدَّيت، ونصَحت لأمَّتك، وقضيتَ الذي عليك"، فقال بإصبعه السبابة، يَرفعها إلى السماء ويَنكتها إلى الناس: ((اللهم اشهَد، اللهم اشهَد)).

وفيه دليل على أن الله - عز وجلَّ - في السماء، فهذه هي العقيدة الصحيحة والإيمان الموافق للكتاب والسنَّة، ولا نقول كما يقول بعضهم: الله في كل مكان، أو أن الله ليس له مكان، كلُّ هذه اعتقادات باطلة؛ لأن القرآن والسنَّة فيهما شفاء لما في الصدور، وقد جاء في القرآن قوله تعالى: (أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) "الملك: ١٦".

وقد أقرَّ النبي - ﷺ - الجارية التي سألها: ((أين الله؟)) قالت: في السماء، فقال - عليه الصلاة والسلام -: ((أَعتِقها؛ فإنها مؤمنة))، فعلينا بالاتِّباع؛ ففيه النجاة، ولا داعي للتأويل، والتحريف، والتمثيل، ما دام أن النُّصوص واضِحة ولا لَبس فيها.

ويشهد الصحابة أن رسول الله - ﷺ - أدَّى ما عليه، وما قصَّر في شيء، ونحن نشهد بذلك؛ فالنبي - عليه الصلاة والسلام- أدى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصَح الأمة، فكشف الله به الغمَّة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبِه، ومَن اهتدى بهدْيه وعمل بسنَّتِه إلى يوم الدِّين، فلنأخُذ هذه الدروس التي يَنفعنا الله - تعالى - بها، وعلينا اتِّباع السنَّة، ولنبتعد عن كل بدعة؛ لأن كل بدعة ضلالة، وعن أمِّ المؤمنين عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ))[1]

فعلينا باتِّباع السنة المطهَّرة؛ حتى يُطهِّر الله قلوبنا وأعمالنا مِن البِدع والمُحدَثات.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[1] متفق عليه

عيد الأضحى المبارك

الحمد لله كما ينبغي لجلاله فهو الرحيم الرؤوف، اللطيف بعبده المؤمن في كل الظروف، فلو أُلقي العبد في بحر زاخر وهو مكتوف، أو طرح في الخلاء عاريًا في يوم قر عصـــوف، أو ناله في قعر ســـجن من العذاب صنوف، أو أُلقي في غيابة جُبٍّ مظلم وهو مكفوف، أو أصابه من الأسقام مرض غير معروف، أو صُـــلب في جذوع النخل مظلومًا والناس عنه عزوف، لم يَعْنِ ذلك أنه من ديوان الحب محذوف، فاللطف منه الخفي ومنه الظاهر المكشـــوف، يونس وأيوب ويوســـف، ويمين بالله محلوف، على أنهم والأواه قد نالهم من البلاء صنوف، هم الكواكب وشمسُهم أحمد على حب الإله عكوف، فإن هوى المحب على مراد حبيبه معطوف.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة حريص ملهوف، على أن يموت عليها ولو ضربًا بالسيوف، شهادة تحمينا من الشرور وسوء الحتوف، وتنأى بنا عن المنكر، وتسلك بنا طريق المعروف، شهادة نبعث عليها آمنين إذا لحق بالقمر الخســـوف، وننجو بها من الفزع الأكبر والهول المخُوف، شـــهادة تحقق لنا من الله وعدًا غير مخلوف، وتلحقنا بالموحدين المخلصين لحوق الأصابع بالكفوف، وتظلنا بظل العرش حيث الكل بين يدي الحق موقوف.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الموصوف، نورًا كضوء الشمس من غير سحب أو كسوف، هل سعد الزمان بمثله أو صنوه؟ إلف ألوف، أو شرف الكلام بمثل حكمته ثمار وقطوف، لو جاءت الأيام كلها تســـعى في صـــفوف، لزفت الليالي يوم مولده بالدفوف، درة الأيام على مر الزمان عطوف، بعبير أنفاس عبقت بها جدران مكة والســـقوف، لو أن نبت الأزهار من قطر الندى مألوف، لنبت من حبات عرَقه من الورود ألوف، لو علم جده حين كان بالبيت يطوف، مســـتبشـــرًا به كم رغمت بمبعثه أنوف، لظل يلهج بالثناء بغير ملل أو وقوف، ولعلم أن ما سماه به مختارًا من حروف،

قد سبق به القرآن وبشهادة الرب محفوف، محمد رسول الله في سورة الفتح موصوف، لو يعلم الواطئ ثرى المدينة بنعله المخصـــوف، ما يحوي الثرى لمشـــى على الجفون كمِشـــية المشـــغوف، بالحب، أو بالشوق، أو كرجاء طفل من أمه مخطوف، أهو الشوق، أم هو الحب، بل كلام الصب غير مألوف

العناصر

أولاً: تضحية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ثانياً: أقسام التَّضْحية

ثالثاً: نماذج على التضحية رابعاً: الواجب على المسلم في العيد

الموضوع

الله أكبر... الله أكبر ما لبس الحَجِيج ملابسَ الإحرام.. الله أكبر ما رأوا الكعبة فبدَؤُوها بالتحيَّة والسلام.. الله أكبر ما استلَمُوا الحجر، وطافُوا بالبيت، وصلُّوا عند المقام..

الله أكبر ما اهتدوا بنور القرآن، وفرحوا بهدي الإسلام.. الله أكبر ما وقَف الحجيج في صَعِيد عرفات.. الله أكبر ما تضرَّعوا في الصفا والمروة بخالص الدعوات.. الله أكبر ما غفَر لهم ربهم، وتحمَّل عنهم التَّبعات.. الله أكبر ما رموا وحلَقُوا وتحلَّلوا ونحَرُوا، فتمَّت بذلك حجَّة الإسلام.. الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسُبحان الله بُكرةً وأصيلاً....

أولا: تضحية سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

أيها المسلم الكريم: ما أحوج الأمة في هذه الأيام، وفي هذا اليوم العظيم يوم الأضحى أن تتعلم - درس التضحية والفداء - من خليل الله إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فسيدنا إبراهيم عليه السلام قد قدم للبشرية كلها أغلى وأعلى دروس التضحية والفداء.

فتعالوا بنا اليوم لنتعلم من خليل الله إبراهيم خلق التضحية لأن اليوم هو يوم التضحية، فها هو إبراهيم عليه السلام بعدما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة ما يدل على صدق نبوته وبطلان ما هم عليه وقد رأو خروجه من النار بأعينهم ومع ذلك زادوا عنادا .... قال تعالى "قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)" ، فلذلك هاجر بين أظهرهم وقال" وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) "

يعني أولاداً طائعين مطيعين يكون عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم فتضرع إلى الله جل وعلا أن يرزقه ولداً صالحاً ليعينه في هذه الحياة، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) "الصافات: ١٠٠".

واستجاب الله جل وعلا دعاء خليله إبراهيم، فبشره بغلام حليم:)فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)

وكان عمره حينها ستاً وثمانين سنة كما قال ابن كثير في قصص الأنبياء عن هاجر: وولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة، وأوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة فخر ساجدا لله ولم يكد إبراهيم عليه السلام يأنس بولده ويسعد بصباه ويفرح بسعيه معه، إلا ويفاجأ إبراهيم بالابتلاء العظيم؛ إنه يرى أنه يذبح ولده في المنام بيديه! ورؤيا الأنبياء وحي.

هل تتصورون هذه اللحظات ؟

أب مرت عليه السنوات الطويلة ولم يرزق بذرية ثم يدعو ربه فيرزقه الله بولد وليس أي ولد إنما بغلام حليم ثم يؤمر بعد ذلك بذبحه كيف يكون حاله؟ كيف يكون موقفه؟

لكن خليل الرحمن عليه السلام يقوم لينفذ أمر ربه جل وعلا بهذا الغلام البار الحليم، ويقول له: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)

فيرد الغلام البار: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

إنها التضحية، التضحية بماذا؟ التضحية بالابن الوحيد الذي طالما تطلع إليه إبراهيم عليه السلام، إنه الابتلاء الذي لا مثيل له في تاريخ البشر، إنها التضحية التي تعجز عقول البشر أن تتصورها مجرد تصور فحسب...

وانطلق إبراهيم للتنفيذ فعلاً: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)

وقيل أن إسماعيل عليه السلام أراد أن يخفف عن أبيه لَوْعة الثكل ويُرشده إلى أقرب السبل ليصل إلى قصده فقال لأبيه إبراهيم:

يا أبت اجعل لي وثاقًا وأحْكِم رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليك من دمي فتراه أمي فتحزن، وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، فأقبل عليه إبراهيم برأفة وحنان الآباء يُقَبِّله ويبكي ويقول له: نعم العون أنت لي يا بُنيّ على أمر الله عز وجلّ .

قال الله تعالى: "فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)" أي فلما استسلما لأمر الله وألقاه على وجهه .

وأمرّ إبراهيم السكين على رقبة ولده إسماعيل فلم تقطع شيئًا لأن الله تبارك وتعالى لم يشأ لها أن تقطع، لأن السكين لا يقطع بطبعه وبذاته وإنما خالق القطع هو الله تعالى وحده، والسكين سبب للقطع فلا تقطع إلا بمشيئة الله فالله تبارك وتعالى خالقٌ للسكين وخالق للقطع أي خالق للسبب والمسبَّب، فالأسباب لا تخلق شيئًا وإنما الخالق هو الله تعالى وحده، كما أنَّ الله تعالى هو خالق الإحراق وخالق النار التي هي سبب للإحراق، فالنار لم تحرق نبي الله إبراهيم عندما أُلقي فيها لأن الله تعالى خالق الإحراق ولم يشأ لها أن تحرق نبيه إبراهيم عليه السلام يقول الله جلت قدرته: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)" "سورة الزمر".

وعندما أَمرّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام السكين على رقبة إسماعيل عليه السلام فلم تحك شيئًا ولم تقطع نُودي: "أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" .

أرسل الله عَظُمت قدرته لإبراهيم فداءاً لإسماعيل بذبح وهو كبش عظيم قيل: كان قد رَعى في الجنة أربعين سنة وكان هذا الكبش أبيض عظيمًا أقرنَ ذبحه إبراهيم بمنى فداء ابنه إسماعيل عليه السلام.

سلام على خليل الرحمن سيدنا إبراهيم الذي علم الدنيا خلق التضحية في سبيل الله.

فاضت بالعبرة عيناه ** أضناه الحلم وأشقاه
شيخ تتمزق مهجته ** تتندى بالدمع لحاه
ينتزع الخطوة مهموما ** والكون يناشد مسراه
وغلام جاء على كبر ** يتعقب في السير أباه
والحيرة تثقل كاهله ** وتتعثر في الدرب
ويهم الشيخ لغايته ** ويشد الابن بيمناه
بلغا في السعي نهايته ** والشيخ يكابد بلواه
لكن الرؤيا لنبي ** صدق وقرار يلقاه
والمشهد يبلغ ذروته ** وأشد الأمر وأقساه
اذ تمرق كلمات عجلى ** ويقص الوالد رؤياه
وأمرت بذبحك يا ولدي ** فانظر في الأمر
ويجيب الابن بلا فزع ** افعل ما تؤمر أبتاه
لن نعصى لالهي أمرا ** من يعصي يوما
واستل الوالد سكينا ** واستسلم الابن لرداه
ألقاه برفق لجبين ** كي لا تتلقى عيناه
أرأيتم قلبا أبويا ** يتقبل أمرا يأباه؟؟
أرأيتم ابنا يتلقى ** أمرا بالذبح ويرضاه؟
وتهز الكون ضراعات ** ودعاء يقبله الله
تتوسل للملأ الأعلى ** أرض وسماء ومياه
ويقول الحق ورحمته ** سبقت بفضل عطاياه

صدقت الرؤيا لا تحزن ** يـا إبراهيم فـديـنـاه

القصيد ة مختصرة

أرأيـتـم قـلـبـا أبـويـا ** يتقبـل أمرا يـأبـاه؟؟
أرأيـتـم ابـنـا يـتـلـقى ** أمرا بالذبح ويرضاه؟
ويجيب الابن بلا فزع ** افعل مـا تؤمر أبتـاه
لن أعصى لإلهي أمرا ** من يعصـــي يومـا
واسـتل الوالد سـكينا ** واستسلم الابن لرداه
ألقـاه برفق لـجبين ** كـي لا تتلقى عينـاه
وتهز الكون ضراعات ** ودعـاء يـقبـلـه الله
يتضـرع للرب الأعلى ** أرض وسـماء ومياه
ويجيب الحق ورحمته ** سبقت بفضل عطاياه
صدقت الرؤيا لا تحزن ** يـا إبراهيم فـديـنـاه

فأين مسلم اليوم من خلق التضحية؟ ما هو دوره من التضحية؟ ماذا بذل وقدم من تضحيته لدينه وعقيدته؟ نعم نحن نضحي من أجل المال، ونضحي من أجل الوظيفة، ونضحي من أجل الزوجة والأولاد، ونضحي من أجل العشيرة، ونضحي من أجل الكرسي، لكن القليل منا من يضحي من أجل دينه وعقيدته!

ثانياً: أقسام التَّضْحية

تنقسم التَّضْحية إلى قسمين:

التَّضْحية المحمودة (المشروعة): ومنها:

أ-التَّضْحية بالنَّفس: قال تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ "البقرة: ٢١٦".

(أخبر أنَّه مكروه للنُّفوس؛ لما فيه من التَّعب والمشقَّة، وحصول أنواع المخاوف، والتعرُّض للمتالف، ومع هذا، فهو خيرٌ محضٌ؛ لما فيه من الثَّواب العظيم، والتَّحرُّز من العقاب الأليم، والنَّصر على الأعداء والظَّفر بالغنائم، وغير ذلك، ممَّا هو مُرَبٍّ، على ما فيه من الكراهة) .

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ((من خير معاش النَّاس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هَيْعَةً، أو فزعة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانَّه، أو رجل في غنيمة في رأس شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصَّلاة، ويؤتي الزَّكاة، ويعبد ربَّه حتَّى يأتيه اليقين، ليس من النَّاس إلا في خير))[1]

ب-التَّضْحية بالمال: قال تعالى: وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ "الحديد: ١١".

كذلك تدلُّ وقائع التَّربية النَّبويَّة على أنَّ الرَّسول ﷺ كان يشترطها، ويجعلها شارة الإيمان وصدقه. والإنسان عنده ميل فطري إلى أن يضَحِّي بنفسه وماله في سبيل المثل الأعلى، بل إنَّ هذه التَّضْحية هي أمر راسخ في فطرة الإنسان، وجزء من وجوده، وما تعظيم الشَّجَاعَة عند البَشَر إلا تقديرًا لقيمة التَّضْحية في سبيل المثل الأعلى، ولذلك جُعل الجهاد أفضل الأعمال فعن ابن عباس، قال: ((كان رسول الله ﷺ أجود النَّاس،

---

[1] متفق عليه

وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الرِّيح المرسلة)) (١)

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطَّاب، يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق، فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا)) (٢)

ج-التَّضْحية بالوقت لبذل العلم.

د-التَّضْحية بنفع البدن.

التَّضْحية المذمومة (غير المشروعة): التضحية المذمومة هي التَّضْحية في نصرة باطل، أو من أجل جاهلية، وكل تضحية لم تكن في سبيل الله أو ليست ابتغاء مرضاته، أو تحقيقًا لمقصد غير شريف فهي مذمومة.

فعن أبي موسى ﷺ قال: ((جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما القتال في سبيل الله؟ فإنَّ أحدنا يقاتل غضبًا، ويقاتل حَمِيَّةً، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلَّا أنَّه كان قائمًا، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عزَّ وجلَّ)) (٣)

ثالثاً: نماذج على التضحية

إن التضحية أيها المسلم هي أساس عزة الأمة، ولذلك سلفنا الصالح ضحوا بالغالي والرخيص والدم والنفيس لوجه الله جل وعلا، تحمَّلوا الجوع والعطش والبرد والأذى لخدمة هذا الدين، صبروا على الامتحان، وآثروا العقيدة على نعيم الدنيا، تركوا أموالهم وعشيرتهم وأوطانهم، ضحوا بالمصالح، وأواصر القربى والعلاقات والروابط، ضحوا بعلاقاتهم مع آبائهم وأبنائهم، وإخوانهم وأخواتهم وعشيرتهم في سبيل مرضاة الله جل وعلا، وفي سبيل إعلاء دينه، ورفعة كلمته.

رسول الله ﷺ : الرَّسول ﷺ قمة في الأخلاق الكريمة، وفي التَّضْحية والشَّجَاعَة، فكان أشجع النَّاس، وأقواهم قلبًا، وأثبتهم جنانًا، وقد كانت حياته كلُّها تَضْحية في سبيل الإسلام

فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((لقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، وأخفت في الله، وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثون ليلة من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال ﷺما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال)) (٤)

مصعب بن عمير: هذا سيدنا مصعب بن عمير الصحابي الجليل أول سفير للنبي (ﷺ) إلى أهل المدينة، الرجل الذي سجل موقفا عظيما في التضحية، مصعب كان أجمل شباب قريش، وأعطرهم، وأطيبهم، وأترفهم دلالاً، فلما خالط الإيمان بشاشة قلبه، وآمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد (ﷺ) نبيا ورسولا، فسمعت به أمه فجاءت إليه فقال يا مصعب سمعت أنك آمنت بدعوة محمد (ﷺ) قال نعم يا أماه قالت له أريدك أن تكفر بدعوة محمد (ﷺ) فقال لها لا يكون ذلك يا أماه. قالت له: سأحرمك من نعيمك ومن ترفك، وما أنت فيه؟

فماذا يفعل مصعب هل يتخلى عن المال والجاه والترف؟ أم يتخلى دين سيدنا محمد (ﷺ)؟ وكلنا يعرف أن المال شقيق الروح، وأن المال له سحره وبيانه ، وكم رأينا في دنيا اليوم من أخوين ناما في فراش واحد

(١) صحيح مسلم (٢) مشكاة المصابيح (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح الجامع

ورضعا من ثدي واحد وأكلا من رغيف واحد فرق بينهما المال.. وكم رأينا أرحام تقاطعت بسبب المال.. وكم من أسرة تفرقت بسبب المال.. وكم إنسان قتل أخاه من أجل المال.. وكم من إنسان باع دينه وضميره من أجل الحصول على المال.

لكن سيدنا مصعبا لم يؤثر فيه حب المال بل ضحى بالمال والترف والنعيم واختار دين محمد (ﷺ) فقدمها وبذلها لله، فلبس أخشن اللباس، وبقي زاهداً في ذلك كله، حتى إنه ﷺ لما استشهد لم يجدوا ما يكفنونه به، فكفن بعباءة إذا غطي رأسه بدت رجلاه، وإذا غطيت رجلاه بدا رأسه، وكان من أعطر وأثرى وأجمل وأترف شباب قريش، ولما مر النبي (ﷺ) على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، وقف ودعا له، ثمّ تلا قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) "الأحزاب: ٢٣".

فأين الأمة من تضحية سيدنا مصعب ﷺ ؟ هذا درس عظيم في التضحية يقدمه سيدنا مصعب لكل من باع دينه من أجل المال، وكل من ضحى بدينه من أجل الوظيفة. وكل من باع دينه من أجل الجاه والمنصب. ليقول لهم: ضحوا بكل من أجل دينكم وعقيدتكم فالدنيا زائلة والآخرة هي خير وأبقى.

حكيم بن حزام: صحابي من أصحاب النبي (ﷺ) ممن ضحوا لهذا الدين.. حكيم، يسلم إسلاماً يملك عليه لبَّه، ويؤمن إيماناً يخالط دمه، ويمازج قلبه، وهو يقطع على نفسه عهداً أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية، أو نفقة أنفقها في عداوة رسول الله ﷺ بأضعاف أضعافها، وقد بَرَّ في قَسَمِه، وصدق فيما عاهد. فيوم آلت إليه دار الندوة التي كانت تعقد قريش مؤتمراتها فيها في الجاهلية، ويجتمع ساداتها وكبراؤها فيها ليأتمروا برسول الله (ﷺ)، هذه باعها بمائة ألف درهم، فيقول فتى من قريش: بعت مكرمة قريش يا حكيم! فقال: "يا بني! ذهبت المكارم كلها ولم يبقَ إلا التقوى، أو ما يسرك يا بني! أن أشتري بها داراً في الجنة؟ إني أشهدكم أني جعلت ثمنها في سبيل الله؛ أرجو ذخرها وبرها عند الله" ضحى بثمنها كله في سبيل الله.

ثم انظر إليه يوم ذهب لحج بيت الله الحرام ساق أمامه مائة ناقة مجللة بالأثواب الزاهية، ثم ينحرها جميعها؛ تقرباً إلى الله تعالى...ولا تعجب يوم يحج ثانية فيقف في عرفات، ومعه مائة من عبيده، قد جعل في عنق كل واحد منهم طوقاً من فضة، نقش عليه عتقاء لله عز وجل ثم يعتقهم جميعاً على عرفات؛ ويسأل الله عز وجل أن يعتق رقبته من النار...ثم يحج ثالثة فيسوق أمامه ألف شاة، ثم يريق دماءها كلها في منى، ويطعم بلحومها فقراء المسلمين؛ تقرُّباً لله -عزَّ وجلَّ-.هكذا ضحى أصحاب محمد (ﷺ) وضربوا أروع الأمثلة في التضحية بأموالهم، ولم يضحوا بأموالهم فحسب، بل ضحوا بدمائهم في سبيل الله رجاء ما عند الله.

عمرو بن الجموح: وهذا عمرو بن الجموح رجل أعرج لا جهاد عليه، قد أسقط الله عنه الجهاد، لكنه يسمع النداء: يا خيل الله اركبي، حي على الجهاد، ويريد أن ينطلق للجهاد في سبيل الله جل وعلا، فيقول أبناؤه الأربعة الذين ما تركوا غزوة مع رسول الله؛ يقولون لأبيهم: يا أبانا لقد أسقط الله عنك الجهاد، ونحن نكفيك، فيبكي عمرو بن الجموح وينطلق إلى النبي ﷺ ليشتكي لرسول الله وهو يقول: يا رسول الله! إن أبنائي يمنعوني من الخروج للجهاد في سبيل الله، ووالله إني لأريد أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فيلتفت النبي ﷺ إلى عمرو ويقول: يا عمرو فقد أسقط الله عنك الجهاد، فقد عذرك الله جل وعلا، ومع ذلك يرى النبي رغبة عارمة في قلب عمرو بن الجموح للجهاد في سبيل الله، فيلتفت النبي ﷺ إلى أبنائه الأربعة ويقول لهم: (لا تمنعوه! لعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله). وينطلق عمرو بن الجموح، لا أقول يبحث

عن النصر، بل يبحث عن الشهادة في سبيل الله جل وعلا، ويرزقه الله الشهادة في سبيله، صدق الله فصدقه الله جل وعلا. ويمر عليه النبي ﷺ بعدما قتل فيقول: (والله لكأني أنظر إليك تمشي برجلك في الجنة وهي صحيحة).

وكذلك لا يخفى علينا قصة الغلام والراهب والساحر وغيرها من القصص والنماذج....

وبعد هذا كله أدعوكم من خلال درس التضحية إلى أن نهيئ أنفسنا للتضحية بالنفس، للتضحية بالمال، للتضحية بالأولاد، للتضحية بالأوقات، للتضحية بأغلى ما نملك لدين الله جل وعلا، وبغير هذه التضحية لا عزة لنا ولا كرامة والله ثم والله لا عزة ولا كرامة للأمة إلا بالتضحية.

فالمسلم الذي يحافظ على صلاته في وقتها هذه تضحية

الموظف الذي يؤدي وظيفته بأمانة وإتقان هذه تضحية

العامل الذي يعمل بإخلاص ولا يغش هذه تضحية

الطيب الذي يخدم الإنسان بعلمه هذه تضحية

الزوج الذي يعمل ليعف نفسه وأهله هذه تضحية

الزوجة التي تطيع زوجها وتقوم على خدمتها هذه تضحية

الولد الذي يعمل جاهدا على إرضاء أبويه هذه تضحية

المسلم الذي يعفو ويسامح الآخرين هذه تضحية.

وكل مسلم يقدم خدمة لله ولمجتمعه ولأمته فهذه تضحية.

فأين من يسلك طريق التضحية ويسجل له موقفا ينفعه هناك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رابعاً: الواجب على المسلم في العيد

صله الرحم: قال تعالى "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا" سوره النساء

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(١)

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " (٢)

وحذر الله تعالى من قطيعة الرحم : فقال تعالى " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ "محمد

وقال تعالى " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" البقرة

وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم" (٣)

وعن جبير بن مطعم ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول لا يدخل الجنة قاطع " قال سفيان يعني قاطع رحم . (٤)

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) متفق عليه

مراعاة الآداب الإسلامية في اللباس: على النساء المسلمات أن لا يلبسن إلا ما أمر الله سبحانه وتعالى به بأن يكون موافق لما أمر به رسول الله ﷺ بأن لا يكون زينة ، ولا يكون ضيقا ، ولا يكون معطرا ، ولا شفافا ، ولا يشبه لباس الرجال ، ولا يشبه لباس الكفار ، ولا لباس شهرة لأن من تخالف ذلك توعدها النبي ﷺبالعذاب الشديد

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " (١)

غض البصر عن الحرام ومنع الاختلاط: قال تعالى " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" النور

وعن جرير بن عبد الله قال سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري" (٢)

وعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : (العينان تزنيان واللسان يزني واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويحقق ذلك الفرج أو يكذبه) (٣)

كلكم راع ومسئول عن رعيته : فيجب الحفاظ عليهم وأمرهم بأمر الله ونهيهم عن نهي الله تعالى

قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم

وقال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)" التغابن

وعن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كلكم راع ومسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته " (٤)

مراعاة الفقراء واليتامى والمساكين: عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى" (٥)

ثم إن كل ما أمر الله به ينبغي فعله ، فالعيد ليس حجة للتقصير في أي أمر من أوامر الله تعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا وأن يتوب علينا وأن يرزقنا جميعا الفرح في الآخرة بالجنة يوم أن نلقاه اللهم آمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) صحيح ابن حبان
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح الجامع

حرمة أكل حقوق النساء والضعفاء في الميـراث

الحمد لله الخالق لكل مخلوق، جعل الطين يرى يسـمع ويشَـمُّ ويذوق، وهب لـه العقل وهداه الطاعة والفسوق، وهيَّأ له الرزق وترك له الخيار في البر أو العقوق، فمن شكر فقد نجا ومن كفر بالنار محروق، نحمده تبارك وتعالى حمدًا يُكافئ الفضل المسوق، ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلم الحقوق، ونسأله أن يظهرنا على عدونا فإذا هو متبَّر مسحوق، ونرجوه أن يتوفانا على حبه ويرزقنا لقاء الصب المشوق.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة التيقن والوثوق، شهادة الأمن إذا خسف القمر ولحق بالبصر البروق، هو الأول بلا بداية وما عداه مسبوق، وهو الآخر بلا نهاية وما سواه ملحوق، المهيمن على الملك والملكوت فلا شرود ولا مروق، الماسك للسماء بحِلمه أن تقع فلا تصدُّع ولا شقوق، المسخر للكواكب في أفلاكها؛ فليس لأحد أن يعطل أو يعوق، المدبر للأمور من الأزل؛ فالحق يعلو وكل باطل مزهوق، قدر الأقوات لمن أطاع ومن عصى، فالكل بفضله ومن فضله مرزوق.

وأشـهد أن سـيدنا محمدًا عبده ورسـوله الصـادق المصـدوق، ما نطق عن الهوى، بل وحي على قلبه وباللسـان منطوق، لم يكن ملكًا ولا جبارًا، بل يهدي بنور سنَّته إلى الحق ويسـوق، الصـفي المصـطفى، والحبيب المُجتبى، والخليل المنتقى، مظهر الحقيقة والحقوق، كريم بأصـله، مطهَّر في نسـله، مصُـون بقبره مِن بلى اللحم والعروق، عظيم في تواضعه، وفيٌّ فِي تعاهده، كريم في تعاقده، ليس كمثله مخلوق، المشـهود المحفود، ذو الطلعة السـنية والبهاء المرموق، أزج الحاجبين، أدعج العينين، دقيق الشَّـفَتين، والشـعر مفروق، لين الكفين، أخمص القدمين، عريض المنكبين، والقَوام ممشـوق، من رآه بداهة هابه، ومن خالطه أحبه، ومن صاحبه سدت على شيطانه الفُرُج والشقوق،

حنت جذوع الأشجار له وأسرعت الخطى للقائه النوق، لكل مقرب مقام، ومقامه على كل المقامات يفوق، هو الأمل وهو المنى، وبحبه أسير الإثم من النار معتوق.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ما دامت الكواكب في سبحها من الغروب إلى الشروق .

العناصر

أولاً: تعريف الميراث
ثانياً: بعض مميزات نظام الإرث في الإسلام
ثالثاً: أسباب استغلال النساء وأكل ميراثهن
رابعاً: عقوبة مانع الميراث أو جزء منه

الموضوع

أولاً: تعريف الميراث

الميراث: مصدر الفعل ورث وأصله (موارث) انقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها.

ويطلق الميراث باللغة على معنيين:

الأول: البقاء، سمي الله تعالى (الوارث) أي الباقي بعد فناء الخلق ومنه قوله ﷺ:" اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني)، أي أبقيهما معي سالمين صحيحين حتى أموت .

الثاني: انتقال الشيء من قوم إلى قوم آخرين ، سواء كان ماديا كالأموال معنويا كالمجد والأخلاق .

واصطلاحا: هو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة، وهو حق قابل للتجزؤ ثبت لمستحقه بعد موت من كان له ذلك بقرابة بينهما او نحوه .

وعلم الميراث: هو العلم الذي يبحث فقه المسائل المتعلق بالتركة والوارثين ويسمى أيضا علم الفرائض وإنما خص بتسميته علم الفرائض لوجهين

أحدهما: أن الله تعالى سماه فقال بعد التسمية فريضة من الله- والنبي ﷺ فقال (تعلموا الفرائض)

والثاني: أن الله تعالى ذكر الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات مجملا، ولم يبين مقاديرها وذكر الفرائض وبين سهامها وقدرها تقديرا ، لا يحتمل الزيادة والنقصان.

ثانياً: بعض مميزات نظام الإرث في الإسلام

الله تعالى هو الذي حدد نصيب كل وارث: وقد امتاز نظام الإرث في الإسلام عن غيره من أنظمة التوريث الوضعية القاصرة، فلم يجعل الشارع الحكيم قسمة الميراث إلى مالك المال ليورث من يشاء ويحرم من يشاء، بل لم يجعل ذلك إلى نبي مرسل ولا إلى ملك مقرب، وإن الله سبحانه وتعالى هو الذي قسم التركة في آيات قرآنية تتلى إلى يوم القيامة.

أعطى الإنسان حرية التصرف في ثلث ماله بعد موته يضعه حيث يشاء : من الأصدقاء والأقرباء الذين لا يرثون أو إلى جهات الخير، وليس له أن يجعله فيما يخالف الشرع فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم زيادة لكم في أعمالكم" (١)

وأما الثلثان الباقيان فهما حق شرعي للأقربين والموالي، وبذلك حمى الإسلام المستضعفين من النساء والأطفال والحمل في بطن أمه الذين كان أهل الجاهلية يحرمونهم من حقهم في الإرث.

جعل الإسلام التفاضل في الميراث بحسب الحاجة: فجعل نصيب الابن ضعف نصيب البنت، فقال تعالى: فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ "النساء: ١٧٦".

لأن حاجة الرجل إلى المال أكثر من حاجة المرأة إليه، فهو مكلف بتحمل الأعباء الزوجية والنفقة على البيت إلى غير ذلك من أمور الحياة العامة، والمرأة ليست مكلفة بذلك. وقد ميزت المرأة عن الرجل في مواضع أخرى كثيرة

وضع الإسلام للميراث شروطاً وموانع: فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع حصل الإرث وإلا فلا، وأحكام الميراث مفصلة في كتب الفقه فمن أراد التوسع فليرجع إليها في مظانها.....

لا مجال في توزيع أنصبة الميراث للمجاملة ولا للواسطة ولا للرأي ولا للهوى إنها شريعة الله وحكمة الله تولى الله قسمة المواريث منعا للنفوس الضعيفة المفتونة بالمال أن تتلاعب بمال الورثة ومنعا للشقاق والاختلاف تولى الله قسمة المواريث لكي يضفى على المؤمن الطمأنينة والرضا إذا علم حينما يقل نصيبه أو حينما يمنع من الإرث أن نقصه أو منعه آت من لدن أحكم الحاكمين فيرضى حينذاك بحكم الله ((ومن أحسن من الله حكما لقوم يؤمنون))

ومن أعظم صور العدل في الميراث تصافي القلوب بين الورثة وعدم تراشق سهام الضغائن فكل قد رضي بنصيبه الذي فرضه الله له.

وجوب التَّسوية بين الأوْلاد في الهبة: فعن النعمان بن بشير الأنصاري أن أمه ابنة رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ثم بدا له فوهبها له فقالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن أم هذا ابنة رواحة قاتلتني على الذي وهبت له فقال رسول الله ﷺ يا بشير ألك ولد

(١) صحيح ابن ماجة

سوى هذا قال نعم فقال رسول الله ﷺ أفكلهم وهبت لهم مثل الذي وهبت لابنك هذا قال لا قال رسول الله ﷺ فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور" [١]

الفوز العظيم لمن يطبق حدود الله: قال تعالى " تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " النساء

حرمة التعدي على حدود الله: قال -سبحانه -: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا)"البقرة: ٢٢٩".

ثالثاً: أسباب استغلال النساء وأكل ميراثهن

ضعف الإيمان: فآكل الميراث ضعيف الإيمان و إن صلى و صام و قرأ القران لأنه تشبه بأعداء الله و قتلت الأنبياء من اليهود عندما قالوا لأنبيائهم كما اخبر الله تعالى عنهم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) "البقرة: ٩٣".

فالله تعالى أمرهم ولكنهم قالوا سمعنا وعصينا.

وأنت يا آكل الميراث إن لم تقلها بلسانك فأنت تقولها بأفعالك وجحودك لحقوق الورثة.

طمع الأقارب في ميراث المرأة : وهذا الطمع إما لعدم علم المرأة بنصيبها، وإما لضعفها وحاجتها للرجل، فإذا طالبت بحقها حصل لها من اللوم والتعنيف والمعاملة السيئة ما لا تريده فازداد شقائها شقاء وازداد همها هماً.

وكثير من أكلة المواريث أصابهم الجشع والطمع فجحدوا حق الورثة ظنا منهم ان ذلك سينقص المال والطمع جمرة لا تحرق إلا صاحبها في الدنيا والآخرة.

عن كعب بن مالك الأنصاري عن النبي ﷺ: ((ما ذئبان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)) [٢]

وقال المناوي: (فمقصود الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفساداً للدين من إفساد الذئبين للغنم؛ لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره، وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعاً).

وقال الوراق: (لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل. ولو قيل ما غايتك: قال الحرمان).

وقال أبو العباس المرسي: الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة، فصاحبه بطن كله لا يشبع أبداً. واصل الطمع وسببه والدافع إليه التوهم أعني التخيل والحسبان.

ولعلاج هذا الظلم الواقع على المرأة لا بد من تضافر الجهود لأن هذه المسئولية مسئولية مجتمعية، وهذا سيستلزم تدخل الوزارات المعنية كوزارة الشؤون الاجتماعية لأنها هي الممثل الأساسي لكل ما يخص المجتمع، ومن خلالها يتم حصر الأرامل والأيتام، ويسنّ نظام لمعرفة المتوفين ومن يرثهم وهل استلم الورثة مالهم أم لم يستلموا؟ ويمكن التنسيق والتعاون مع كتابات العدل في هذا والأمر فقط يحتاج لتنظيم ومتابعة.

التأخر في تقسيم التركة : وهذا يحدث كثيراً، وقد يكون ذلك التأخير إما بسبب تهاون الورثة، أو بسبب تشعب تركة الميت وكثرة أملاكه وتفرقها في أماكن مختلفة، وبالتالي لا تعرف المرأة كم نصيبها وربما

---

(١) صحيح النسائي (٢) صحيح سنن الترمذي

تأخر حصولها على نصيبها سنوات عديدة. ويمكن علاج هذا السبب بالمبادرة بتوزيع التركة وعدم التأخر، وأما التركة المتفرقة فيوزع كل ما يتم معرفته مباشرة، ثم إذا تم معرفة أموال جديدة توزع مباشرة وهكذا حتى يتم إنهاء جميع ما للميت ويحصل كل وارث على ما يستحقه من تركة الميت بما في ذلك النساء.

التقاليد والعادات القبلية الجاهلية: فبعض الناس لديهم عادات قبيحة كأن لا ترث النساء في البيوت ويأخذن حقهن نقدا ويكون أقل من السعر الحقيقي، وكذلك لا يورثون المرأة ويعتبرون حصولها على ميراثها عيب يقدح في رجولة الرجل وهذا النوع قليل لكنه ظلم للمرأة وأكل لحقها بالباطل.

ولعلاج هذا الأمر فيمكن من خلال التناصح وبيان حكم الله تعالى الذي فرض للمرأة ميراثا وعند عدم تجاوب هؤلاء فتبلغ عنهم الجهات الرسمية حتى تعطى المرأة حقها وتبرأ الذمة بذلك.

وليعلم كل إنسان أن الله سيسأله يوم القيامة عن نفسه وليس عن آبائه فلذلك لا يجوز الإتباع الأعمى في كل خطأ وإنما لابد من فعل ما وافق أمر الله ورسوله وليس ما وافق الأهواء

قال تعالى" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) "المائدة: ١٠٤"

وقال تعالى (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) "الشعراء: ٧٤"

وقال تعالى(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) "لقمان: ٢١".

اعتقاد البعض أن المرأة لا تحسن التصرف في مالها وادعاءه أنه يحافظ على مصلحتها وهنا تكمن مشكلة عدم استفادتها من مالها الذي تكون في أمس الحاجة إليه وربما ضياع ميراثها فيما بعد خاصة عندما لا يهتم الولي على المال بالكتابة وتحديد ما للمرأة من مال وأين يوجد هذا المال.

ويمكن علاج هذا السبب بإخبار المرأة الوريثة بمقدار مالها من مال وإعطاءها ما تحتاجه واستئذانها في المتاجرة بما بقي من المال بعد تحديده فإن أذنت فيتم إخبارها الأرباح والخسائر وما يشترطه ذلك الولي من أجل المتاجرة لها في هذا المال.

دعوى ضياع أموال الأسرة: إذا كانت الزوجة من خارج تلك الأسرة أو العائلة فتحرم مالها من ميراث زوجها بحجة أنها أجنبية من العائلة أو الأسرة فتكون الزوجة من دولة أخرى أو قبيلة أو عائلة أخرى.

ولعلاج هذه السبب فلا بد من رقابة مجتمعية من وزارة الشؤون الاجتماعية ويمكن أن تلجأ هذه المرأة للقضاء للحصول على حقها لكنها تحتاج إلى من يساعدها لمي تعرف الإجراءات التي يمكن من خلالها معرفة كيفية المطالبة لدى المحاكم.

الوصية وعدم كتابتها وإيضاح ما لديه من أموال: وما هي الأموال المشتركة مع آخرين فبعد موت المورث قد يدعي أحد الأولاد أنه شريك لوالده أو أمه وحينذاك لابد مما يثبت ذلك وإلا فتح على الورثة بابا عريضا من الخلافات والاتهامات.

تخصيص الوالد أحد أبنائه لمعرفة أملاكه والبقية لا يعلمون وقد ينزغ الشيطان الابن لإخفاء بعض الأموال.

تأخير العمل بالوصية إلى ما بعد قسمة التركة ولا يخفى يا مسلمون أن إخراج الوصية مقدم على حق الورثة أخبرني أحد القضاة الفضلاء أنه وقف على حالات تأخر فيها الورثة أكثر من ثمان سنين لم ينفذوا الوصية والميت في قبره ينتظر أجر الوصية.

عدم عدل الوصي على التركة في قسمتها بين الورثة خاصة إذا كان للوصي إخوة غير أشقاء فيعطيهم مثلا العقارات الأقل أهمية.

أن من الأوصياء من يتصرف ويقسم بناء على وجهة نظرته الشخصية التي قد يخالفه فيها كثير من الورثة والواجب هو تحري العدل وما أشكل فيرجع فيه على القاضي.

أن العديد من الأوصياء لا يعلنون التركة للورثة فيعطى كلا نصيبه دون أن يعلم الورثة كم ورث ميتهم.

أن يتصرف الوصي في العقارات خاصة دون إذن الورثة ومثل هذا التصرف الأصل بطلانه لأن بقية الملاك لم يأذنوا بالبيع ويزداد الأمر سوءا إذا تصرف في التركة مع وجود قصار فالواجب هنا المبادرة في تحديد الولي على القصار قبل أي تصرف في التركة.

عدم تدوين حسابات المشاريع الموروثة بعد وفات المورث ويترتب على ذلك مشاكل بين الورثة وإساءة الظن بالوصي الأولى بالوصي أن يقوم بعد وفاة مورثهم مباشرة بإجراء جرد دقيق للمشاريع ذات الدخل وتدوين الإرادات والمصروفات والأفضل والأحسن إذا كانت المشاريع كبيرة أن تسلم لمحاسب قانوني إلى حين قسمتها.

إخفاء الصكوك والمستندات فترة طويلة من بعض الورثة لكسب مزيد من الوقت لاستغلال بعض العقارات وخاصة المؤجرة.

حرمان المرأة من الميراث لكن بطريق غير مباشر كأن يكون بعض الورثة منتفعين من استثمار الإرث فيماطلون في القسمة فتتضرر المرأة غير العاملة والمحتاجة عند تأخر القسمة.

أنه بعدما تقسم التركة أنها لا تنقل لملاكها : فالقسمة لا تعني الانتهاء من التركة بل لابد من إفراغ ما يحتاج لإفراغ واستلام ما يحتاج لاستلام لأن في ذلك غلقا لباب النزاع.

أيها المسلمون:

الأولى أن الميراث وما خلفه الميت من المال أن يجمع الأسرة ولا يفرقها ويقويها ولا يضعفها الواجب على العقلاء ألا يغلبهم حب المال فيقدموه على حبهم لأهلهم وإخوانهم وأخواتهم.

من كان يظن أن أخا يشتكي أخاه في المحاكم؟ ، من كان يظن أن الأخوة الأخوات بعد الوصال والحب تهاجروا وتباغضوا؟ ترى لو علم والدهم ومورثهم أكان يرضيه ذلك؟

يا أهل كل ميت أيها الورثة: بادروا ثم بادروا ثم بادروا بقسمة الميراث إن المبادرة تسهل قسمة المال وتدعو لتراحم الإخوان.

وفي التأخير قد يموت أحد الورثة وتطول مطالبات أولاده ويعمل الشيطان بنزغه وأزه ولبقاء الود والحب لابد من الوضوح والصراحة وإجراء أحكام الميراث وفق الشريعة.

رابعاً: عقوبة مانع الميراث أو جزء منه

آكل لحق الضعيفين: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ اللهم إني أحرج حق لضعيفين اليتيم والمرأة " [1]

حرمة ظلم أي أحد من الورثة: وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " ثم يقرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) [2]

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢) متفق عليه

العذاب المهين لمن يتعد حدود الله: قال تعالى " وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) النساء

وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسَم الله وحكَم به؛ ولهذا يُجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المُقيم.

ولا شك أن من منع امرأة: أختاً كانت، أم أماً، أم جدة أم زوجة ميراثها فقد تعدى حدود الله، وتعرض لعقوبته، والله قد قسم الميراث قسمة عدل لا جور فيها ولا حيف.

صلة الله للواصل وقطعه للقاطع والطرد من رحمته: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الله خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ" قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [١]

أنه قاطع لأرحامه: فالله تعالى يجازي أهل الصلة بالصلة في الدنيا والآخرة ويجازي أهل القطيعة بالقطيعة في الدنيا والآخرة والجزاء من جنس العمل.

فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا من ذَنْب أَجْدَر أَن يعجل لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ". [٢]

يعني: أنه تحصل له عقوبة في الدنيا والآخرة، فيجمع له بين العقوبة الدنيوية والأخروية، حيث يجعل له الله العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة، فيجمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، والضرر الذي يحصل في الدنيا، والضرر الذي يحصل في الآخرة، وهذا يدل على عظم وخطورة شأن البغي وقطيعة الرحم؛ لأن الرسول ﷺ ذكر أن صاحبهما جدير بأن يحصل له هذا وهذا، وأن يجمع له بين هذا وهذا، وهذا يدل على خطورة أمر البغي وقطيعة الرحم.

الفضيحة يوم القيامة: ألا فلتعلمَ أن ما أكلتَ من حق أختك؛ من مال وعقار؛ ستُطوقه يومَ القيامة بإذن الله، لو ظلمتها جنيهًا سيأتي عليك نارًا، ولو ظلمتها شبرًا من أرضٍ فسيأتي حول عنقك يومَ القيامة نارًا من سبع أرضين، قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: " مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ"[٣]

وهذا الحديثُ له قصةٌ عجيبة وهى أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ - ﷺ - أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ - وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة -: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ"[٤].

فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا! فَقَالَ سَعِيدُ بْن زَيْدٍ - ﷺ-: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً؛ فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا!. قال بعض الرواة: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ [٥]

وقال النبي - ﷺ -: " خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ نَهْبُ مُؤْمِنٍ، أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ" "[٦]

الإفلاس يوم القيامة: يا آكلا للميراث لا تظن أن ذلك فيه الغنى كلا بل فيه الإفلاس (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) "الشعراء: ٨٨، ٨٩".

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) مشكاة المصابيح
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح الجامع

توهم نفسك و قد بعثر ما في القبور و حصل ما في الصدور و قد أتيت بصلاة و زكاة و صوم و حج و لكنك قد أكلت المواريث نظر إلى نفسك في عرصات يوم القيامة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» . قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا. وَأَكَلَ مَالَ هَذَا. وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " (١)

الإثم الكبير: اعلم علمني الله وإياك: أن التعدي على المواريث جرم عظيم وإفك مبين قال الله تعالى (وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ، وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً) "النساء، ٢".

والمعنى: إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه.

آكل الميراث يدخل في السبع الموبقات: قال - ﷺ -: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ!!! " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ "(٢)

أكلة الميراث أكلة النار: أيها الأحباب: الذين يأكلون الميراث هم الذين وصفهم الله تعالى بقول (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) "النساء"

إن اليتامى مظنة أن يبخسوا في الميراث، فأكل مالهم هنا ظلما هو بخسهم حظهم في الميراث، أو أكل الأوصياء أموالهم والأخذ من مال اليتيم سماه الله تعالى أكلا لما فيه من معنى الأخذ وأن يقصد به تنمية ماله كما ينمي جسمه بالأكل، ولكنها تنمية آثمة مالها البوار " ومن نبت لحمه من حرام فالنار أولى به " وقال سبحانه (ظُلْمًا) "آل عمران: ١٠٨" لكمال التشنيع على الأكل، إذ هم يظلمون ضعيفا لا يقوى على الانتصاف منهم، وقد ذكر سبحانه إثم ذلك الأكل بقوله: (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) "النساء: ١٠" وهذا تصوير لضرر الأكل عليهم؛ لأنه يكون أكلهم كمن يأكل النار ويضعها في بطنه أي يملأ بطنه بها فهو في ألم دائم حتى يهلك، وكذلك دائما من يأكلون أموال اليتامى لَا يأكلون أكلا هنيئا ولا مريئا، بل هم في وسواس دائم حتى يقضى الله عليهم، وقد رأينا بيوتا خربت لأنها أكلت مال اليتيم. وهذا عقابهم في حاضرهم، أما العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة فقال: (وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) "النساء: ١٠" أي ستوقد بهم نار شديدة الأوار، يستمرون في بلاء شديد منها.

قال القاسمي -رحمه الله - ما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته تعالى وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى.

اللهم ارزقنا رزقا حسنا، وجنبنا ما حرمت، وأقنعنا بالحلال الطيب، إنك سميع الدعاء.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري

الأمن الغذائي وحرمة التلاعب به

الحمد لله رب العالمين على كل حال، المتصف سبحانه بالعزة والعظمة والجلال، القيوم الحق الأزلي الدائم بغير زوال، المتفضل على عباده بجلائل النعم الكبير المتعال، نحمده تبارك وتعالى بالغدو والآصال، ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشك والشرك والضلال، ونسأله السلامة من جاه أو مال هو علينا وبال، ونرجوه العصمة من قيل وقال ومذلة السؤال.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد فالشبيه محال، المعبود الحق فقد سجدت له الشخوص والظلال، المبدع للكون بكلمة كن على غير مثال، القاهر فوق عباده، القوي شديد المحال، خلق الخلق فريقين، فهذا مهتد وذاك ضال، تغمَّد الطائعين برحمته، والظالمون ما لهم من دونه من وال، كما بدأ أول خلق يعيده، فإليه المرجع وإليه المآل.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله كريم الخصال، الطاهر المطهر الموافق فعله لما سنَّ وقال، القاضي بالقسط والقاسم بالعدل وما عن الحق مال، خير البرية أتقاها وأعدلها سيد الرجال، المهاجر في سبيل الله بدينه تاركًا الأهل والمال، المجاهد بنفسه وماله الباطلَ حتى زهق وزال، النور الهادي لأمته والمُنقِذ لهم من الضلال، سيد ولدِ آدمَ بحق والشفيع يوم الأهوال، جاء قومه بعز الدارين فاتهموه بالخبال، ولولا رحمته لأطبقت على مكذبيه الجبال، الصبر رداؤه والحياء إزاره والحِلم تاجه ليس له مثال، السخاء سجيته، والعفو شيمته، والمكارم له خلال، أضاء الورى نوره، وفاض بره عن اليمين وعن الشمال، من رآه بداهة هابه، ومن خالطه أحبه، ومن صاحبه فداه بكل غال، حارت البرية في وصفه، فسناه قد فاق كل خيال.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى الصحب والآل، ما دام في الكون شخوص وظلال..

العناصر

أولاً: تعريف الأمن الغذائي ثانيا: الأسباب التي تعيق تحقيقه

ثالثاً: سبل تحقيق الأمن الغذائي

الموضوع

أولاً: تعريف الأمن الغذائي

هو مصطلح يقصد منه مدى قدرة بلد على تلبية احتياجاته من الغذاء الأساسي من منتوجه الخاص أو استطاعته على شراؤه من الخارج تحت أي من ظرف ومهما كان ارتفاع أسعار الغذاء العالمية. ويحدث أن يصبح الأمن الغذائي غير مكفولا وعلى الأخص في البلاد الفقيرة المعتمدة على الأمطار في إنتاج محاصيل غذائها وغذاء الماشية لديها عندما يقل المطر ويعم الجفاف، فلا تستطيع تغذية سكانها وتكون عاجزة بسبب الفقر من الاستيراد. تحدث فيها مجاعات تؤدي بحياة مئات الالوف من الناس وربما الملايين، وتخلف أناسا ضعفاء بسبب تعرضهم خلال فترة من حياتهم بعواقب قلة الغذاء.

عندئذ تقوم هيئات مدنية من الدول الغنية بمحاولات لمساعدة البلاد الفقيرة المصابة في إفريقيا وأسيا، ولكن تأتي تلك المعونات غالبا متأخرة بعد أن يكون قد حدث ما حدث، وتكتفي بإعانة الباقين على قيد الحياة.

وينشطر الأمن الغذائي إلى مستويين رئيسيّين
وهما المطلق والنسبي، فيعرف المطلق بأنه قيام الدولة الواحدة بإنتاج الغذاء داخلها بمستوى يتساوى مع الطلب المحلي ومعدلاته أو قد يفوقها أحياناً، ويمكن اعتباره غالباً بأنّه يحقق مفهوم الاكتفاء الذاتي الكامل
أما الأمن الغذائي النسبي فإنه يشير إلى مدى قدرة الدولة على إنتاج وإيجاد ما يحتاجه الشعب أو الأفراد من سلع وغذاء بشكل كلي أو جزئي.

ثانيا: الأسباب التي تعيق تحقيق الأمن الغذائي:

الكفر بنعم الله وجحودها: قال تعالى " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " النحل
وقال تعالى" لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)"سبأ
الذنوب والمعاصي : قال تعالى" وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ "الشورى
وقال تعالي :" ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمي .."(طه/١٢٤).
وقال تعالي :"فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم" (النور/٦٣).
عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .تحقيق الألباني :حسن - دون قوله : " و إن الرجل .... " [١]
وعن أبي البختري عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لن يهلك الناس حتى يعذروا في أنفسهم " [٢]
وعن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم " [٣]
الكسل والنوم عن العمل: روى ابن أبي الدنيا في "التوكل" بسنده عن معاوية بن قرة، أن عمر بن الخطاب، لقي ناسا من أهل اليمن، فقال : من أنتم؟ قالوا : نحن المتوكلون. قال : بل أنتم المتكلون، إنما " المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ويتوكل على الله ". وكان سفيانُ الثوريّ رحمه الله يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين" [٤].

(١) صحيح ابن ماجة (٢) صحيح الجامع (٣) السلسلة الصحيحة (٤) جامع العلوم والحكم

ورأى عمر ﷺ قومًا قابعين في رُكن المسجد بعدَ صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟ قالوا: نحن المُتوَكِّلون على الله، فعَلاهم عمر ﷺبدِرَّته ونَهَرَهم، وقال: لا يَقعُدنَّ أحدُكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علِمَ أن السماءَ لا تُمطِرُ ذهبًا ولا فضّة، وإن الله يقول: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ" (الجمعة: ١٠)."

وقد كان عرَاك بن مالك ﷺ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتَك، وصليتُ فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين."[١]

التبذير والإسراف: أمر الله تعالى بالاقتصاد في المعيشة والتوسط في النفقة والتخلي عن النمط الاستهلاكي المتأثر بالدعايات التجارية

قال تعالى "وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"

وقال تعالى: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" "الأعراف: ٣١".

وقد قال الله: "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ "(الإسراء/٢٧).

وقال تعالى (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) يوسف ٤٤٩

وحذر النبي ﷺ من إنفاق المال في المحرمات وفيما لا فائدة منه لأن العبد سيسأل عن ذلك بين يدي الله

وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ "[٢]

ارتفاع الأسعار: عن أنس قال الناس يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال رسول الله ﷺ إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال.[٣]

ولم يتدخل الرسول ﷺ في التسعير وسبب ذلك أنه خشي أن يطالبه أحد بمظلمة يوم القيامة إذا تدخل في الأسعار فربما يظلم البائع أو المشتري .. وإنما أراد أن يعلمنا أنه تتعرض الشعوب والأمم لحالات من الشدة والرخاء والسّراء والضّراء، وهذا كله بقدر الله تعالى ليعلم من ذلك من صبر ومن شكر، فما يقع من شدائد ومصائب وارتفاع الأسعار كله بقدر الله وقد يكون مرتبط بالذنوب والآثام التي يرتكبها البشر، قال تعالى "ولنبلونّكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثّمرات وبشّر الصّابرين"(البقرة/١٥٥).

وعن أبي سعيد الخدري أن يهوديا قدم زمن النبي ﷺ بثلاثين حمل شعير وتمر فسعر مدا بمد النبي ﷺ وليس في الناس يومئذ طعام غيره وكان قد أصاب الناس قبل ذلك جوع لا يجدون فيه طعاما فأتى النبي ﷺالناس يشكون إليه غلاء السعر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لا ألقين الله من قبل أن أعطي أحدا من مال أحد من غير طيب نفس إنما البيع عن تراض ولكن في بيوعكم خصالا أذكرها لكم لا تضاغنوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا يسوم الرجل على سوم أخيه ولا يبيعن حاضر لباد والبيع عن تراض وكونوا عباد الله إخوانا "[٤]

فدلّهم على مكارم الأخلاق في البيوع و نهاهم عن الضغينة و التناجش و الحسد و السوم على سوم الأخ و عن بيع حاضر لباد ..و لو كان في حثّهم على ترك السلع -بغية إرخاصها- خيرٌ لحثّهم على ذلك !.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح ابن ماجة (٤) صحيح ابن حبان

ولا يخفى على كلّ مسلم فطن مقدار الضرر الذي سيلحق بالتاجر بعد ترك الناس لسلعه ، و فساد السلع و كسادها فيه ضرر عام و خاص !.

فقد يفلس التاجر، وتفسد بضاعته، و يركبه الدين و الهم .

فيأتي كي يرخصها، فيبيعها بثمن أقلّ مما اشترى به أو بثمن لا يسدد له فواتير العمل و توابع التجارة .

وهذا إن كان اشتراها فعلا بسعر مرتفع فبالتالي اضطر لبيعها بسعر مرتفع، أما إن كان اشتراها بسعر رخيص أو أراد أن يبيعها بسعر مرتفع لأنه لا يوجد غيره عنده هذه السلعة فهذا هو الاحتكار وقد حرمه الله تعالى كما سنعلم ذلك في العنصر التالي بإذن الله.

الاحتكار : وهو شراء الشيء وحبسه ليقل بين الناس فيعلوا سعره ويصيبهم بسبب ذلك الضرر أو حبس العملة التي يجلب بها السلعة فيزيد ثمنها ويقل الجلب والتداول ..وقد نهى رسول الله ﷺ عنه

فعن معمر قال : قال رسول الله ﷺ: " من احتكر فهو خاطئ " [١]

وعلى كل تاجر من المسلمين أن يبذل وسعه من جهد ومال ليمنع جشع المحتكر .

وبسبب تلك الجريمة النكراء قد يعجز الفقير عن شراء ما لا غنى له عنه، وقد يتحمل آخرون ديونا يعجزون عن أدائها، وتكثر الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وقد يلجأ البعض إلى طرق غير مشروعة للحصول على المال وتوفير ما يحتاجون، وحينها لا يبالي ضعيف الإيمان أمن حلال أخذ المال أم من حرام، وتنشأ الأنانية والشح والبخل، وتتعمق الفجوة بين الناس ،غير انه مسبب للفرقة، مستنبت للكراهية والضغينة ،مولد لثقافة الحقد والبغضاء بين الناس، مما يساعد على تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفراده ؛ كما يترتب عليه العديد من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية، مثل البطالة والتضخم والكساد والرشوة والمحسوبية والنفاق والسرقة؛ وذلك كله يصنف اشد الأضرار على العباد وامن البلاد.

الغش : الغشُّ آفةٌ يَطُول ضررُها الجميع، فالغشَّاش شخص همُّه تحصيل المال على حِساب غيره، فالطمع حَجَبَ عقله، فلا ينظر إلا للمَكاسِب التي حصَل عليها والتي يسعى للحصول عليها، ولا يَلتَفِت إلى ضحاياه الذين أرداهم غشُّه لا يلتَفِت إلى جنايته على المجتمع، وكيف أصبح أداةَ إفسادٍ فيه، الغشَّاشون كُثُر ومجالات الغشِّ مختلفة، كلُّ غشَّاش على حَسْبِ اهتِماماته، وعلى حسب موقعه وقدرته على الغش، والكلام في هذه الدقائق حول الغشِّ في البيع والشراء.

الغِشُّ ضد النُّصْحِ مأخوذٌ من الغَشَشِ وهو المَشُوبُ الكَدِر والغش المحرَّم في البيع أن يُخفِي البائع شيئًا في السلعة لو أطلع عليه المشتري لم يشترها بذلك الثمن والغشاش حينما يسعى لكسب المال يحرص على جمع المال، لكنَّ الطمع أعماه عن حقيقة؛ وهي: أنَّ المسألة ليست مسألة كَثرة ربح، بل المسألة مسألة بركة، فقد يَربَح الغشَّاشُ المال الكثير لكن يتعرَّض لآفةٍ تَجتاح هذا المال، وقد يَربَح التاجر الصادق المال القليل، فيُبارِك الله في كسبه؛ فعن حكيم بن حزام - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((البيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدَقَا وبيَّنا، بُورِك لهما في بيعهما، وإن كتَمَا وكذَبَا، مُحِقت بركة بيعهما))[٢]

ويشتدُّ الإثم حينما يُنَفِّق الغشَّاش سلعته بالحلف الكاذب، بأنه اشتَراها بكذا، أو بأنَّ فلانًا سامَها بكذا... أو غير ذلك من أساليب الغشاشين؛ فعن أبي هريرة - ﷺ - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((الحلف مَنْفَقَةٌ للسلعة مَمْحَقَة للبركة))[٣]

---

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

فعلى البائع أن يعزلَ الطيّب عن الرَّدِيء، فيكون المشتَرِي على بيّنة من أمر السلعة، لكنه إن جعَل الطيّبَ في الأعلى والرَّدِيء يخفيه تحتَه، إمَّا لآفةٍ فيه أو لصِغَره أو غير ذلك من الأشياء التي تُزهد الناس فيه، وتقلِّل من قيمته فهذا من الغشّ المحرَّم

فعن أبي هريرة: أن رسول الله - ﷺ - مرَّ على صبرة طعام، فأدخَل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: ((ما هذا يا صاحب الطعام؟))، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: ((أفلا جعلته فوق الطعام؛ كي يراه الناس، مَن غشَّ فليس مِنِّي)) (١)

فخابَ وخسر في الدنيا والآخرة مَن تبرَّأ منه النبيُّ، ولا يُعذَر الشخص بِحُجَّة أنَّ العمَّال قاموا بهذا، فالواجب عليه المُتابَعة، فلو فعَلُوا فعلاً يضرُّ بسلعته، ويُنقِص من قيمتها، لم يرضَ بذلك وعمل على عدم تَكرار ذلك، فكذلك الواجب عليه إذا أضرُّوا بإخوانه المسلمين.

وعن عُقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((المسلم أخو المسلم؛ لا يحلُّ لمسلمٍ باعَ من أخيه بيعًا فيه عيبٌ إلا بيَّنه له)) (٢)

فإذا بيَّن العيب برأ البائع في الدنيا والآخرة، وليس للمشتري الحقُّ في ردِّ السلعة إلا إذا رضي البائع، فأقالَه بيعته، أمَّا إذا لم يُبيِّن البائع عيبَ السلعة، فللمشتري الردُّ.

قال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) النساء ٢٩

التطفيف في الكيل والوزن: عن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله سبحانه (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك (٣)

فأهل المدينة والأنصار رضوان عليهم قبل أن يأتيهم النبي ﷺكانوا يتعاملون في البيع والشراء وكانوا أخبث الناس كيلاً أو من أخبث الناس في الكيل يعني: يطففون في الكيل والميزان ويبخسون الناس أشياءهم في ذلك.

فلما قدم النبي ﷺ أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم من القرآن فكان مما نزل: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (المطففين: ٣).

فتلا النبي ﷺعليهم ذلك فكانوا من أحسن الناس وزناً بعد ذلك.

ثالثاً: سبل تحقيقه

الإيمان بالله تعالى وشكره على نعمه: قال تعالى:" ولو أن أهل القرى أمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"(الأعراف).

وقال تعالى "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" قريش

وقال تعالى (وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

التوكل على الله: عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " (٤)

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح ابن ماجة (٣) السلسلة الصحيحة (٤) صحيح الترغيب والترهيب

الاستغفار: قال تعالى "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)"هود

وقال تعالى" وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)"هود

فقد جاء رجل إلى الحسن البصري فقال له : إن السماء لم تمطر !! فقال له الحسن البصري : استغفر الله. ثم جاء رجل آخر فقال له : اشكوا الفقر!! فقال له الحسن البصري: استغفر الله. ثم جاء ثالث فقال له: امرأتي عاقر لا تلد!! فقال له الحسن البصري : استغفر الله. ثم جاء رابع فقال له أجدبت الأرض فلم تنبت !! فقال له الحسن البصري : استغفر الله. فقال الحاضرون للحسن البصري : عجبنا لك أو كلما جاءك شاك قلت له استغفر الله؟! فقال لهم الحسن البصري ما قلت شيء من عندي وقرأ قوله تعالى: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا" نوح

الدعاء: قال تعالى (وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـــذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)

صلة الرحم: عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه " (١)

الأرزاق بيد الله: قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" "هود/٦". فكل ما يدِبُّ على وجه الأرض تعهد الله تعالى برزقه.

وقال تعالى: "وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّـــمِيعُ الْعَلِيمُ" "العنكبوت/٦٠".

أي: لا تدَّخر غذاءها لغد، كما يفعل ابن آدم، فالله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم. فنحن معطوفون في الرزق على الدواب، مع أن الإنسان هو الأصل، وهو المكرّم، والعالم كله خُلِق من أجله لخدمته، ومع ذلك لم يقُلْ سبحانه: نحن نرزقكم وإياهم، لماذا؟ قالوا: لأنك تظن أنها لا تستطيع أن تحمل أو تُدبِّر رزقها، ولا تتصرف فيه، فلفت نظرك إلى أننا سنرزقها قبلَك("٤").

وقال تعالى: "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" "الذاريات/٢٢". والمعنى: رزقكم من عند الله الذي في السماء. قال سفيان الثوري رحمه الله: قرأ واصل الأحدب هذه الآية: "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" فقال: ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئاً، فلما كان اليوم الثالث إذا هو بدَوْخَلَّة رُطَبٍ، وكان له أخ أحسن نية منه، فدخل معه، فصارتا دوخلَّتين، فلم يزل ذلك دأبَهما حتى فرّق الموت بينهما" (٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: حدَّثني من أثق به أنه كان في صحراء مكث فيها أياماً، فرأى فيها حيَّةً عظيمة عمياء، فكانت تخرج من جحرها في ساعة معينة تفتح فاها، فينزل إليها طعامُها، وذلك في كل يوم.

ألا يكفي لتثبيت الإيمان بهذه المسألة في قلوبنا قول ربنا: "وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا" "النساء/١٣٠"؟ فإن المرأة ضعيفة، وفي غالب الأمر أنها حبيسة بيتها لا تعمل إلا عملها المبارك؛ رعاية زوجها وولدها، ورزق ربها لها كان من طريق زوجها، ومع ذلك يخبر الله تعالى أن الحياة إذا استحالت بين الزوجين فلا أحد يمسك عنها رزقها الذي قدره الله لها.

---

(١) صحيح البخاري (٢) تفسير الطبري

وقال تعالى: "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" "يونس/١٠٧".

وعن أبي امامة ﷺ قال: قال ﷺ إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها فاتقوا الله و أجملوا في الطلب و لا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته (١)

السعي في الأرض لتحصيل الرزق: قال تعالى "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) " الملك

وقال تعالى" وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ" المزمل

تطبيق الزكاة : الزكاة فريضة اجتماعية ومالية وركن هام في بناء الاقتصاد الإسلامي وتحقيق العدل لاجتماعي، غرضها سعادة الفرد والمجتمع، وتحقيق التكافل والترابط بين أفراده، ونشر دعوة الإسلام في الأرض.

وعن ابن عباس عن معاذ قال بعثني رسول الله "ﷺ" فقال إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد
على فقرائهم) (٢)

عن ابن عمر عن النبي -ﷺ- قال :" بنى الإسلام على خمس على أن يوحد الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج "(٣)

وحينما فرض الإسلام الزكاة لم يكن بذلك جائراً على الأغنياء أو متحيزاً إلى الفقراء، بل أمر بها لبناء مجتمع سليم، يشعر فيه الغني بأخيه الفقير فيطعمه من ماله، ويكفيه مؤونة الجوع والتشرد، فينال بذلك الثمار في ماله قال تعالى" وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ " "الروم/٣٩""

وينال الغني بذلك المثوبة من الله تعالى: قال تعالى" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" "البقرة/١١٠".

وقال سبحانه "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" "التوبة: ١٠٣"

وأنواع الزكاة متعددة كزكاة الزروع والثمار، وزكاة عروض التجارة ، وزكاة الأموال ، وزكاة الأنعام

.....

التراحم والتعاطف بين المسلمين: فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ تَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٤)

وعَنْ أَبِي مُوسَى؛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ." (٥)

وهنا تصوير بلاغي للتضامن بين أفراد المجتمع صوره لنا النبي ﷺ ؛ حيث شبه الأفراد باللبن في الجدار؛ وشبه المادة التي تمسك اللبن وتشد بعضه بعضا وهي (الأسمنت المخلوط بالرمل – المونة) بالعلاقات والتضامن الذي بين أفراد المجتمع؛ فإذا فسدت المادة التي تمسك البنيان وتشده فلا شك أن مصيره إلى

---

(١) صحيح الجامع
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح مسلم
(٥) متفق عليه

زوال وانهيار وهدم ؛ وكذلك العلاقات الإنسانية والأخلاقية والتضامن بين أفراد المجتمع إذا فسدت فإن المجتمع مصيره كذلك إلى زوال وانهيار وهدم!!!

تشديد الرقابة على الأسواق: فعلى الجهات المعنية في الدولة والتي تعرف في الشرع (بالحسبة) أن تعمل على مراقبة الأسواق ومحاسبة كل من يتلاعب بأقوات الناس والسلع الغذائية سواء بالغش أو الاحتكار أو الاستغلال أو الطرق المبتكرة الأخرى.

ونظرًا لأهمية الحِسبة والمراقبة على الأسواق، وما يترتَّب على ذلك من إشاعة التعامُل بالمعاملات الشرعية الصحيحة، ومَنْع التعامُل بالمعاملات المحرَّمة، فقد كان أئِمَّة الصدر الأول يُبَاشِرُونَها بِأَنْفُسِهم لعموم صلاحها، وجزيل ثوابها ؛ بل باشرها النبي ﷺ بنفسه، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: مَرَّ على صُبْرَةِ طعام، فأدْخَل يَدَهُ فيها، فنالت أصابعُهُ بَلَلاً، فقال: " ما هذا يا صاحبَ الطعام"، قال: أصابَتْهُ السماءُ يا رسول الله، قال: " أفلا جعلتَه فوقَ الطعام كي يراه الناس، من غَشَّ فليس مِنِّي"(١)

الأخذ بالبدائل وقت الغلاء: ومعنى ذلك أن السلعة إذا غلا سعرها غلاءً فاحشاً ذهبنا إلى البديل الأرخص ؛ فإذا انصرف الناس عنها رخص سعرها ؛ لأن السوق عرض وطلب ؛ وهذا له أصل في الشرع؛ فقد جاء في الأثر أن الناس في زمن الخليفة عمر بن الخطاب – ﷺ – جاؤوا إليه وقالوا: نشتكي إليك غلاء اللحم فسعّره لنا، فقال: أرخصوه أنتم؟ فقالوا: نحن نشتكي غلاء السعر واللحم عند الجزارين، ونحن أصحاب الحاجة فتقول: أرخصوه أنتم؟ فقالوا: وهل نملكه حتى نرخصه؟ وكيف نرخصه وهو ليس في أيدينا؟ فقال قولته الرائعة: اتركوه لهم. بل إن علي بن أبي طالب – ﷺ – يطرح بين أيدينا نظرية أخرى في مكافحة الغلاء، وهي تخفيض سعر السلعة عبر إبدالها بسلعة أخرى

فعن رزين بن الأعرج مولى لآل العباس، قال: غلا علينا الزبيب بمكة، فكتبنا إلى علي بن أبي طالب بالكوفة أن الزبيب غلا علينا، فكتب أن أرخصوه بالتمر أي استبدلوه بشراء التمر الذي كان متوافراً في الحجاز وأسعاره رخيصة، فيقلّ الطلب على الزبيب فيرخص؛ وإن لم يرخص فالتمر خير بديل.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم

أهمية العلم

الحمد لله في الأولى فقد نامت عيون الخلائق وما غفل، وله الحمد في الآخرة إذا زاغت الأبصار، أسرف الناس في كل مكان فما أهلك وما عجل، عبدوا المال فأطغاهم، ونسوا الموت فغرهم الأمل، ولو شاء ربك لجفت الأنهار وما أصاب النباتَ بلل، نحمده تبارك وتعالى ونستعينه على كل أمر جلل، ونستغفره لمن تاب منا ومن في المعاصي لم يزل، ونرجوه رحمةً تعمُّنا ولا نطمع في سواها بدل، ونسأله العافية فيما هو آتٍ، والعفوَ عما قد حصل.

وأشهد أن لا إله إلا الله ملَك فحكَم فعدَل، قدر الأمور من الأزل، فلحكمة لم يفعل ولحكمة فعل، أخبرني عن الأرض كيف بخلت، ولماذا اسودَّ الجبل؟ وخبرني عن البهائم كيف كلَّت، ولماذا أكل الذئب الحمل؟ وأخبرني عن القرون لم اندثرت؟ ولماذا كتب على المترفين الزلل؟ وأخبرني عن البريئة كيف ضلت وذنب الأم إذا أصابها الخبل؟ وخبرني عن المعاصي إذا تفشَّت فهل يخرج من النحل العسل؟ وأخبرني عن عقل الحكيم إذا تشتت وعن العابد كيف أصابه الملل؟ وخبرني عن ألسِنَة الحق كيف شُلَّت فطاف الباطل يزهو بغير خجل؟ وأخبرني عن الخطوب إذا ادلهمت ورأيت الفساد قد جاء على عجل؟ وخبرني عن أمة عريقة قد ضلت، فهل دعاء الصالحين يصلح الخلل؟ كلا إذا ما القلوب بالزيغ قد ابتُلِيَت فلا بأس بالموت إذا حان الأجل.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي إذا قال فعل، ألم تر كيف اصطبر على الأذى وقد ناءت الجبال بما حمل، أرأيت كيف بالكذب رمَوه وبالسحر اتهموه فما وهن ولا عن دعوته انفصل؟ ألا تراهم في ثقيف قد حوطوه، وبالحجارة أصابوه، فما استكان ولا فقد الأمل ، ألم تسمع عن حملانه الكل فما ضجر ولا أصابه من الجحود ملل؟ ألا تراه قد أمر بكفالة الأيتام وحين ابتُلي بهم كفل؟ ألا تراه قد أمر بصلة الأرحام وحين قطعوها هم وصل؟ ألا تراه قد أمرنا بالعفو وحين أمر هو به امتثل؟ أما علمت أن الرسول نور يستضاء به فكم أعطى وكم بذل؟

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على من به اعوجاج الملَّة اعتدل، وبنور سنته الشرع اكتمل، واجعله الشفيع لنا إذا ما الروح حين البعث بالجسد اتصل، وأصبح الهلاك هو دون النجاة المحتمل .

العناصر

أولا تعريف العلم وأقسامه — ثانياً: فضل العلم وأهله

ثالثاً: وجوب طلب العلم — رابعاً: آداب طالب العلم

خامساً: نماذج وأقوال علي فضل العلم

الموضوع

أولا تعريف العلم وأقسامه

العلم لغة: مصدر قولهم: علم يعلم علما وهو مأخوذ من مادّة (ع ل م) الّتي تدلّ على أثر بالشّيء يتميّز بها عن غيره

العلم اصطلاحا: قال الجرجانيّ: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع

وقال المناويّ: العلم: هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النّقيض، أو هو حصول صورة الشّيء في العقل .

قال ابن العربيّ: العلم أبين من أن يبيّن، وأنكر على من تصدّى لتعريف العلم .
وقال أبو حامد الغزاليّ- رحمه الله تعالى-:العلم هو معرفة الشّيء على ما هو به.
أقسام العلم: ينقسم إلى قسمين:
فرض عين: وهو ما يتعيّن وجوبه على الشّخص من توحيد الله ومعرفة أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات الّتي يحتاج إليها.
فرض كفاية: وهو كلّ علم لا يستغنى عنه في قوام الدّنيا. كالطّبّ والحساب وأصول الصّناعات. كالفلاحة والحياكة والحجامة. فلو خلا البلد عمّن يقوم بهذه العلوم والصّناعات أثم أهل البلد جميعا. وإذا قام بها واحد فقط وكفاهم سقط الإثم عن الباقين، والتّعمّق في مثل هذه العلوم يعدّ فضلة، لأنّه يستغنى عنه.
ومن العلوم ما يكون مباحا، كالعلم بالأشعار الّتي لا سخف فيها، ومنها ما يكون مذموما، كعلم السّحر والطّلسمات والتّلبيسات، وأمّا العلوم الشّرعيّة فكلّها محمودة.
وقد يكون العلم نافعا وقد يكون مذموما قال ابن رجب الحنبليّ- رحمه الله تعالى-: قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النّافع وذكر العلم تارة في مقام الذّمّ وهو العلم الّذي لا ينفع، فأمّا الأوّل فمثل قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ، وقوله: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ. وغير ذلك من الآيات.
هذا وقد يكون العلم في نفسه نافعا لكن صاحبه لم ينتفع به. كما قال تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً" ، وقال سبحانه: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ. وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ)
وقال أيضا: وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ .
وكذلك تعلم العلم لغير الله فعن أبي هريرة- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: "من تعلّم علما ممّا يبتغى به وجه الله- عزّ وجلّ- لا يتعلّمه إلّا ليصيب به عرضا من الدّنيا لم يجد عرف الجنّة يوم القيامة" [1] ..عرف الجنة: يعني ريحها
ضابط العلم النافع: والعلم النّافع هو ما كان ضبط نصوص الكتاب والسّنّة، وفهم معانيها والتّقيّد في ذلك بالمأثور عن الصّحابة والتّابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام من مسائل الحلال والحرام والزّهد والرّقائق والمعارف وغير ذلك.
والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أوّلا، ثمّ الاجتهاد على معرفة معانيه وتفهّمه ثانيا.
وهذا العلم النّافع يدلّ على أمرين: أحدهما: معرفة الله وما يستحقّه من الأسماء الحسنى والصّفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته ومهابته، ومحبّته ورجاءه، والتّوكّل عليه والرّضا بقضائه والصّبر على بلائه.
والأمر الثّاني: المعرفة بما يحبّه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات، والأعمال الظّاهرة والباطنة والأقوال .

ثانياً: فضل العلم وأهله

من صفات الله تعالى: العليم والعالم والعلّام، قال الله تعالى: وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (يس/ ٨١) ، وقال: عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ (الرعد/ ٩) ، وقال: عَلَّامُ الْغُيُوبِ (المائدة/ ١٠٩) . فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل

---
[1] صحيح الترغيب والترهيب

كونه، وبما يكون ولمّا يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السّماء، سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتمّ الإمكان، وعليم فعيل من أبنية المبالغة، ويجوز أن يقال للإنسان الّذي علّمه الله علما من العلوم: عليم. كما قال يوسف للملك: إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (يوسف/ ٥٥) ، وقال الله عزّ وجلّ: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ (فاطر/ ٢٨) . فأخبر عزّ وجلّ أنّ من عباده من يخشاه، وأنّهم هم العلماء، وكذلك صفة يوسف- عليه السلام- وكان عليما بأمر ربّه [١] .

من صفات الأنبياء: قال تعالى "وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ "البقرة ، وقال تعالى "وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)"النمل

قال تعالى "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)

من صفات المؤمنين ومن اختصهم الله بتفصيل الآيات وفقهها: قال تعالى "بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) العنكبوت

وقال تعالى "وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣).النساء

صفة بعض أهل الكتاب: قال تعالى "قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)" البقرة

إرث الأنبياء: عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[٢]

دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام: قال تعالى "رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)" البقرة

أنه يبقى والمال يفنى: فهذا أبو هريرة ﷺ من فقراء الصحابة حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمي عليه وأسألكم بالله هل يجري لأبي هريرة ذكر بين الناس في عصرنا أم لا ؟ نعم يجري كثيراً فيكون لأبي هريرة أجر من أنتفع بأحاديثه، إذ العلم يبقى والمال يفنى فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم فقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) [٣]

أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة: لأنه إذا رزقك الله علماً فمحله القلب لا يحتاج إلي صناديق أو مفاتيح أو غيرها هو في القلب محروس وفي النفس محروس وفي الوقت نفسه هو حارس لك لأنه يحميك من

---

(١) لسان العرب (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح مسلم

الخطر بإذن الله – عز وجل – فالعلم يحرسك ولكن المال أنت تحرسه تجعله في صناديق وراء الإغلاق ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه .

أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق: قال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) (آل عمران))

فهل قال: " أولو المال ؟ لا بل قال " وأولو العلم قائماً بالقسط " فيكفيك فخراً يا طالب العلم أن تكون ممن شهد لله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله عز وجل .

أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم : قال تعالى" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء)

فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها .

أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة: فعن معاوية – ﷺ – يقول سمعت النبي – ﷺ يقول:" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله معطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي الله بأمره " (١)

وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة:" إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم " وقال القاضي عياض – رحمه الله -: " أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث

نعمة يغبط الناس صاحبها ويتمنون مثلها

أ-طلب العلم والعمل به.

ب-التاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلمها "(٢)

نفع الناس في الدنيا والآخرة : عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال : " مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في الدين ونفعهُ ما بعثني اللهُ به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلتُ به " (٣)

أنه طريق الجنة : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله – ﷺ قال :" ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلي الجنة " (٤)

هم أهل الفقه : عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين (٥)

أي يجعله فقيهاً في دين الله عز وجل والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه فقط ولكن المقصود به هو: علم التوحيد وأصول الدين وما يتعلق بشريعة الله عز وجل ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كاملاً في الحثِّ على طلب علم الشريعة والفقه فيها.

---

(١) صحيح البخاري
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح البخاري

أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم : ولا يخفى على كثير منا قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعاً وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجلٍ عابد فسأله هل له من توبة ؟ فكأن العابد استعظم الأمر فقال: لا فقتله فأتم به المائة، ثم ذهب إلي عالم فسأله فأخبره أن له توبة وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة، ثم دلّه على بلد أهله صالحون ليخرج إليها فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق .....والقصة مشهورة فأنظر الفرق بين العالم والجاهل .

يعلم كيفية التحقق من صحة الخبر إذا نقل عن شخص ما: ترى أنه خطأ فاسلك طرقا ثلاثة على الترتيب:

الأول: التثبت في صحة الخبر.

الثاني: النظر في صواب الحكم، فإن كان صواباً فأيده ودافع عنه، وإن رأيته خطأ فاسلك الطريق

الثالث وهو: الاتصال بمن نسب إليه لمناقشته فيه وليكن ذلك بهدوء واحترام.

بالعلم تعلم انه لا يمكن أن يصلح الناس في ساعة واحدة أبداً: أليس النبي ﷺ قد بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس؟ وفي النهاية أخرج من مكة حين تآمروا عليه " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ" (الأنفال الآية: ٣٠).

يثبتوك يعني يحبسوك أو يقتلوك أو يخرجوك " وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" .

فلا يمكن أن تصلح الخلق بمجرد دعوة أو دعوتين لاسيما إذا لم تكن ذا قيمة بينهم لكن اصبر وأطل النفس وادع بالحكمة وأحسن الخلق وسيتبين لك الأمر فيما بعد

أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا: أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلي الله عزَّ وجلّ والعمل بما عملوا وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به قال الله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) سورة المجادلة

يرفع صاحبه إلى أفضل المنازل والدرجات: عن أبي كبشة الأنماريّ-رضي الله عنه- أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ثلاثة أقسم عليهنّ وأحدّثكم حديثا فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلّا زاده الله عزّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر- أو كلمة نحوها- وأحدّثكم حديثا فاحفظوه. قال: إنّما الدّنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتّقي فيه ربّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقّا. فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النّيّة يقول: لو أنّ لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيّته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتّقي فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أنّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيّته فوزرهما سواء" (١)

خير من أموال الدنيا: عن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصّفّة فقال:"أيّكم يحبّ أن يغدو كلّ يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟" فقلنا: يا رسول الله نحبّ ذلك. قال: "أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله- عزّ وجلّ- خير له من ناقتين. وثلاث خير له من ثلاث. وأربع خير له من أربع. ومن أعدادهنّ من الإبل" (٢) ، وبطحان: اسم موضع قرب المدينة ، والعقيق: اسم واد بالمدينة ، ناقة كوماء: عظيمة السنام

قال ابن القيّم: العلم هاد. وهو تركة الأنبياء وتراثهم. وأهله عصبتهم وورّاثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصّدور، ورياض العقول، ولذّة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيّرين، وهو

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح مسلم

الميزان الّذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال. وهو الحاكم المفرّق بين الشّكّ واليقين، والغيّ والرّشاد، والهدى والضّلال. به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحّد، ويحمد ويمجّد، وبه اهتدى إليه السّالكون. ومن طريقه وصل إليه الواصلون. ومنه دخل عليه القاصدون. وبه تعرف الشّرائع والأحكام، ويتميّز الحلال والحرام. وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب. وهو إمام، والعمل مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصّاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشّبهة، والغنى الّذي لا فقر على من ظفر بكنزه. والكنف الّذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه. مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد. وطلبه قربة. وبذله صدقة ومدارسته تعدل بالصّيام والقيام. والحاجة إليه أعظم منها إلى الشّراب والطّعام

عقد ابن القيم – رحمه الله تعالى – مقارنة بين العلم والمال

يحسن إيرادها في هذا المقام فقد فضل العلم على المال من عدة وجوه أهمها:

أن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء ٠

أن العلم يحرس صاحبه وصاحب المال يحرس ماله.

أن العلم يزداد بالبذل والعطاء والمال تذهبه النفقات – عدا الصدقة.

أن العلم يرافق صاحبه حتى في قبره والمال يفارقه بعد موته إلا ما كان من صدقة جارية.

أن العلم يحكم على المال فالعلم حاكم والمال محكوم عليه.

أن المال يحصل للبر والفاجر والمسلم والكافر أما العلم النافع فلا يحصل إلا للمؤمن.

أن العالم يحتاج إليه الملوك ومن دونهم وصاحب المال يحتاج إليه أهل العدم والفاقة والحاجة.

أن صاحب المال قد يصبح معدماً فقيراً بين عشية أو ضحاها والعلم لا يخشى عليه الفناء إلا بتفريط صاحبه.

أن المال يدعو الإنسان للدنيا والعلم يدعوه لعبادة ربه.

سعادة العلم دائمة وسعادة المال زائلة.

أن العالم قدره وقيمته في ذاته أما الغني فقيمته في ماله.

أن الغني يدعو الناس بماله إلى الدنيا والعالم يدعو الناس بعلمه إلى الآخرة.

ثالثاً: وجوب طلب العلم

علم الله تعالى سيدنا آدم الأسماء كلها بعد خلقه: قال تعالى" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)"البقرة

ترك سيدنا موسى قومه من أجل العلم: قال تعالى" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا .....قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)"

قال رسول الله ﷺ -"قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه وأوحى الله إليه : إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال : يا رب ! وكيف لي

به ؟ فقيل : احمل حوتا في مكتل فإذا فقدته فهو ..... " (١)

أول سورة نزلت في القرآن تأمر بالعلم: وقال تعالى(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) العلق ١.

فداء بعض أسرى بدر بتعليم بعض المسلمين: قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: فصل في حكمه في الأسرى: ثبت عنه - في الأسرى أنه قتل بعضهم، ومنَّ على بعضهم، وفادى بعضهم بمال، وبعضهم بأسرى من المسلمين، واسترق بعضهم، ولم يسترق رجلاً بالغاً..... وفادى بعضهم على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة، ولكن تحديد عدد الصبيان بعشرة لم نقف عليه من وجه صحيح، والله أعلم.

أمر الله بالعلم في مواضع كثيرة في القران: قال تعالى:(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) الطلاق:٢١.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) محمد

طلب العلم فريضة: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم) (٢)

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِى خُطْبَتِهِ " أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا ...." (٣)

وقال الإمام الشّافعيّ-رحمه الله تعالى: "طلب العلم أفضل من صلاة النّافلة"

طلب العلم سبيل إلى الجنة والى استغفار جميع المخلوقات : عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر " (٤)

هو ما يبقى للميت بعد موته: عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات العبد انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" " (٥)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال الرسول **: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورّثه. أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته" (٦)

لطالب العلم اجر مثل أجور من تبعه على الخير: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا " (٧)

وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم "(٨) ... وقوله وما والاه أي: طاعة الله.

---

(١) صحيح الجامع
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح ابن ماجة
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح الترغيب والترهيب
(٧) صحيح مسلم
(٨) صحيح الترغيب والترهيب

هم السبيل لإرشاد الخلق وعدم ضلالهم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (١)

حرمة كتمان العلم: عن أبي هريرة- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: "من سئل عن علم ثمّ كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" (٢)

الانسان مسئول عن علمه بين يدي الله: عن أبي برزة الأسلميّ- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟" (٣)

رابعا: آداب طالب العلم

طالب العلم لابد له من التأدب بآداب، نذكر منها:

إخلاص النية لله- عز وجل-: قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) .فأمر بالعلم، فإذا تعلمت فإنك ممتثل لأمر الله- عز وجل.

التمسك بالكتاب والسنة: يجب على طلبة العلم الحرص التام على تلقي العلم والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها، فيحفظ القران والسنة جيدا مع الفهم والإتقان ومعرفة ما يتعلق بهما من جميع الجوانب

تقوى الله - عز وجل-: فالعلماء هم أعرف الناس بالله وأتقاهم له، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "٢٨") سورة فاطر. وبالتقوى يزداد العالم علما ، وبالعلم يزداد التقي تقوى قال تعالى: (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "٢٨٢") سورة البقرة. وقال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب...) سورة الطلاق

العمل بالعلم : فالعلم إن لم يترجم إلى عمل فما الفائدة منه، فعلى طالب العلم كما يجد في الطلب أن يجد في العمل، فإنه أولى الناس بقطف ثمرات علمه، ولقد مدح الله - عز وجل- في كتابه الكريم العاملين بما علموا ، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ "١٧" الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ "١٨") سورة الزمر .

كما ذم الله أولئك الذين لا ينتفعون بما يحملونه من علم، وشبههم - عز وجل- بالحمار الذي يحمل أسفارا لا يعرف قيمتها، فضلا عن جهله بما تحويه من درر، قال تعالى في سورة الجمعة: " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

الصبر والتحمل: فطريق العلم ليس مفروشا بالورود والرياحين بل إنه يحتاج إلى صبر ويقين وعزيمة لا تلين ، فالطريق طويل، والنفس داعية إلى الملل، والسآمة، والدعة، والراحة، فإذا طاوع طالب العلم نفسه قادته إلى الحسرة والندامة، يقول الشاعر: وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطمعت تاقت وإلا تسلتِ ، ويقول آخر: والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ألا يمنعه خجله من السؤال: ولذلك قال بعض السلف : " لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر " ، يحمله

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح الترغيب والترهيب

تكبره على أن يعجب بنفسه ويبقى على جهله، وكذلك أيضا يحمله خجله عن أن لا يطلب أو يستفيد ممن معه علم فيبقى على جهله.

وعن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ! إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: " نعم، إذا رأت الماء" فقالت أم سلمة: يا رسول الله! وتحتلم المرأة؟ فقال: "تربت يداك. فبم يشبهها ولدها "[1]

التواضع والسكينة ونبذ الخيلاء والكبر: قال عمر بن الخطاب ﷺ: (تعلّموا العلم، وتعلّموا له السكينةَ والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمون، وليتواضع لكم من تعلِّمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء، ولا يقوم علمكم مع جهلكم) .

وكتب الإمام مالك إلى الرشيد: "إذا علمت علماً فليُرَ عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وحلمه" .

وقال الإمام الشافعي: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلّ النفس وضيق العَيش وخدمة العلماء أفلح"

الهمة في طلب العلم: لتكن همتك في طلب العلم عالية ؛ فلا تكتفِ بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا تقنع من إرث الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ بيسيره، ولا تركن إلى الكسل والتواني ولا تسوّف ، واجعل قدوتك العلماء العاملين الذين جدوا وتسابقوا في هذا الميدان . ولا تؤخر تحصيل فائدة تمكنت منها ولا يشغلك الأمل والتسويف عنها؛ فإن للتأخير آفات، ولأنك إذا حصلتها في الزمن الحاضر؛ حصل في الزمن الثاني غيرها.

واغتنم وقت فراغك ونشاطك، وزمن عافيتك، وشرخ شبابك، ونباهة خاطرك، وقلة شواغلك، قبل عوارض البطالة أو موانع الرياسة.

وينبغي لك أن تعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنك؛ لأنها آلة التحصيل، ولا تجعل تحصيلها وكثرتها (بدون فائدة) حظك من العلم، وجمعها نصيبك من الفهم، بل عليك أن تستفيد منها بقدر استطاعتك.

قال ابن جماعة الكناني: "الذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه... فإن شرع أو تعرض لصحبة من يضيع عمره معه ولا يفيده ولا يستفيد منه ولا يعينه على ما هو بصدده فليتلطّف في قطع عشرته من أول الأمر قبل تمكّنها، فإن الأمور إذا تمكّنت عسرت إزالتها".

اختيار الصاحب: احرص على اتخاذ صاحب صالح في حاله، كثير الاشتغال بالعلم، جيد الطبع، يعينك على تحصيل مقاصدك ، ويساعدك على تكميل فوائدك ، وينشطك على زيادة الطلب ، ويخفف عنك الضجر والنصب ، موثوقاً بدينه وأمانته ومكارم أخلاقه ، ويكون ناصحاً لله غير لاعبٍ ولا لاه ." انظر تذكرة السامع لابن جماعة.

وإياك وقرين السوء؛ فإن العرق دساس، والطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك فإنه المرض، والدفع أسهل من الرفع .

التفرغ والمحافظة على الأوقات: وذلك بأن لا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة ، وقد كان بعضهم لا يترك الاشتغالَ بالعلم لعروض مرض خفيف أو ألم لطيف ، بل كان يستشفي بالعلم ، ويشتغل به بقدر الإمكان .

قال الشافعي: لو كلفت شراءَ بصلة لما فهمت مسألة .

---

[1] صحيح مسلم

وهذا الإمام جمال الدين القاسمي رحمه الله وقد عاش قرابة خمسين سنة وألف ما يزيد عن خمسين مؤلفاً وكانت حياته زاخرة بالعلم والدعوة والكفاح، ومع ذلك كان يقول : يا ليت الوقت يباع فأشتريه

احترام العلماء من غير تقديس، واتباعهم من غير تقليد : فيجب على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً، لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوّش على الناس سمعتهم، وهذا من أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامّي من الناس من كبائر الذنوب، فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر، لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي".

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: (من حقّ العالم عليك إذا أتيته أن تسلِّم عليه خاصَّة، وعلى القوم عامّة، وتجلس قُدَّامه، ولا تشِر بيديك، ولا تغمِز بعينَيك، ولا تقُل: قال فلان خلافَ قولك، ولا تأخذ بثوبِه، ولا تُلحَّ عليه في السؤال، فإنّه بمنزلة النخلة المُرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء).

رحابة الصدر في مسائل الخلاف : فينبغي أن يكون صدر طالب العلم رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد؛ لأن مسائل الخلاف بين العلماء إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويكون الأمر فيها واضحاً، فهذه لا يعذَر أحد بمخالفتها، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال، فهذه يعذر فيها من خالفها".

مذاكرة العلم وكتابة ما استفاده: وقد قيل: إحياء العلم مذاكرته ** فأدم للعلم مذاكرته

ولقد كان سلفنا الصالح يتواصون بمذاكرة العلم ، يقول أحدهم: مذاكرة ليلة أحب إلي من إحيائها.

يعني : جلوسي في هذه الليلة أتذكر العلم وأتذكر ما حفظته أحب إلي من أن أقومها قراءة وتهجدا وصلاة وركوعا وسجودا .

وينبغي على طالب العلم كلما استفاد فائدة أثبتها معه في دفتر أو ورقة وكررها إلى أن يحفظها . يقول العلماء : " إن ما حفظ فر وما كتب قر " ، أي أن ما كتبته ستجده فيما بعد .. ويشبهون العلم بالصيد، فيقول بعضهم: العلم صيد والكتابة قيده ** فاحفظ لصيدك قيده أن يفلت

الدعوة إلى الله تعالى والاجتهاد في نشر العلم: فيوظف هذا العلم في الدعوة إلى الله تعالى على هدى وبصيرة قال تعالى: (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) "١٠٨" فالداعية لا بد وأن يستغل كل مناسبة ويدعو إلى تعالى في شتى الميادين في المسجد وفي المدرسة وفي المعهد وفي السوق وفي الأعياد والمناسبات ، ولقد حث الرسول ﷺ على نشر العلم ورغبنا فيه فعَن أنس بْن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: (نضّر الله عَبْدا سمع مقَالَتي فوعاها، ثُمَّ بلغها عَنْي. فرب حامل فقه غَيْر فقيه. ورب حامل فقه إِلَى من هُوَ أفقه منه) [١]

الدعاء: وعن زيد بن أرقم - ﷺ - ، قَالَ : كَانَ رسُولُ الله - ﷺ - ، يقول :((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ ، والبُخْلِ والهَرَمِ ، وَعَذابِ القَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ؛ وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا)) [٢] ، وعن جابر بن عبد الله- ﷺما- قال: قال رسول الله ﷺ: "سلوا الله علما نافعا، وتعوّذوا بالله من علم لا ينفع" [٣]

---

(١) صحيح الجامع (٢) صحيح مسلم (٣) السلسلة الصحيحة

خامساً: نماذج وأقوال علي فضل العلم

في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد : تلميذ الإمام أبي حنيفة (أبو يوسف) التي يرويها علي بن الجعد فيقول: " أخبرني أبو يوسف قال توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أمي فأسلمتني إلي قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر إلي حلقة أبي حنيفة فأجلس أسمع فكانت أمي تجيء خلفي إلي الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلي القصار وكان أبو حنيفة يعني بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وإنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة: قري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق – فانصرفت عنه وقالت له: أنت يا شيخ قد خرفت وذهب عقلك !! .... فأكمل أبو يوسف فقال: ثم لزمت أبا حنيفة وكان يتعهدني بماله فما ترك لي خلة فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس هارون الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قدم إلي هارون الرشيد فالوذجاً بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم ضحكت ؟ فقلت: خيراً أبقى الله أمير المؤمنين قال: لتخبرني – وألح علي – فأخبرته بالقصة من أولها إلي آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري: إنه العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه.

قال عمر بن الخطّاب-رضي الله عنه-: "تعلّموا العلم، وعلّموه النّاس وتعلّموا له الوقار والسّكينة وتواضعوا لمن تعلّمتم منه ولمن علّمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم".

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لرجل من أصحابه: يا كميل: "العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو بالإنفاق"

عن أبي هريرة-رضي الله عنه- : قال: "ما من أصحاب النّبيّ ﷺ أحد أكثر حديثا عنه منّي، إلّا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنّه كان يكتب ولا أكتب" (١)

قال الحسن البصري : "العامل على غير علم كالسّالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر ممّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبا لا تضرّوا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا تضرّوا بالعلم، فإنّ قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتّى خرجوا بأسيافهم على أمّة محمّد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا"

عبيد الله بن كثير : يروي عن أبيه أنه قال: " ميراث العلم خير من ميراث الذهب والفضة والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ ولا يستطاع العلم براحة الجسم ".

يقول يحيى بن معاذ ــ أحد العارفين بالله ــ: " العلماء أرحم بأمة محمدٍ من آبائهم وأمهاتهم، قالوا: كيف ذلك ؟ العالم أرحم بتلميذه من الأب والأم بابنيهما ؟! قال : إليكم الجواب ، الآباء والأمهات يحفظون أولادهم من نار الدنيا ــ يخافون عليهم المرض ، يخافون عليهم الحريق، يخافون عليهم الفقر ــ ولكن العلماء يحفظون أتباعهم من نار الآخرة . تنتهي فضائل الأبوة في الدنيا، لكن فضائل طلب العلم تستمر إلى أبد الآبدين.

أيها الأحباب: وعلي الدول النهوض بالتعليم والعمل على تطويره فانه ضرورة شرعية ووطنية؛ وعلى المجتمع دورا تجاه ذلك أيضا : فمن دور الأسرة غرس القيم التربوية والسلوكية في الأبناء منذ نشأتهم؛ إذ أن العناية بالنشء مسلك الأخيار، وطريق الأبرار، ولا تفسد الأمة وتهلك في الهالكين إلا حين تفسد

---

(١) صحيح البخاري

أجيالها، ولا ينال الأعداء من أمة إلا نالوا من شبابها وصغارها؛ ولذلك كان السلف الصالح يعنون بأبنائهم منذ نعومة أظفارهم، يعلمونهم وينشئونهم على الخير، ويبعدونهم عن الشر، ويختارون لهم المعلمين الصالحين والمربين الحكماء والأتقياء ويحكى لنا القران: ما كان من لقمان الحكيم في وعظ ابنه: فيبدأ معه بتوحيد الله فهو أصل الدين ،قال تعالى (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان ١٣. ثم راح يوجهه نحو الفرائض ثم إلى كريم الأخلاق داعيا إليها فقال (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ *وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) لقمان ١ ١٩.

تلك موعظة عظيمة وجهها لقمان الحكيم لابنه، بينها الله لنا في كتابه، لنتأسى بتلكم الأخلاق، وبأولئك الأقوام في أقوالهم وأعمالهم فكل منا مسئول عن أبنائه أمام الله تعالى؛ فقد قال ﷺ " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (١)

وللمدرسة دور أيضا في تنشأة الأجيال على العلم مزينا بالأخلاق والسلوك الحسنة الطيبة فالمدرسة تربية وثقافة ووعى وحضارة .

ويقع على المدرس دورا كبيرا تجاه طلابه :فهو صاحب رسالة سامية إذ أن مهنة المعلم تعتبر من أكبر المهام خطورة وأثراً على المجتمع؛ ذلك أن إعداد المعلم للطالب إعدادا علميا وسلوكيا ووطنيا من الركائز الأساسية التي يبني عليها استقرار المجتمع وتقدمه ورقيه ، كما أن المعلم قدوة لأبنائه من الطلاب، ولذلك كان واجب عليه أن يكون نعم القدوة وان يؤدى رسالته على أكمل وجه فيصدق فيه قول القائل:

قُم للمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَبْجيلا ** كادَ المعلمُ أن يكونَ رَسولا

قال عليّ بن عبد العزيز القاضي الجرجانيّ- رحمه الله تعالى- في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي

يقولون لي فيك انقباض وإنّما ** رأوا رجلا عن موقف الذّل أحجما
أرى النّاس من داناهم هان عندهم ** ومن أكرمته عزّة النّفس أكرما
ولم أقض حقّ العلم إن كان كلّما ** بدا طمع صيّرته لي سلّما
وما كلّ برق لاح لي يستفزّني ** ولا كلّ من لاقيت أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ** ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظّما
أنهنهها عن بعض ما لا يشينها ** مخافة أقوال العدا فيم أو لما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ** لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلّة ** إذا فاتّباع الجهل قد كان أحزما
ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ** ولو عظّموه في النّفوس لعظّما
ولكن أهانوه فهان ودنّسوا ** محيّاه بالأطماع حتّى تجهّما

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه

محاسبة النفس

الحمد لله كالذي نقول وخيرًا مما نقول، أحسن كل شيء خلقه فالكل بالعناية مشمول، قدَّر لكل موجود رزقه وكل على جناح النعمة محمول، أعطى كل شيء خلقه وكل أمر إليه موكول، له في كل أمر حكمة وإن ذهلت عنها العقول، نحمده تبارك وتعالى حمدًا هو بالثناء عليه موصول، ونعوذ بنور وجهه الكريم من السحت والغلول، ونرجوه العصمة من الحرام في كل مشروب ومأكول.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحي الذي لا يَموتُ ولا يزول، المستوي على عرشه دون مماسَّة أو حلول، شهد لنفسه بالوحدانية وشهد له الملائكة والعدول، لا يَشغَله شأن عن شأن وغيره عن شأنه مشغول، لا يُعجزه شيء وكل مراد له في الكون مفعول، لا يُسأل عما يفعل وكل من عداه مسؤول، لا يَخفى عليه شيء فلا حائل دون علمه يحول، يرى ويسمع وستره على العصاة مسدول، فتح أبواب توبته لكل أسير في الإثم مغلول، لا يرد سائلًا ودعاء الصالحين لديه مقبول.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدٌ لله ورسول، دعوة الخليل وقرة عين إسماعيل وبشرى ابن البتول، أشرق على الوجود بنوره فإذا الكواكب والشموس أفول، أرسل والنفوس موات فحيِيَتْ، وأينعت الزهور بعد ذبول، بعث بالحق والعقول ظلام فأفاق الناس بعد ذهول، قالت الأعراب والكهان بالظن فإذا هو بالوحي يقول، رسم الطريق إلى الهدى، ولولا هديه ما صح للعبد وصول، طوبى لمن فاز برؤيته أو نال في حضرته المثول، شُفي المريض بريقه وبلمسه نشط الكسول، هو الحنان، هو الأمان، وبالصلاة عليه كل الهموم تزول، عطاه الإله شفاعة وبدونها ما كان للنجاة حصول، هو الوسيلة ترتجى؛ إذ لولا رضاه لانعدم القبول، له المقام الأوحد وقد أصاب المقربين خمول، (أنا لها) له مقالة، ونفسي ثم نفسي كل الأنبياء تقول، قرْبٌ ونَجوى، حبٌّ وزُلفى، وبحمده لربه يتحقق المأمول، تراه تحت العرش ساجدًا والخوف في نفوس الجمع يصول، سل يا محمد ما بدا لك، فمن قبل المسألة أجاب المسؤول.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على الحبيب المصطفى وعلى فروع شجرته والأصول، وعلى الصحب والآل ومن تبع، وقِنا في حبهم شر كل عزول.

العناصـــــــــــر: ـ

أولاً: تعريفها
ثانياً: أقسام محاسبة النفس
ثالثاً: أهمية المحاسبة
رابعاً: فوائد محاسبة النفس
خامساً: أسبابٌ تعينُ المسلمَ على محاسبةِ نفسهِ
سادساً: كيفية محاسبة النفس
سابعاً: لماذا نقصر في محاسبتنا لأنفسنا ؟
ثامناً: حال السلف الصالح
تاسعاً: آثار فقد المحاسبة
أخيرا: قصائد في محاسبة النفس

الموضوع

أولاً: تعريفها

تعريف النفس: هي النفس الروحانية التي خلقه الله عز وجل والتي تقبل السلبية والايجابية والنفس البشرية منذ ما وجدت على الأرض تميل إلى حب التطلع والمعرفة وكشف المبهمات.....

وتنقسم النفس البشرية في الروح الواحدة

1-النفس الفطرية:
وهي النفس البشـــرية التي خلقها الله ومتواجدة فيها صـــفات الفطرة مثل: حب الذات وحب الله والأكل والشرب والنوم.
2-النفس المكتســـبة: هي النفس المكتســـبة من البيئة المحيطة بالطفل حتى الكبر مثل: ا لوراثة والكرم والشجاعة والعمل والتطلع إلى المستقبل
تعريف المحاسبة: وقال الماوردي في معنى المحاسبة: (أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل)
قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ) :هي التمييز بين ما له وما عليه (يقصد العبد) فيستصحب ما له ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافرٌ سَفَرَ من لا يعود). وقال (فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولا ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانياً)
وأما الحارث المحاســبي فقد عرّفها بقوله: (هي التثبّت في جميع الأحوال قبل الفعل والترك من العقد بالضمير، أو الفعل بالجارحة؛ حتى يتبيّن له ما يفعل وما يترك، فإن تبيّن له ما كره الله ـ عز وجل ـ جانبه بعقد ضمير قلبه، وكفّ جوارحه عمّا كرهه الله ــ عز وجل ــ ومَنَع نفسه من الإمساك عن ترك الفرض، وسارع إلى أدائه)

ثانياً: أقسام محاسبة النفس

القسم الأول: محاسبة النفس قبل العمل: وهو أن ينظرَ العبدُ في هذا العمل ، هل هوَ مقدورٌ عليهِ فيعملَه ، مثل الصــيام والقيام . أو غيرَ مقدورٍ عليهِ فيتركَه . ثم ينظر هل في فعله خيرٌ في الدنيا والآخرة فيعملَه ، أو في عملِه شــرٌ في الدنيا والآخرة فيتركَه . ثم ينظر هل هذا العمل للهِ تعالى أم هو للبشــر ، فإن كان سيعملُه لله فعلَه ، وإن كانت نيتَهُ لغيرهِ ترَكه .
القسم الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:
محاسبة النفس على طاعاتٍ قصَّرتْ فيها: كتركها للإخلاصِ أو للمتابعة ، أو تركِ العمل المطلوب كترك الذكر اليومي ، أو تركِ قراءةِ القرآن ، أو تركِ الدعوة أو ترك صــلاةِ الجماعة أو ترك الســننِ الرواتب . ومحاســبة النفس في هذا النوعِ يكون بإكمالِ النقص وإصــلاح الخطأ ، والمســارعةِ في الخيرات وترك النواهي والمنكرات ، والتوبةِ منها ، والإكثارُ من الاســتغفار ، ومراقبةُ اللهِ عز وجل ومحاســبة القلب والعمل على ســلامتِه ومحاســبةُ اللســان فيمــا قالَه ، وإشــغالِه إما بالخيرِ أو بالصــمت ، وكذلك يكونُ بمحاسبة العين فيما نظرت ، فيطلقها في الحلالِ ويَغُضُّها عن الحرام ، وبمحاسبة الأُذن ما الذي سَمِعته ، وهكذا جميعِ الجوارح .
قال تعالى : ((فَإِذَا أَفَضْــتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْــعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّــآلِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُــواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْــتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (البقرة: ١٩٩)
وفي صــلاة الليل قال الله تعالى : ((وَالْمُسْــتَغْفِرِينَ بِالأَسْــحَارِ) ((آل عمران ١٧) هل أمضــوا ليلهم عند الدشوش ؟، هل قضوا ليلهم في معصية الله ؟، أبداً كانوا يؤدون عملاً من أسباب دخول الجنة ومع ذلك

عندما فرغوا منه أكثروا من الاستغفار ، وفي الصحيح أن النبي كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ثم قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام

لماذا يستغفرون عقب الطاعة؟ المتبادر للذهن أن الاستغفار يكون عقب المعصية وهؤلاء يستغفرون عقب الطاعة لماذا ؟ ؛ لأنهم أيها الإخوة يدركون تقصيرهم فيها ، وأنهم لم يقوموا بحق الله فيها حق القيام كما يليق بجلاله ، وأنه لولا توفيقه لهم بعملها لم يعملوها ، فكم عبد من عباده محروم من عملها وهذا يدلك على أن الله هو الذي يمتن على عباده ويوفقهم إلى طاعته ، وأن الإنسان لا يأمن على نفسه الزيغ ، يا أخي ألم يقل ربنا سبحانه لرسوله ﷺ وهو أفضل البشر ((وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)) (الاسراء : ٧٤)

أن يحاسبَ نفسَهُ على كلِّ عملٍ كانَ تركُهُ خيراً من فعله؛ لأنهُ أطاعَ فيه الهوى والنفس، وهو نافذةٌ على المعاصي، ولأنهُ من المتشابه، يقولُ ﷺ : ((إن الحلال بَيِّن ! وإن الحرام بَيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقعَ في الشبهات وقع في الحرام)) [١] ويقولُ عليه الصلاة والسلام: ((دع ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك)) [٢]

أن يُحاسبَ الإنسانُ نفسَه على أمرٍ مباح أو معتاد : لـمَ فعله ؟ وهل أرادَ به الله والدارَ الآخرة فيربح ، أم أرادَ به الناسَ والدنيا فيخسر ذلك الربح ويفوتَهُ الظَفَرُ به .

ثالثا: أهمية المحاسبة:

أمر الله بها: قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)الحشر ١٨

قال ابن كثير في تفسيره: أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم[٣]

وجوب المسارعة للعمل الصالح: قال تعالى (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران

محاسبة النفس قبل فوات الأوان: قال تعالى (وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)البقرة ٢٨١

قال تعالى : (أَنْ تَقولَ نَفسٌ يا حَسْرتى عَلى ما ! فَرطتُ في جَنْبِ اللهِ وإنْ كُنْتُ لَمِنَ الساخِرين) .

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " [٤]

وجوب محاسبة النفس لأنها قد تزل أحيانا: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ " [٥]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ " [٦]

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) تفسير ابن كثير
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح مسلم
(٦) السلسلة الصحيحة

وكتبَ عمرُ بن الخطابِ ﷺ إلى بعضِ عمَّالِهِ :((حاسب نفسكَ في الرخاء قبلَ حسابِ الشدة ، فإن من حاسبَ نفسهُ في الرخاءِ قبلَ حساب الشدة ، عادَ أمرُه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلتْهُ أهواؤه عادَ أمرُه إلى الندامةِ والخسارة))

لا يخفى على الله شيء: قال تعالى" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " المجادلة

الدنيا زرع وحصاده في الآخرة: قال تعالى (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ *وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) الزلزلة ٨/٧

وقال تعالى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ " آل عمران ٣٠

كل إنسان مسئول عن عمله يوم القيامة

قال تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ)الصافات ٢٤

وقال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)المدثر ٣٨

وقال تعالى : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)الكهف

وقال تعالى : (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ) المجادلة

وقال تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْس شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ منْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) الأنبياء

عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه "[1]

فرحة المحاسبين لأنفسهم وحسرة التاركين لها: قال تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ *إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ *فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ*وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ*مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ*هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ *خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ *لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ) الحاقة ١٣٧

رابعاً: فوائد محاسبة النفس:

الاطِّلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

دليل على الخوف من الله والاستعداد للقائه.

بين للمؤمن حقيقة الربح والخسران.

محاسبة النفس في الدنيا تريح المؤمن يوم القيامة.

فيه امتثال لأمر الله تعالى.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب

تبعد عن الغفلة، والاستمرار في المعاصي، والذنوب.
تعين المؤمن، وتساعده في استدراك ما نقص من الفرائض، والنوافل.
تثمر محبة الله ورضوانه.
أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه، فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة المنفعة جدًّا.
أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها

خامساً: أسبابٌ تعينُ المسلمَ على محاسبةِ نفسهِ وتُسهِّلُ عليهِ ذلك

١. معرفةُ أنك كلما اجتهدت في محاسبةِ نفسكَ اليوم، استراحتَ من ذلك غداً ، وكلما أهملتها اليوم اشتدَّ عليكَ الحسابُ غداً .
٢. معرفةُ أنَّ ربحَ محاسبة النفس هو سُكْنى الفردوس، والنظرُ إلى وجهِ الربِ سبحانه ، وأنَّ تركها يؤدي بك إلى الهلاكِ ودخولِ النار والحجابِ عن الرب تبارك وتعالى .
٣. صحبةُ الأخيار الذينَ يُحاسبونَ أنفسَهُم، ويُطلِعونَك على عيوبِ نفسِكَ ، وتركُ صحبة من عداهم
٤. النظرُ في أخبارِ أهل المحاسبةِ والمراقبة، من سلفِنا الصالح .
٥. زيارةُ القبورِ والنظرُ في أحوالِ الموتى الذين لا يستطيعونَ محاسبةَ أنفسِهم أو تدارُكِ ما فاتَـهم .
٦. حضورُ مجالس العلمِ والذكر فإنها تدعو لمحاسبة النفس .
٧. البعدُ عن أماكن اللهوِ والغفلة فإنها تُنسيكَ محاسبةَ نفسك .
٨. دعاءُ اللهِ بأن يجعلك من أهلِ المحاسبة وأن يوفقك لذلك

سادساً: كيفية محاسبة النفس

قال ابن قدامة في كتابه : مختصـــر منهاج القاصـــدين :وتحققَ أربابُ البصـــائر أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار ـ الناتجة عن عدمِ محاسبة النفس ـ إلا لزومُ المحاسبةِ لأنفسِهم وصِدْقُ المراقبة ، فمن حاسبَ نفسهُ في الدنيا خفَّ حسابه في الآخرة ، ومَن أهملَ المحاسبة دامتْ حسراته ، فلما علموا أنهم لا يُنجيهم إلا الطاعة ، وقد أمرَهم بالصـبرِ والمرابطةِ فقالَ سـبحانه : "يا أيُّها الَذينَ آمَنُواْ اصـبِروا وَصـابِرواْ ورابِطوا" فرابطوا أنفسَـهم أولاً بالمشـارطةِ ثمّ بالمراقبة ، ثم بالمحاسـبةِ ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدةِ ثم بالمعاتبة ، فكانتْ لهم في المرابطةِ سِتُّ مقاماتٍ أصلُها المحاسبة ، ولكنْ كلّ حسابٍ يكونُ بعدَ مشارطةٍ ومراقبة ، ويتبعهُ عندَ الخُسران المعاتبةُ والمعاقبة . نأخذها الآنَ بشيءٍ منَ التفصيل:

المقامُ الأول: المشـــــارطة: اعلم أنّ التاجرَ كما يستعينُ بشريكهِ في التجارةِ طلباً للربح ، ويشارطهُ ويحاسبه ، كذلك العقلُ يحتاجُ إلى مشاركةِ النفس وشرطِ الشروطِ عليها وإرشادِها إلى طريقِ الفلاح ، والتضييقِ عليها في حركاتها وسكناتها . فمثلاً : إذا فَرِغَ العبدُ من صلاةِ الصُبْح ، ينبغي أن يُفرغَ قلبَه ساعةً لمشارطةِ نفسهِ

فيقولُ للنفس : ماليَ بضـاعة إلا العُمُر ، فإذا فَنِيَ مني رأس المال وقعَ اليأسُ من التجارةِ وطلبِ الربح . فليقُل أحدُنا الآنَ قبلَ الموت : يا نفس ، اجتهدي اليومَ في أن تعـــمُري خِزانتكِ ولا تدعيها فارغة ، ولا تَميلي إلى اليأسِ والدَعَةِ والاستراحة فيفوتكِ من درجاتِ عليينَ ما يُدْرِكه غيرَكِ

المقامُ الثاني: المراقبـة: إذا أوصى الإنسانُ نفسَهُ وشَرَطَ عليها ، لم يبقَ إلا المراقبة لها وملاحظتها وفي الحديثِ الصحيح في تفسيرِ الإحسان ، لما سُئِلَ عنهُ رسولُ اللهِ ﷺ قال : ((أنْ تعبدَ اللهَ كأنك تراه ، فإن

لم تكن تراهُ فإنه يراك)) . فمراقبة العبد نفسَـــه في الطاعة هو أن يكونُ مخلصـــاً فيه! ا ، ومراقبته في المعصـيةِ تكونُ بالتوبةِ والندمِ والإقلاع ، ومراقبته في المباح تكونُ بمراعاةِ الأدب والشـكرِ على النعيم ، وكلُّ ذلك لا يخلو من المراقبة .

المقام الثالث: المحاسـبةُ بعدَ العمل: اعلم أن العبدَ كما ينبغي أن يكونَ له وقتٌ في أولِ النهار يشـارطُ فيهِ نفسه ، كذلك ينبغي أن يكونَ له ساعةٌ يطالبُ فيهِ نفسه في آخرِ النهار ويحاسبُها على جميعِ ما كانَ منها ، كما يفعلُ التُجّار في الدنيا معَ الشُركاءِ في آخرِ كل سنةٍ أو شهرٍ أو يوم .

المقام الرابع: معاقبةُ النفسِ على تقصيرِها: اعلم أن العبدَ إذا حاسبَ نفسهُ فرأى منها تقصيراً ، أو فعلَتْ شيئاً من المعاصي ، فلا ينبغي أن يهملَها ، فإنه يَسْهُلُ عليهِ حينئذٍ مقارفةُ الذنوب ويعسرُ عليه فِطامُها ، بل ينبغي أن يعاقبها عقوبةً مباحة ، كما يعاقبُ أهلَهُ وأولادَه . وكما رويَ عن عمر ﷺ : أنه خَرجَ إلى حائطٍ له ثم رَجعَ وقد صـــلى الناسُ العصـــرَ ، فقال : إنما خرجتُ إلى حائطي ورَجعتُ وقد صـــلى الناسُ العصرَ ، حائطي صدقةٌ على المساكين .

المقام الخامس: المجـــاهدة: إذا حاسبَ الإنسانُ نفسَه ، فينبغي إذا رآها قد قارفت معصيةً أن يُعاقبَها كما سبق ، فإن رآها تتوانى للكسلِ في شـيءٍ من الفضـائلِ أو وِرد من الأوراد ، فينبغي أن يؤدبَـــها بتثقيلِ الأورادِ عليها ، كما وردَ عن ابنِ عمرَ ﷺ ، أنه إذا فاتته صـــلاةٌ في جماعةٍ فأحيا الليلَ كلَّه! ُ تِلكَ الليلة ، فهوَ هُنا يجاهدُها ويُكرِهُهَا ما استطاع .

المقام الأخير: معاتبةُ النفسِ وتوبيخُـــها: قال أنس ﷺ: سـمعتُ عمرَ بن الخطابِ ﷺ، وقد دخلَ حائطاً، وبيني وبينـه جدار، يقول: عمرُ بن الخطاب أميرُ المؤمنين !! بخٍ بخ، واللهِ لتتقينَ الله يـا ابن الخطاب أو ليُعذبنَّك! .

أخي الحبيب: اعلم أن أعدى عدوٍ لكَ نفسُكَ التي بين جنبيك، وقد خُلِقتْ أمارةً بالسوءِ ميالةً إلى الشرورِ، وقد أُمرتَ بتقويمها وتزيكتها وفطامها عن موارِدِها، وأن تقودَها بسلاسلِ القهْرِ إلى عبادةِ ربِها، فإن أنتَ أهملتها ضلّتْ وشَرِدتْ، وإن لزمتَها بالتوبيخِ رَجونا أن تصيرَ مُطمئنة، فلا تغفلنّ عن تذكيرِها.

أخي الحبيب: كم صلاةٍ أضعتَها؟ كم جُمُعَةٍ تهاونتَ بها؟ كم صدقةٍ بَخِلتَ بها؟ كم معروفٍ تكاسلتَ عنه؟ كم منكرٍ سكتَّ عليه؟ كم نظرةٍ محرمةٍ أصبتَها؟ كم كلمةٍ فاحشـةٍ أطلقتها؟ كم أغضبتَ والديك ولم ترضِـهما؟ كم قسوتَ على ضعيفٍ ولم ترحمه؟ كم من الناسِ ظلمتَه؟ كم وكم ...؟

وذكرَ ابنُ القيم أن محاسبةَ النفس تكون كالتالي:

البدءُ بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصٌ تداركهُ.

النظرُ في المناهي، فإذا عرَف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبةِ والاستغفارِ والحسناتِ الماحية.

محاسـبةُ النفس على الغفلةِ، ويَتَدَاركُ ذلِك بالذكرِ والإقبالِ على ربِ السـماوات ورب الأرض رب العرش العظيم.

محاسبةُ النفس على حركاتِ الجوارح، وكلامِ اللسـان، ومشـيِ الرجلين ، وبطشِ اليدين ، ونظرِ العينين ، وسماعِ الأذنين ، ماذا أردتُ بهذا ؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟

سابعاً: لماذا نقصر في محاسبتنا لأنفسنا؟

هناك أمور تمنع أو تقلل من محاسبة النفس من أهمها

المعاصي : سواء كان ذلك بفعل الكبائر أو بالإصرار على الصغائر ؛ حيث إن هذه المعاصي تسبب الران على القلب ، فإذا لم يحاسب العبد نفسه ويتوب تراكم هذه الران على قلبه ، وبقدر تراكم هذا الران تقل محاسبته لنفسه حتى يصبح قلبه لا ينكر منكراً ولا يعرف معروفاً

التوسع في المباحات: لأن هذا التوسع يرغبه في الدنيا ويقلل تفكيره في الآخرة، وإذا لم ينظر إلى آخرته، أو قل نظره إليها قلت محاسبته لنفسه.

عدم استشعار عظمة الله وما يجب له من العبودية والخضوع والذل؛ فلو استشعرنا ذلك وعرفنا لله حقه لأكثرنا من محاسبتنا لأنفسنا، ولقارنا بين نعم الله علينا وبين معاصينا، ولقارنا بين حقه علينا وبين ما قدمناه لآخرتنا

تزكية النفس وحسن الظن بها لأن حسن الظن بالنفس يمنع من التعرف على عيوبها وإذا لم تكتشف الداء كيف ستعالجه

عدم تذكر الآخرة والانشغال بالدنيا ولو وضعنا الآخرة نصب أعيننا لما أهملنا محاسبة أنفسنا.

وغيرها.....

ثامناً: حال السلف الصالح

قال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك لشريكه

قال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة

قال ابن القيم -رحمه الله -: "وهلاك القلبِ في إهمال محاسبة النفس ، وفي موافقتها وإتباع هواها".

عمر بن الخطاب ﷺ: يقول (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهونُ عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

ولم يقف أمر محاسبة النفس لمجرد الكلمات عند عمر بل تراه يطبق هذا الكلام على نفسه قال أنس ﷺ سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يوماً وقد خرجتُ معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول : والجدار بيني وبينه : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخٍ والله لتتقين الله يا بن الخطاب أو ليعذبنك.

وتدبر معي كلام بن الصَّمَّة رحمه الله تعالى فقد كان من أشد الناس محاسبة لنفسه ؛لما بلغ الستين من عمره تقريباً جلس يوماً ليحاسب نفسَه فعدّ عمره فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيّامها فإذا هي واحدٌ وعشرون ألفاً وخمسمائة يوم؛ فصرخ وقال : يا ويلاه ، يا ويلاه !!ألقى ربى بواحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفى كل يوم آلاف الذنوب؟!!ثم خرّ فإذا هو ميّت !!فسمعوا قائلاً يقول: يا لكِ ركضةٌ إلى الفردوس الأعلى

قال لقمان الحكيم لابنه: "يا بني، إن الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حَرون؛ فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق، وإن فتر قائدها حرنت، فإذا اجتمعا استقامت، إن النفس إذا أُطعمت طمعت، وإذا فوضت إليها أساءت، وإذا حملتها على أمر الله صلحت، وإذا تركت الأمر إليها فسدت؛ فاحذر نفسك، واتهمها على دينها، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها، ولا بد له منها، وإن الحكيم يذل نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق، وإن الأحمق يخير نفسه في الأخلاق، فما أحبت منها أحب، وما كرهت منها كره."

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: " مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ آكُلُ ثِمَارَهَا ، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا ، وَأُعَانِقُ أَبْكَارَهَا ، ثُمَّ مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ آكُلُ مِنْ زَقُّومِهَا ، وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا ، وَأُعَالِجُ سَلاسِلَهَا وَأَغْلالَهَا ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي : أَيْ نَفْسِي ، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا ، فَأَعْمَلَ صَالِحًا ، قَالَ : قُلْتُ : فَأَنْتِ فِي الأُمْنِيَةِ ، فَاعْمَلِي. "

قال الغزالي: "عرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته

قال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب وهو يقول: رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره، رحم الله امرأً أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به، رحم الله امرأً نظر في مكياله، رحم الله امرأً نظر في ميزانه فما زال يقول حتى أبكاني.

حكى صاحب للأحنف ابن قيس: قال: كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء، وكان يجئ إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا.

قال أحمد بن حضرويه: أصل التقوى: محاسبة النفس، واصل محاسبة النفس: الخوف والرجاء

عن علي بن عبد الحميد: قال سمعت السري السقطي يقول: من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه

عن يحيى بن المختار عن الحسن قال: إن المؤمن قوامٌ على نفسه يحاسب نفسه لله -عز وجل-، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك هيهات، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت إلى هذا مالي ولهذا والله لا أعود لهذا أبداً- إن شاء الله-، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله -عز وجل- يعلم أنه مأخوذٌ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

قال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتى يعلم من أين مطعمه و من أين ملبسه ومن أين مشربه، أمن حل ذلك أم من حرام.

جاء رجل إلى يونس بن عبيد فقال له: أنت يونس بن عبيد، قال: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك، قال: وما حاجتك، قال: أريد أن أسألك عن مسألةٍ، قال: سل عما بدا لك، قال: أخبرني ما غاية الورع؟ قال: محاسبة النفس مع كل طرفة والخروج من كل شبهة، قال فأخبرني ما غاية الزهد؟ قال: ترك الراحة.

قال الحسن بن علي الدقاق: أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقى، وأصل التقى محاسبة النفس، ومحاسبة النفس من الخوف والرجاء، والخوف والرجاء من المعرفة، وأصل المعرفة لسان العلم والتفكر.

تاسعاً: آثار فقد المحاسبة:

تسهل على العبد الوقوع في المعاصي؛ حيث إن محاسبة النفس تجعله يندم على فعله المعصية، وإذا ندم أوشك ألا يعملها مرة أخرى، أما إذا لم يأبه للمعصية ولم يحاسب نفسه عليها فإنه من السهل أن يقع فيها أو في معصية غيرها مرة أخرى

يعسر عليه ترك المعاصي والبعد عنها؛ لأنه يكون حينئذ ألفها واعتاد عليها ، وتشربها قلبه فيصعب عليه تركها

استثقال الطاعات؛ لأن الطاعة تحتاج إلى جهد وعزيمة ، وهذه العزيمة لا تأتي إلا بالوقوف مع النفس وقفة محاسبة ، وأخذها بالحزم والجد.

هلاك القلب: قال ابن القيم) :وهلاك القلب من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها) وقال في إغاثة اللهفان: (وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها ؛ فإن هذا يؤول به إلى الهلاك ، وهذه حال أهل الغرور : يغمض عينيه عن العواقب ، ويمشي الحال ، ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه ، والنظر في العاقبة ؛ وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب ، وأنس بها ، وعسر عليها فطامها ، ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد

أخيرا: قصائد في محاسبة النفس

يا نفس قد أزف الرحيل ** وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا ** يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى ** الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه ** من الثرى حمل ثقيل
قرن الفناء بنا جميعاً ** فما يبقى العزيز ولا الذليل

يا رَبّ قد عَصَفَ الهوَى بكياني ** وسَطا كَلِه على أركاني
وتَنوّعَت ألوانُه وتَعدّدَت ** أوطارُه وغَدوتُ كالحيران
ودُخانُه حَجَبَ البَصيرةَ والهُدى ** فَكَأنّني في غَيبةِ السكران
جَاهَدتُه وحَسِبتُ أنّي غالبٌ ** فعَدا بمَكرٍ لا يُرى بمَكان
أنجُو وأَصرَعُ في مُحيطٍ هادِرٍ ** مِن عَالم الإغراءِ والبُهتانِ
فأزلُّ عَن تَقوَى عَرفتُ طَريقَها ** أوّاهُ مِن ضَعفي ومِن عِصياني
لا حَولَ لي يا رَبّ إنّي عاجزٌ ** فادفَع بحَولِكَ كيدَه الشيطاني
ضَعفِي وخوفي في التِجاءٍ ضَارع ** مَا خَابَ مَن يَرجُوكَ باطمِئنانِ
يا أرحَمَ الرُّحماءِ إنّي عَائذٌ ** بسَوابِقِ التكريمِ وَالإحسَانِ
أنتَ العَليمُ بما أخافُ وأرتَجِي ** وَبسِرّيَ المَكتُومِ والإعلانِ
فاختر لِعَبدِكَ ما تُحبُّ وترتَضي ** سَلّمتُ قلبي فاكفِني أحزاني
وامنُن عليَّ بتَوبةٍ مَقبُولةٍ ** واختِم بتَوحِيدٍ وطُهرِ جَنانِ

لم لا أنوح وأندب ** وأنا المسيء المذنب

نفسي لشدة خبثهـــــــا ** غير الخطا لا تخطـــب
في السر تعصي ربهـــــا ** بين الورى تتـــــأدب
تخشى الخـــــلائق ثم لا ** تخشى الإله وترقـــب
يا ويلها يا ويلهـــــــا ** مما يداها تكســـــب
كم بحر لغو خضتـــــــه ** كم في الفساد أقلّـــــب
كم غائـب أغتابـــــــه ** كم ذا أقول وأكـــــذب
كم فتنـة ألقيتـهـــــــا ** بين الذيـن تحببـــوا
كم في الخطا قدمي خطـــا ** وعن الهدى تتنكـــــب
كم حيلة أحتـال فـــــــي ** تحصيل أمر يغضـــب
ملك اليمين أرحتـــــــه ** لم يلق خيرا يكتـــــب
ملك اليسار بعكســـــــه ** ليـلا نهـارا يتعـــــب

تذكـر وقوفك يوم العرض عرياناً ** مستوحشا قلق الأحشاء حيـــرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنـق ** على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتـابك يا عبدي على مهل ** فهـــل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لمـــــا قرأت ولم تنكر قراءته ** إقـــرار من عرف الأشياء عرفانا
نـادى الجليل خذوه يـا ملائكتى ** وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غداً في النار مسكنهم ** والمؤمنون بـــــدار الخلد سكانا

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٣- تفسير السعدي
٤- مفاتيح الغيب للرازي
٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
٦- المنتخب في تفسير القرآن
٧- التفسير الميسر
٨- صحيح البخاري
٩- صحيح مسلم
١٠- صحيح الترمذي للألباني
١١- صحيح أبي داود للألباني
١٢- صحيح ابن ماجة للألباني
١٣- صحيح الترغيب والترهيب
١٤- صحيح الجامع
١٥- السلسلة الصحيحة
١٦- مشكاة المصابيح
١٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب
١٨- شرح رياض الصالحين
١٩- فتح الباري في شرح صحيح البخاري
٢٠- شرح صحيح مسلم للنووي
٢١- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
٢٢- الشمائل للترمذي
٢٣- جامع العلوم والحكم
٢٤- السيرة النبوية لابن كثير
٢٥- البداية والنهاية لابن كثير
٢٦- الرحيق المختوم
٢٧- دلائل النبوة للأصفهاني
٢٨- الشمائل للترمذي
٢٩- سيرة ابن هشام
٣٠- أدب الدنيا والدين للماوردي
٣١- احياء علوم الدين للغزالي
٣٢- سير أعلام النبلاء
٣٣- تاريخ بغداد
٣٤- صيد الخاطر لابن الجوزي
٣٥- زاد المعاد لابن القيم
٣٦- الكلم الطيب لابن القيم
٣٧- مدارج السالكين لابن القيم
٣٨- حادي الأرواح لابن القيم
٣٩- الإرواء للألباني
٤٠- حلية الأولياء
٤١- ٢٧ مقدمة من أروع مقدمات الخطب لأحمد أحمد سلطان
٤٢- الدرر البهية من المقدمات المنبرية للسيد مراد سلامة
٤٣- الفتاوى الكبرى
٤٤- الدرر السنية
٤٥- نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم
٤٦- القيم الإنسانية في القرآن
٤٧- الفتوحات العربية الكبرى
٤٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
٤٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام
٥٠- مواقع مختلفة من الانترنت

الفهرس

١. المقـــدمـــة ٣
٢. مفاتيح السعادة ٥
٣. الإسراء والمعراج دروس وعبر ١٥
٤. فضل الصلاة ٢٤
٥. فضائل شهر شعبان ٣٣
٦. تحويل القبلة ٤٢
٧. صفات المؤمنين في القرآن ٥٠
٨. استقبال شهر رمضان ٥٨
٩. منهاج المسلم في رمضان ٦٧
١٠. فضل القرآن الكريم وواجبنا نحوه ٧٢
١١. ليلة القدر وواجب المسلم فيها ٨١
١٢. عيد الفطر المبارك ٩٠
١٣. فضل الشكر وجزاء الشاكرين ٩٧
١٤. أهمية المساجد وآدابها وحُرماتها ١٠٦
١٥. اتقان العمل سبيل لرقي الوطن وتقدمه ١٢٨
١٦. وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ١٣٧
١٧. الإيثار خلق إسلامي وقيمة إنسانية ١٤٧
١٨. فضـل الحـــج ١٥٨
١٩. الحج مدرسة أخلاقية ١٦٦
٢٠. فضل العشر الأوائل من ذي الحجة ١٧٣
٢١. فضل يوم عرفة والدروس المستفادة من حجة الوداع ١٧٩
٢٢. عيد الأضحى المبارك ١٨٨
٢٣. حرمة أكل حقوق النساء والضعفاء في الميراث ١٩٦
٢٤. الأمن الغذائي وحرمة التلاعب به ٢٠٣
٢٥. أهمية العلم ٢١١
٢٦. المصادر والمراجع ٢٣٣
٢٧. الفهرس ٢٣٤
٢٨. من إصدارات الشيخ أحمد أبو عيد ٢٣٥

من إصدارات الشيخ أحمد أبو عيد

۞۞۞۞۞ ۞۞۞۞۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجـــزء الأول } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطــب المنبرية { الجزء الثاني } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبــرية { الجزء الثالث } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء الرابــع } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء الخامس } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء السادس } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء السابع } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء الثامن } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء التاسع } ۞

۞ كتاب الدرر الحسان في مدح الرحمن والنبي العدنان { الجزء الأول } ۞

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

۞۞۞۞۞

تم بحمد الله وتوفيقه

فلله الحمد أولاً وآخرًا

وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين في كل أقطار الأرض،

وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم

وأن يغفر لوالدىَّ وللمسلمين أجمعين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

والحمد لله رب العالمين

۞۞۞۞۞۞۞